قنبلة فى نيويورك

بقــلم

مارى هيجنز كلارك

ترجمــة

محمد عبد المنعم جلال

اهداءات ٢٠٠٠
الأستاذ / عاطف جلال
الإسكندرية

روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

سلسلة شهرية لنشر القصص العالمى

تصدر عن

مؤسسة دار الهلال

ثمن النسخة

سوريا ١٦٠ ليرة – لبنان ١٠٠٠٠ ليرة – الأردن ٣٧٠٠ فلس – الكويت ٢٠٠٠ فلس – السعودية ٢٠ ريالا .

العدد ٥٦٧

مارس ١٩٩٦ ● شوال ١٤١٦ هـ

No.567-1996

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٨: جنيها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية – البلاد العربيا ٣٥ دولارا – امريكا واروبا واسيا وافريقيا ٥٠ دولارا – باقى دول العالم ٦٠ دولار

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال – ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

للاشتراك فى الكويت : السيد عبدالعال بسيونى زغلو الصفا ص . ب ٢١٨٣٣ (13079) ت ٧٤١١٦٤

الادارة . القاهرة – ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت . ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات . ص . ب ٦١ العتبة – القاهرة – الرقم البريدى ١١٥١١ – تلغرافيا المصور – القاهرة ج . م . ع .

تلكس TELEX 92703 hilal u n

فاكس FAX 3625469

هذه هى الترجمة الكاملة لرواية

.A STRANGER IS WATCHING

by:

Nary Higgins Clark

الغــلاف للفنــانة :

سـميحة حســـنين

قبل أن تقرأ

من المهم جدا لأبناء هذا العصر أن يقرأوا ..

ولو أن المؤسسات الأمنية الامريكية قرأت بعض وقائع هذه الرواية التى بين ايدينا لما تفجر المركز التجارى فى نيويورك ، الذى اثيرت حوله الأحاديث فى الفترة الأخيرة ، بعد الاحكام القضائية الشهيرة ، التى حكم فيها بالسجن مدى الحياة على الشيخ عمر عبدالرحمن ، وبعض أتباعه.

فرغم أننا أمام رواية بوليسية تقليدية ، لكننا أمام شخص يفخخ امرأة شهيرة وطفلا صغيرا فى أحد أدوار هذا المركز .. ويثير حوله الرأى العام ، ويضع كل سلطات الأمن ، خاصة المباحث الفيدرالية ، فى وضع تأهب ، واستعدادات قصوى ..

ومن هنا جاءت أهمية أن نقدم مثل هذه الرواية ، لكاتبة تحقق منذ أكثر من خمسة عشر عاما أعلى المبيعات فى كل اللغات التى تصدر بها رواياتها ، أو تترجم إليها ، ويبدو هذا واضحا فى روايتها الأخيرة «ليلة رقيقة» التى تفوقت فى فرنسا على كل الروايات التى فازت بالجوائز الأدبية الكبرى . إنها «مارى هيجنز كلارك» .. التى رغم شهرتها وأهميتها فإنها المرة الأولى التى تترجم فيها إحدى رواياتها إلى اللغة العربية .

هى واحدة من كاتبات بارعات ، استطاعت أن تنقل الرواية البوليسية من هامشية اكتسبتها طوال سنوات ، ودخلت بهذا النوع من الرواية إلى سهل الأدب الفسيح . ويتضح هذا من التقنية التى ادارت بها أحداث هذه الرواية ، قياسا إلى ما كانت تكتبه قريناتها مثل (أجاثا كريستى ، وباترشيا هايسميث ،

وروث راندل) ، بل وكتاب آخرون من طراز چورچ سيمنون ، ورايموند شاندلر ، ودافيد جوديس .

«إنها ملكة الخض ، وسيدة التوتر وسيطرة الجريمة ، وهى الورقة القاتلة الرابحة فى كل الأنواع ، الامريكيون مجانين بها ، والاوربيون يحبونها ، مارى هيجنز كلارك التى تعتبر اجاثا كريستى سنوات الثمانينات.»

هكذا كتب ريمى ليلت فى مجلة الاكسبريس - ١٩ أغسطس ١٩٨٨ - عن الكاتبة التى تعيش بطلات رواياتها فى أحياء وبيوت فخمة . أما عشاق هؤلاء النساء فانهم يضاربون بأموالهم فى شوارع المال أو فى إدارة الصحف ، إنه عالم مثير ، ومن أجل النساء والمال لابد أن تتولد الجرائم ، وقد انعكس هذا فى روايات مارى هيجنز كلارك المولودة فى نيويورك عام ١٩٢٨ والتى بدأت حياتها الأدبية عام ١٩٦٤ ، والتى تتصدر اعمالها قوائم المبيعات فى كل اللغات التى تصدر بها . ومهما كانت مواسم القراءة .

ومارى هيجنز مثل كتاب الرواية البوليسية المعاصرة ، غير الشعبية منها ، ليست غزيرة الانتاج ، ولكن فى بداية طفولتها كانت شغوفة بالقصص البوليسية ، فكم سودت صفحات كراساتها البيضاء بالقصص البوليسية وهى فى السادسة من عمرها ، وعندما بلغت الثامنة قرأت أرثر كونان دويل «لقد بدأت قصص البشر بجريمة قتل ، إنها حكاية قابيل وهابيل . أليس كذلك ؟» .

عملت سكرتيرة فى احدى شركات الطيران ، تزوجت وانجبت خمسة أطفال فى ثمانية أعوام ، وشاركت فى الورش الأدبية التى كانت تعدها جامعة نيويورك ، وباعت بعض القصص القصيرة للمجلات ، ولأكثر من ٥٠٠ محطة إذاعة لتذاع كمسلسلات ، نشرت كتابها الأول عن «چورچ واشنطن» عام ١٩٦٤

«وددت أن أكتب رواية تباع للناس» . وكانت آنذاك في السادسة والاربعين من عمرها .

ومن رواياتها القليلة حصدت الكاتبة آلاف المليونات من الدولارات ، وحصلت على العديد من الجوائز الأدبية التى تمنح للزوايات البوليسية ، يقول ابنها إنه لم يعرف امرأة بالغة الهدوء مثلها ومع هذا فإن كريستيان جونزالز يقول فى مجلة «مدام فيجارو» إنه لا توجد امرأة تثير خوف الناس في كتبها مثلما تفعل الكاتبة .

تعثرت مارى هيجنز كلارك فى أن تحقق هدفها فى روايتها الأولى ، وتأخرت حتى عام ١٩٧٥ حين بيع من رواية «غريب ينتظر» ملايين النسخ ، فاعتبر النقاد أنها ميلادها الأدبى الحقيقى ، وقد وصل نجاحها إلى أنها تحصل الآن على عشرة ملايين دولار عن الرواية الواحدة ، وهى تستقى رواياتها من قصص المحاكمات الشهيرة التى تنشرها الصحف ، كما أنها تحضر جلسات هذه المحاكمات ، وتقوم بقص صور المرضى النفسانيين وتضعها أمامها ، وتتخذ منهم أبطالا لرواياتها ، كما أنها تقرأ بتركيز شديد بعض كتابات علم النفس ، وهى لا تُرجع ذلك إلى موهبة ، بل إلى مقدرة متميزة فى صياغة سيناريو .

من أهم روايات الكاتبة «غريب ينتظر» و«نامى يا جميلة» و«عيادة الدكتور هـ» و«سترين يوما» ، و«سنذهب من جديد إلى الغابة» و«صيحة فى الليل» و«ابحث عن امرأة ترقص» .

فى روايتها الأولى «غريب ينتظر» يفقد ستيف بيترسون زوجته الشابة ، التى خنقها رجل مجهول فى منزلهما ، وتروح كل الشبهات إلى رولاند تومبسون ، حسبما رأى ابنها الصغير نيل ، والقاتل الذى عليه أن يجلس فوق المقعد الكهربى

هو أحد الجيران المقربين ، لكنه لم يعترف قط بجريمته ، بل يصر على براءته من دماء القتيلة .

وفى ليلة تنفيذ الإعدام ، تذهب الصحفية شارون إلى ستيف لمقابلته ، من أجل معرفة المزيد عن الحادث ، وما يلبث الاثنان أن يتبادلا الإعجاب ، ولا تمر سوى ساعات قليلة إلا ويتم اختطاف شارون ، والصغير نيل ، ويعلن شخص يدعى ان اسمه «الثعلب» أنه المسئول عن الاختطاف ويقوم باخفاء الرهينتين فى غرفة سفلية فى قلب المحطة الرئيسية فى مدينة نيويورك ، ويضع قنبلة على مقربة منهما ستنفجر فى نفس اللحظة التى سيتم فيها اعدام توميسون ، وسرعان ما يدور التساؤل بين مقتل نينا بيترسون ، وبين الحدث الجديد وتظل الكاتبة تصنع توترها فى الصفحات وتثير الشكوك من حول كل الأشخاص حتى يأتى رجل يعلن أن شخصا غريبا هو الذى قام بالجريمة ، وذلك بالضبط فى آخر صفحات الرواية أسوة بكل القصص البوليسية التقليدية المعروفة .

تدور أحداث روايتها «نامى يا جميلتى» فى عالم الأزياء ، حيث قتلت احدى العارضات يوم أن أذاعت سرا لم يكن لها أن تبوح به ، وعندما يتم التحقيق مع زوجها السابق ، يتم اكتشاف أنه كان امرأة ، أما نيف ، زميلتها ، فهى مهددة من اشباح الماضى ، لدرجة ، تثير الخوف على حياتها ، وهنا تتشابك الاحداث حتى يتم التعرف على القاتل وهو رجل قريب جدا من هذا العالم .

ولقد اقتبست الكاتبة عنوان هذه الرواية من رواية لشاندلر هى «وداعا يا حبيبتى» ، وذلك لتعبر عن اعجابها به ، وإذا كانت روايات شاندلر ، كما ترى الكاتبة ، تدور فى الشوارع الفقيرة ، فانها ارادت أن تؤكد أن الجريمة موجودة فى كل مكان .

أما روايتها «عيادة الدكتور هـ» فإن امرأة جريحة يتم نقلها إلى احدى المستشفيات ، وعندما تسترد وعيها ، تتذكر أنها رأت ، قبل أن تصدمها سيارة ، جثة توضع في خلفية إحدى السيارات ، وأن الذين كانوا ينقلون الجثة هم انفسهم الذين سعوا إلى ضربها بسيارتهم سعيا للتخلص منها ، حتى لا تكون شاهدة على ما اقترفوه . وفى المستشفى تفاجأ أن نفس الأشخاص يحاولون أيضا قتلها حتى تكتم شهادتها إلى الأبد .

إذن ، فنحن أمام روايات توتر ، يلهث القارىء وراء السطور ، ليس لمعرفة القاتل ، أو المجرم ودوافعه ، ولكن أيضا لمعرفة كيف يمكن لشخص برىء أن ينجو من الاخطار التى تحوطه ، ويبدو ذلك واضحا فى رواية «سنذهب من جديد إلى الغابة» ، فالبطلة هنا فتاة جميلة ، شقراء اسمها لورى ، يقوم اثنان من الشباب الهيبيين باختطافها ، ويحبسونها معهما لمدة عامين . تعمل على اسعادهما جنسيا ، وتؤدى لهما كل اعمالهما المنزلية ، وبعد عامين تعود لورى إلى أسرتها وتمر السنوات ساكنة ، يموت خلالها الأبوان فى حادث سيارة ، فتحبس الفتاة الجميلة نفسها فى دارها وتحوم من حولها الشبهات بأنها سبب مقتل الوالدين ، وتلتحق بمدرسة داخلية لتزيد من عزلتها وتثير اهتمام أحد المدرسين الذى لا يلبث أن يموت مقتولا ، ويجدون فتاحة أظرف الخطابات التى تخص لورى مغروسة فيه وما يلبث أن يظهر فى الأحداث هذان الشابان اللذان سبقا أن قاما باختطافها.

ويقول الروائى والناقد چاك بيير أميت - مجلة لوبوان ١٩٩٢ - إن مارى تسير على نهج الفريد هيتشكوك ، حيث تهتم بالدلائل ، كأن يكون وراء سلك التليفون الممتد عبر الممر حدث مثير ، ووراء عبارات الأشخاص العادية معان ودلائل لجريمة قادمة ، ولذا فان فن الكتابة يجىء من أهمية التركيز

على التفاصيل الصغيرة ، وهذه الأشياء تصبح عند الكاتبة بالغة الأهمية ، مثل التأكيد على الطريقة التى تسعل بها امرأة ، ولذا فإننا أمام كاتبة لا تتحدث عن جرائم ، بل عن دوافعها ، وتعكس من خلالها صورة المجتمع بعنصريته ، وعنفه ، وما يشكله من تهديد على الضعفاء ، أو الذين يعيشون فى سكينة .

فأبطال الروايات هنا قوم آمنون ، حتى يأتى ما يعكر صفوهم ، مثل لورى فى الرواية السابقة على سبيل المثال ، ومثل المرأة التى شهدت جريمة قتل فى «عيادة الدكتور هـ» ، و«سترى يوما» وترى الكاتبة – مجلة لونوفيل اوبسر فاتور – أننا جميعا مهددون بالجحيم ، وبافتقاد السعادة كما أننا نرى جيدا من يحبوننا .

(١)

كان جالسا لا يتحرك أمام جهاز التليفزيون فى الغرفة رقم ٩٣٢ بفندق بليتمور. دق المنبه فى الساعة السادسة ، ولكنه كان قد نهض منذ وقت طويل ، فقد أخرجه الهواء البارد الكئيب الذى راح يهز الألواح الزجاجية من نوم مضطرب .

كانت أخبار الصباح قد بدأت، ولكنه لم يرفع الصوت، فلم تكن الأخبار تهمه فى شيء . كان كل مايريده أن يرى اللقاء التليفزيونى.

لم يكن يشعر بأى ارتياح على مقعده المتصلب . كان يعقد ويفك ساقيه . وكان قد اغتسل وحلق ذقنه وارتدى البدلة الترجال الزرقاء التى كان يرتديها عندما جاء إلى الفندق مساء أمس . وفكرة أن النهار قد طلع جعلت يده ترتعش فجرح شفته وهو يحلق ذقنه ، وكان لايزال يدمى وجعله مذاق الدم يرتجف .

إنه يكره الدم . فى الليلة الماضية ، أحس فى مكتب الاستقبال ، بنظرة الموظف تتسلل إلى ثيابه . كان يحمل معطفه تحت ذراعه لكى يخفى شكله الزرى، رغم أن البدلة كانت جديدة ، وقد اقتصد من أجل ذلك بيد أن الرجل نظر إليه نظرته إلى رجل فقير وسأله إن كان قد قام بحجز مسبق .

لم يملأ أبداً بطاقة فى حياته فى فندق حقيقى ، ولكنه كان يعرف كيف يتصرف ، فقال مؤكداً فى لهجة جافة : نعم ، حجزت مسبقا . بدا الموظف مترددا لحظة ، ولكن عندما أخبره أنه سيدفع مقدما ظهرت الابتسامة الساخرة من جديد عاد يقول مجددا : سأرحل صباح يوم الأربعاء .

كان أجر الغرفة مائة وأربعين دولارا عن الليالى الثلاث ، ولن يبقى معه اذن إلا

ثلاثون دولارا ، وهو مبلغ سوف يكفيه هذه الأيام القليلة ، حيث سيحصل يوم الأربعاء على اثنين وثمانين ألف دولار .

مر وجه المرأة أمامه ، فطرف بعينه ليبعده ، لأنه ستأتى بعد ذلك العينان الكبيرتان البراقتان اللتان تنبعثان فى كل مكان واللتان لا تنطبقان أبدا .

ود لو أن يتناول فنجانا آخر من القهوة ، ولكنه كان قد استدعى خادم الطابق فى وقت مبكر ، متبعا التعليمات جيء له بالقهوة ، وكان قد تبقى بعضها غير أنه غسل الفنجان والطبق وكوب العصير، ووضع الصينية على الأرض فى الممر .

وانتهت الفقرة الاعلانية فبدا عليه الاهتمام ، وانحنى فوق الشاشة . فسوف يبدأ اللقاء وادار المفتاح الذى على اليمين لكى يرفع الصوت .

ملأ وجه « توم بروكاو » المألوف ، مذيع الأخبار شاشة التليفزيون، وبدأ يقول بصوته الجهور : أصبح حكم الاعدام مسألة شائكة وقابلة للنقد فى هذا البلد منذ حرب فيتنام ، وبعد اثنتين وخمسين ساعة بالتمام ، فى الرابع والعشرين من مارس ، سينفذ سادس حكم للاعدام فى هذه الولاية، وسيلقى الشاب رونالد تومبسون البالغ من العمر تسعة عشر عاما حتفه فوق الكرسى الكهربائى .

وارتدت الكاميرا إلى الشخصين اللذين يجلس كل منهما فى أحد جانبى توم بروكاو . كان الرجل الذى إلى اليمين فى الثلاثين من عمره ، وشعره الأغبر الذى تشوبه خيوط وخطها المشيب كان شعثا بعض الشيء . وكان يعقد يديه مباعدا ما بين أصابعه ويرفعها إلى أعلى . وتعطيه ذقنه التى يعتمد بها على أطراف أصابعه مظهر توسل يزيده حاجباه الداكنان والمقوسان فوق عينيه الزرقاوين قوة .

أما المرأة الشابة فكانت تجلس إلى اليسار ، وقد لفت شعرها فى كعيكة فوق رأسها ، وراحت تضغط بأصابعها المعقودة على ركبتيها، وبللت شفتيها وأقصت عنها خصلة من الشعر .

راح «تـوم بروكاو» يقـول : عرض ضيفـانا فـى حديثهما السـابق أمـام هـذا الجهـاز وجـهـة نظـر كل منهـمـا فـى حكم الاعـدام . شـارون مـارتن الصـحفية، ومؤلفة الكتاب الذى لقى نجاحا كبيرا وعنـوانه «الجريمـة وحكـم الاعـدام» وسـتـيـفن بيـتـرسـون ، رئيس تحـرير مـجلة «الحـوادث» ، أكـبـر الشخصيات المرموقة فى عـالم الوسـطاء ، التى تشجع إعـادة حكم الاعدام فى هذا البلد .

وانفعل صوته وهو يتحول إلى ستيف وقال : فلنبدأ بك ياسيد بيترسون ، بعد أن تحـقـقت من تأثر الجـمـهـور خـلال احكام الاعدام الأخيـرة هل مـازلت ترى أن موقفك له ما يبرره.؟

انحنى ستيف إلى الأمام وأجاب بصوت هادىء : تماما .

تحول المذيع إلى المرأة الشابة وقال : وانت ياشارون مارتن، مارأيك؟

تحركت شارون قليلا لكى تواجه محدثها . كان يبدو عليها الإرهاق ، فقد ظلت تعـمل أثناء ذلك الشـهـر الأخـيـر عـشـرين سـاعـة كل يوم، واتصلت بأناس لهم أهمـيـتـهم، أعضـاء مـجلس الشـيـوخ وقـضـاة ومـشـرعين، وألقت محـاضـرات فى الجامعات وفى النوادى النسائية وهى ترجو الجميع أن يكتبوا أو يبرقوا إلى حاكم مقاطعة كونكتيكت للاحتجاج على تنفيذ حكم الاعدام على رونـالد تومبسون ، وكان رد الفعل الذى حصلت عليه كبيرا ، واعتـقـدت أن المحافظ سيعدل عن قراره ، وقالت وهى تبحث عن كلماتها :

– أظن أننا عدنا فى هذا البلد إلى العصور الوسطى .

ورفعت كومة الجرائد التى بجوارها وقالت : انظر إلى عناوين صباح اليوم ، وحللها . انهم متعطشون إلى الدم فهذه الجريدة تقول « كونكتيكت تجرب الكرسى الكهربائى » ، وهذه تقول إنه فى التاسعة عشرة من عمره، وسيموت يوم الأربعاء ،

وتلك : إن القاتل المحكوم عليه ينادي ببراءته . ان كل الجرائد متشابهة ، تبحث عن المثير وعن العنف .

وعضت شفتها ، وتحطم صوتها .

ألقى ستيف إليها نظرة . كان قد نما إلى علمها اليوم بالذات أن المحافظ اعلن جهاراً رفضه النهائى لمنح تومبسون مهلة أخرى . وقد أضنى النبأ شارون وانها لتكون معجزة الا تقع مريضة بعد ذلك . ماكان يجب أن تقبل حضور هذا الحديث التليفزيونى ، فان قرار المحافظ جعل وجود شارون لا جدوى منه ، والله يعرف إذا كان ستيف يؤثر ألا يكون هنا . ومع ذلك فيجب أن يقول شيئا .

قال ستيف : ارى أن ما من رجل شريف يوافق على العنف أو يؤيد حكم الإعدام ، ولكن لا تنس انهم لايطبقونه أبداً دون الأخذ بكل الظروف المخففة مأخذ الاعتبار ، فليس هناك حكم اعدام إجبارى .

سأله بروكاو على الفور : وهل تعتقد أن جميع الظروف المخففة روعيت فى حالة رونالد تومبسون ، فهو لم يكن قد تجاوز السابعة عشرة من عمره عندما ارتكب جريمته ، وعليه لم يكن يخضع لمحكمة الاحداث .

أجاب ستيف : لن أقوم بأى تعليق بخصوص تومبسون، فان هذا يكون غير مناسب ، كما تعلم .

قال المذيع أفهم وجهة نظرك يامستر بيترسون . ولكنك اتخذت قرارك فى هذه المسألة منذ سنوات .. وتوقف قبل أن يستطرد · قبل أن يقتل رونالد تومبسون زوجتك .

قبل أن يقتل رونالد تومبسون زوجتك .. اذهلت قسوة هذه الكلمات ستيف ، فقد كان لايزال يعاني ، بعد سنتين ونصف من صدمة وبشاعة موت نينا التى خنقها مجهول تسلل إلى بيتهما وعقد الإيشارب حول عنقها .

حاول أن يقصى الصورة عن ذهنه ، ونظر أمامه مباشرة وقال: جاء وقت تمنيت فيه إلغاء حكم الاعدام نهائيا . ولكن كما قلت أنت ذلك بالذات ، أى قبل الفاجعة التى ألمت بأسرتى ، كنت قد انتهيت إلى نتيجة هى اننا إذا كنا نريد حماية حقوق الانسان الاساسية .. حرية الذهاب والمجىء دون خوف ، وحرية أن نكون فى أمان فى بيوتنا فيجب ايقاف مسببى العنف ، ولسوء الحظ ، يبدو أنه ليست هناك إلا طريقة واحدة لايقاف القتلة ومعاملتهم بالعنف الذى يبدونه نحو ضحاياهم ، ومنذ حكم الاعدام الأول الذى نفذ منذ سنتين قل عدد جرائم القتل بصورة كبيرة فى المدن الكبيرة .

انحنت شارون وصاحت : انك تتكلم بطريقة منطقية تماماً ، ولكن هل تدرك أن خمسة واربعين فى المائة من جرائم القتل يرتكبها شبان عمرهم أقل من خمسة وعشرين عاما وأن أغلبهم ينتمون إلى عائلات بائسة ويعانون من عدم الاستقرار.

ترك المشاهد الوحيد بالغرفة رقم ٩٣٢ بفندق بليتمور ستيف بيترسون لكى يتأمل المرأة الشابة . انها الكاتبة التى يشاهدها الجميع فى كل مكان مع ستيف لم تكن تشبه زوجته على الاطلاق ، بل كانت أكبر منها قامة بجسم رشيق ممشوق ورياضى . كانت زوجة ستيف قصيرة القامة ورقيقة ، مستديرة الصدر، ذات شعر أسود ، وكانت تعقده فى خصلات فوق جبينها وفوق اذنيها عندما كانت تحرك رأسها .

ذكرته عينا شارون مارتين بلون المحيط فى اليوم الذى كان فيه على بلاج جونز بيتش فى الصيف الماضى ، وهو البلاج المثالى للقاء الشباب بالفتيات ، ولكن الأمر لم يفلح بالنسبة له فعندما بدأ يعاكس فتاة تسبح فى الماء صاحت قائلة «بوب» وماهى إلا لحظة حتى اقبل ذلك الشاب وسألها عن سبب صياحها ، ولم يجد أمامه عندئذ إلا أن يعود إلى الشاطىء وافترش ملاءته وراح ينظر إلى المحيط الأخضر

اللون . نعم، كان لونه أخضر محيرا مشوباً بلمسات زرقاء ، وهو يحب العيون صاحبة هذا اللون .

ماذا يقول ستيف ؟. آه ، نعم إنه يرثى للضحايا ولا يرثى للقتلة . انه يرثى للذين لا يستطيعون الذود عن أنفسهم .

وراحت المناقشة تجرى على هذه الوتيرة : ستيف بيترسون لا يكف عن تأييد رأيه ، وشارون مارتن لا تحيد عن رأيها فى الاكتفاء بعقوبة السجن مدى الحياة إلى أن أسرع توم بروكاو يقول : شكرا لك ياشارون مارتن ، ولك انت ايضاً ياستيف بيترسون لحضوركما هذه الحلقة ، وسوف نستأنف ارسالنا بعد فقرة من الاعلانات .

وانطفأ جهاز الارسال فى الغرفة رقم ٩٣٢ بفندق بليتمور ويقى الرجل القوى فى بدلته المخططة الخضراء جالساً وعيناه ثابتتان على الشاشة المظلمة . ومرة أخرى راح يفكر فى خطته . أول شىء هو أن ينقل الصور الفوتوغرافية والحقيبة إلى الغرفة السرية بمحطة نيويورك الرئيسية ، ثم ينقل اليها «نيل» ابن ستيف بيترسون هذه الليلة بالذات . ولكن عليه أن يتخذ قراراً قبل ذلك ، فان شارون مارتن ستكون فى بيت ستيف الليلة ، اذ يجب أن ترعى نيل حتى عودة أبيه .

فكر فى أن يقضى عليها فى البيت ، ولكن أيمكنه ذلك ؟ .. انها رائعة الجمال.

وعاد فرأى فى مخيلته لون عينيها ولون المحيط المحير والرقيق. خيل اليه وهو ينظر إلى التليفزيون . انها تنظر اليه وتدعوه لعلها تحبه . أما إذا كانت لا تحبه فمن السهل التخلص منها . سيتركها فى المحطة الكبرى الرئيسية مع الغلام يوم الأربعاء .

وفى الحادية عشرة والنصف ، عندما تنفجر القنبلة ، لن يبقى شىء من شارون مارتن هى الأخرى .

(٢)

غادرا الاستوديو معا ، وسار كل منهما بجوار الآخر ، وكان ايشارب شارون يثقل كثيرا على كتفيها ، وقدماها ويداها تشعر بالبرودة ، وخلعت قفازها وتحققت من ان الخاتم القديم الذى أهداها اياه ستيف بمناسبة عيد الميلاد قد لوث أصبعها من جديد . فهناك بشرات بها نسبة من الحموضة بحيث يحدث هذا دائما عند ملامسة الذهب لها .

تجاوزها ستيف وفتح لها الباب وسارا فى الصباح المبكر المكفهر كان الجو باردا ، وبدأ الثلج يتساقط كثيفا ، ويلفح وجهيهما بندفاته الباردة.

قال : سأستدعى لك سيارة أجرة .

– كلا . أفضل أن أمشى !

– ولكن هذا غباء ، فإنك تكادين تموتين من التعب .

– سيثير السير افكارى . أوه ، كيف تكون موضوعيا هكذا ياستيف؟ انك شديد الثقة بنفسك ، وشديد القسوة ؟

– لا تبدئى من جديد ياعزيزتى . يجب أن تعودى إلى البيت وتستريحى ، فأنت بحاجة إلى ذلك .

– يجب أن اسلم تعال أولا .

– حسنا حاولى أن تنامى بضع ساعات . أيمكنك أن تأتى إلى البيت فى الساعة السادسة إلا الربع ؟

– لست متأكدة ياستيف.

– ولكننى متأكد ، فلم نتقابل منذ ثلاثة أسابيع . وينوى السيد لوفتس وزوجته الخروج للاحتفال بعيد زواجهما ، وأريد أن أكون فى البيت الليلة معك ومع «نيل» .

انني احبك ياشارون وانت تعرفين ذلك ، وقد افتقدتك كثيرا فى الأسابيع الأخيرة، ويجب أن نتحدث معا .

– ستيف ، إن آراءنا مختلفة ، ونحن ...

لم يعبأ بالناس الذى يسرعون إلى أعمالهم وانحنى وقبلها وأحس بشفتيها باردتين وبجسدها يرتجف فابتعد عنها واستدعى سيارة أجرة وقال وهو يغلق بابها خلفها :

– هل استطيع الاعتماد عليك الليلة ؟

هزت رأسها دون أن تنطق . وانتظر ستيف حتى انطلقت سيارة الأجرة إلى الشارع الخامس ، ثم أسرع نحو الجنوب ، كان قد نام فى فندق جوتام الليلة الماضية لأنه كان يجب أن يكون فى الاستوديو في السادسة والنصف . وأراد أن يتكلم فى التليفون مع «نيل» قبل ذهابه إلى المدرسة . كان يستولى عليه القلق فى كل مرة يضطر فيها إلى التغيب فإن «نيل» لايزال يتعرض للكوابيس ، وتشتد به نوبات الربو إلى حد أنه كان يصحو من نومه وهو يصرخ ، وكانت مدام لوفتس تسرع باستدعاء الطبيب .

كان الشتاء شديد البرودة . ربما يستطيع «نيل» أن يسترد بعض قواه عندما يأتى الربيع ، ويتمكن من الخروج .

الربيع !.. ان الجو الربيعى قد ابتدأ الليلة ، وانتهى فصل الشتاء رسميا . ولكن التوقعات الجوية أمرها غريب حقا .

تحول ستيف فى آخر الشارع جهة الشمال . تذكر أول لقاء له مع شارون قبل ذلك بستة شهور ، عندما أقبل ليبحث عنها فى بيتها أول ليلة . أحست برغبتها فى السير حتى المطعم الذى يقع بعد حديقة «سنترال بارك» كان قد أنذرها بأن الجو بارد قليلا ، لأنهم فى أول أيام الخريف ، صاحت : هذا جميل ، بدأت أمل الصيف ولزما الصمت فى بادىء الأمر . وراقت له طريقة مشيتها وتطابق خطوتها مع

خطوته ، وقامتها المشوقة فى التنورة التى ينسجم لونها مع شعرها . وتذكر أن نسمة رطبة أوقعت الأوراق الأولى من الأشجار وأن الشمس الغاربة ضاعفت من زرقة سماء الخريف الشديدة.

قالت : فى مثل هذه الليلة افكر كثيرا فى اوبريت «كاميلوت» ففيها أغنية تقول: « لو حدث وتركتك ذات يوم » ، ودندنت فى صوت رقيق «لن أعرف أبدا كيف أرحل فى الخريف . رأيتك تتألقين عند هجوم الخريف ، واعرفك فى الخريف ، ولا استطيع أن أمضى » وكان صوتها عذبا رخيما .

« لو حدث وتركتك ذات يوم ».

هل وقع فى حبها فى تلك اللحظة بالذات؟

وكانت الليلة جميلة . وثرثرا طويلا بعد العشاء ، بينما كان الرواد يدخلون ويخرجون حولهما .

عن أى شىء تحدثا ؟ عن كل شىء . كان أبوها مهندسا فى شركة بترولية ، وولدت اختاها فى الخارج ، وتزوجت كل منهما الآن .

وسألها : وكيف أفلت أنت؟

كان كل منهما يعرف ما وراء هذه العبارة بالذات ، هل هناك رجل فى حياتها.

لم يكن فى حياتها أحد. قضت أغلب أوقاتها فى السفر من أجل جريدتها القديمة قبل أن تصبح كاتبة الافتتاحية فى الجريدة التى تعمل بها الآن . وكان ذلك عملا مثيرا للاهتمام ، وممتعا جدا . وانقضت السنوات السبع التى تلت الجامعة دون أن تدرك ذلك .

وعادا إلى بيتها سيرا على الأقدام . وفى أول منعطف أمسك كل منهما

بيد الآخر ، ودعته إلى تنـاول كأس أخيـرة، وهى تفخم كلمة الكأس الأخيرة شيئا ما.

وبينما كان يعد الشراب ، اشعلت النار فى المدفأة ، وجلسا جنبا إلى جنب، ينظران إلى النار.

احتـفظ ستـيف بذكرى حادة عن هذه الليلة وعن الطريقة التى راحت النار ترسل وهجها على شـعرها ، فيجعله يلمع كالذهـب ويضىء ابتسـامتها الجميلة النادرة، وأوشك أن يأخذها بين ذراعيه ولكنه قبلها فحسب ، وبرقة وهو ينصرف قائلا:

- إذا كنت حرة يوم السبت ...

- أنا حرة .

- سأتصل بك فى الصباح .

وعرف وهو فى طريق العودة أن وحدته فى هاتين السنتين الأخيـرتين سـوف تتبدد .. «إذا حدث وتركتك ذات يوم » لا تتركينى أبدا ياشارون .

كانت السـاعـة قد بلغت الثـامنة إلا الربع عندما دخل رقم ١٣٤٧ بشـارع الامريكتين . ولم يكن من عادة موظفى «الحوادث» التبكير ، فكانت الممرات مقفرة حياه الحارس امام المصعد ، وصعد الى مكتبه بالطابق السادس والثلاثين واتصل ببيته تليفونيا.

أجابته السيدة لوفتس اوه « نيل » على ما يرام ، وهو يتناول طعام افطاره .. ابوك هو الذى يتكلم يا نيل.

أمسك نيل السماعة وقال : هالو أبى .. متى تعود الى البيت؟

- فى الثامنة والنصف فلدى اجتماع فى الساعة الخامسة من بعد الظهر هل سيذهب السيد لوفتس وزوجته الى السينما؟

– نعم اظن ذلك .

– ستكون شارون فى البيت قبل الساعة السادسة لكى يمكنهما الانصراف

قال نيل في لهجة محايدة اعرف ذلك فقد سبق ان اخبرتني.

– حسنا طاب يومك يا صغيرى تدفأ جيدا فالجو قد بدأ يبرد. هل تساقط الثلج عندكم؟

– كلا . ولكن الجو مكفهر بعض الشىء .

– حسنا إلى المساء اذن .

– إلى اللقاء يا أبى .

قطب ستيف حاجبيه . شق عليه أن يتذكر الزمن الذى كان نيل فيه فتى كله مرح ونشاط .. غير موت نينا كل شىء . وأراد أن يتقرب كل من «نيل» و«شارون» من بعضهما ، وكانت شارون تبذل كل جهدها فى الواقع لكى تكسر تحفظ «نيل» ، ولكنه لم يخضع قيد انملة .. أو لم يخضع بعد على الأقل .

ولكن لابد من وقت .. لابد من الوقت لكل شىء . وتحول ستيف وهو يتنهد إلى المنضدة إلى خلف مكتبه وأمسك المقال الذى كتبه فى الليلة الماضية .

(٣)

غادر نزيل فندق بليتمور غرفته رقم ٩٣٢ فى الساعة التاسعة والنصف وخرج إلى الشارع الرابع والأربعين ، ومضى نحو الشرق إلى الشارع الثانى وكان الجو باردا والناس يسرعون وقد دفنوا أعناقهم في ياقات معاطفهم .

كان ذلك هو الجو الذى يناسبه والذى لا ينتبه فيه أحد إلى ما يفعل غيره .

كانت أول وقفة له فى محل للثياب المستعملة . لم يستقل أوتوبيسا أو أية وسيلة أخرى من وسائل المواصلات ، فقد رأى أن يمشى لأن ذلك يساعده على جريان الدم فى عروقه وعلى البقاء دائم النشاط .

لم يكن بالمحل سوى البائعة العجوز ، سألته قائلة :

– هل تريد شيئا معيناً ؟

– كلا أريد أن ألقي نظرة .

واقترب من علاقات المعاطف القديمة وراح يقلب بينها ، واختار معطفا فضفاضا من الصوف الرمادى ، وبدا له طويلا وكانت شارون طويلة القامة ، وكان هناك رف من الايشاربات ، أخذ واحدا منها كبير الحجم ولونه أزرق باهت .

ودست البائعة مشترياته فى حقيبة من البلاستيك .

ودخل محلا آخر بجواره يبيع مخلفات الجيش واشترى كيسا أزرق من القماش السميك . وقد اختاره بعناية قصوى ، كبيرا بحيث يحتوى على الغلام، وسميكا بحيث لا يمكن لأحد أن يخمن مافيه وواسعا بحيث يكون به مايكفى من الهواء حتى يعقد الحبل .

ومن محل آخر اشترى ست لفافات عريضة من القطن ولفافتين من الدوبارة وعاد بكل مشترياته إلى الفندق . وكان الفراش قد اعيد ترتيبه ، وتأكد بنظرة واحدة أن الخادمة لم تلمس الدولاب ، فقد كانت أحذيته وكل شيء آخر فى نفس الوضع الذى تركها فيه قبل أن يغادر الغرفة والحقيبة السوداء ذات القفل المزدوج في نفس المكان من ركن الدولاب .

واغلق باب الغرفة بالفتاح ، ووضع مشترياته فوق الفراش واخرج الحقيبة السوداء من الدولاب وهو يتوخى كل الحرص ، وألقاها بجوار الفراش وأخذ مفتاحا من محفظته ، وفتح الحقيبة .

وفحص كل ما بها بعناية كبيرة : الصور الفوتوغرافية والبارود والمنبه والاسلاك الرفيعة والمفجر والسكين والمسدس . واذ احس بالارتياح عاد وأغلق الحقيبة .

غادر الغرفة ومعه الحقيبة والكيس البلاستيك . واجتاز البهو الداخلي لبليتمور، وسلك السرداب الأرضي الذي يفضي إلى الدور العلوي لمحطة جراند سنتراك ، وكان جمهور مسافري الصباح قد تخفف ولكن لا يزال هناك الكثير من الناس يتسارعون عند رحيل ووصول القطارات ويجتازون المحطة لبلوغ الشارع الثاني والأربعين أو شارع بارك ، ويتباطأون أمام محلات النفق أو شبابيك تذاكر الرهان المشترك أو اكشاك الخدمة الذاتية أو اكشاك الجرائد .

هبط بخطوات نشطة نحو الدور السفلي ووجد نفسه على الرصيف رقم ١١٢ حيث تصل وتنطلق قطارات مونت فرنون . لم يكن هناك قطار يتوقع قبل ثماني عشرة دقيقة ، وكان الرصيف مقفرا . وتأكد من نظرة واحدة أنه ليس هناك أي حارس ينظر ناحيته ، واختفى في السلالم التي تهبط حتى الرصيف .

الرصيف يدور في حلقة نصف دائرية حتى نهاية الخط الحديدي ومن الناحية الأخرى هناك سلم يؤدي إلى أعماق المحطة . اتجه نحو السلم في خطى سريعة . كانت المحطة تعج بآلاف المسافرين ما بين مقبل ورائح . أما هنا فقد كانت توجد مولدات كهربائية تهتز ومراوح تهدر وترشح الأرض بماء رطب ، واشكال هزيلة صامتة لقطط عجفاء، تتسلل خلسة من الفندق الذي يؤدي إلى شارع بارك . وضجة صماء ومستمرة تصدر من الخط الحديدي المساعد حيث تأتي القطارات ، تدور وتصفر قبل أن تنطلق .

وتابع هبوطه حتى بلغ أسفل سلم حديدي فصعد الدرجات في خطوات خفيفة وهو يضع قدما بعد الأخرى في حرص ، فقد كان أحد الحراس يأتي من وقت إلى آخر ويلقي نظرة فاحصة .

ويقع في آخر منبسط صغير باب حديدي ثقيل فألقى الحقيبة والكيس على الأرض في رفق ، وبحث عن المفتاح في محفظته وأدخله في القفل في عجلة وانفعال واستجاب لسان القفل في شيء من التردد ثم انفتح الباب .

كان الظلام حالكا فى الداخل ، وتحسس طريقه بحثا عن مفتاح الاضاءة وانحنى دون أن يتخلى عنه ، ووضع الحقيبة والكيس فى الغرفة وأغلق الباب فى صمت.

كان الظلام حالكا واستطاع بكل جهد أن يتبين حدود الغرفة . التى تسودها رائحة عفن ، حاول أن يتغلب على توتره وهو يطلق تنهيدة طويلة . وأرهف أذنيه لأصوات المحطة ، ولكنها كانت بعيدة جدا ولم يكن فى الاستطاعة تمييزها إلا إذا بذل جهداً خارقاً من أجل ذلك .

كان كل شيء على مايرام .

ضغط على مفتاح الكهرباء فأضاء الغرفة نور كئيب . كان الغبار يغطى السقف وألقت الجدران ظلالها فى الأركان وكانت الغرفة طويلة وضيقة ، جدرانها مبنية بالأسمنت . وعلى يسار الباب سطلان كبيران من الخشب للغسيل ، وقطرات الماء التي تساقطت من الصنابير حفرت قنوات من الصدأ فى ركام القذارة السميكة . وفى وسط الغرفة ألواح خشبية غير متساوية وركن يضم جهازا على شكل مدخنة ومصعدا للأطباق ، وهناك باب ضيق فى آخر الغرفة ، يكشف عن دورة المياه.

كان يعرف أن كل شيء يعمل ، فقد أقبل فى الأسبوع الماضى إلى هذه الغرفة لأول مرة بعد عشرين عاما ، وتحقق من النور والمواسير . دفعه شيء إلى المجيء هنا . ذكره شيء بهذه الغرفة عندما خطط لخطته .

كان هناك سرير ميدانى معوج أمام الحائط فى آخر الغرفة وقفص صغير بجواره . وقد أزعجه أمرهما ، ادرك أن بعضهم قد اكتشف الغرفة ذات يوم واقام فيها ، ولكن الغبار الذى على الفراش ودرجة الرطوبة كانا الدليل على أن المكان ظل مغلقا شهورا طويلة ، وربما لسنوات .

لم يأت إلى هنا منذ بلغ السادسة عشرة من عمره ، أى نصف حياته حتى الآن كانت هذه الغرفة عندئذ ملحقة ببار أويستر ، وتقع تحت مطبخ المطعم بالذات . وكان المصعد الصغير القديم ينقل جبالا من الأطباق القذرة لكى يتم غسلها فى السطلين الكبيرين ثم تنظف بعد ذلك ويعاد رفعها إلى المطعم من جديد .

يوم الأربعاء .. صباح يوم الأربعاء ، وفى الساعة الواحدة والنصف ، أى بعد ثمان واربعين ساعة بالتحديد ، سينتقل بالطائرة إلى الاريزونا، حيث لا يعرفه أحد، فهو لم يعد فى أمان ابدا فى مدينة كارلى ، فهم يلقون عليه الكثير من الاسئلة .

ولكنه ، هناك ، ومع النقود ستختفى العيون ، وإذا كانت شارون تحبه فسوف يصطحبها معه .

وضع الحقيبة فى حرص على الأرض ، أمام الفراش ، وفتحها ، وأخرج مسجل الصوت الصغير وآلة التصوير ودسهما فى الجيب الايسر لمعطفه الاسمر القديم ووضع السكين والمسدس فى الجيب الأيمن ، ولم يظهر أى انتفاخ ظاهر فى الجيبين .

وتناول الكيس البلاستيك ووضع مابه فوق الفراش فى ترتيب المعطف والايشارب والحبل والقطن واللفافات. ثم وضع الجميع فى الكيس الأزرق . اخرج الصور الكبيرة الملفوفة فى عناية وفكها وبسطها وهو يجرى عليها بيديه لكى يخفى ما بها من ثنيات، وتباطأت عيناه وارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة .

وضع الصور الثلاث الأولى على الحائط فوق الفراش ، وثبتها بالشريط اللاصق ، وتأمل الصورة الرابعة قبل ان يلفها فى بطء وهو يقول : ليس بعد .

راح الوقت يمر ، دفعه الحرص أن يطفىء النور قبل ان يفتح الباب ببضعة سنتيمترات واصغى عندما لم يسمع شيئا تسلل الى الخارج فى صمت ومر أمام

المولدات الكهربائية التى تهتز والمراوح التى تهدر ، واجتاز النفق وصعد السلم ودار بالخط الحديدى لمونت فرنون وصعد الى الدور السفلى لمحطة جراند سنترال، وهناك اختلط بالجمهور رجلا كغيره من البشر واسرع وفي يده تذكرة الى الدور العلوى حيث ينطلق القطار الى كارلى بكونكتيكت .

(٤)

كان «نيل» ينتظر أتوبيس المدرسة فى آخر الشارع وهو يعرف ان مدام لوفتس تنظر إليه من النافذة ، وكان يمقت هذا فليس هناك من يراقب ايا من اصدقائه كما تراقبه مدام لوفتس كأنه لا يزال فى الحضانة وليس فى مدرسة كبيرة .

كان ساندى باركر فى الفصل الثامن يقيم فى شارع أبعد ، ولكنه يستقل السيارة من هذا الموقف يود دائما ان يجلس بجوار نيل الذى يفضل ان يجلس فى مكان آخر لأنه كان يتكلم عن أشياء كثيرة لا يريد سماعها.

وعندما اقبلت السيارة ظهر ساندى لاهث الانفاس ، وجلس بجوار نيل وقال له:

– رأيت أباك اليوم في التليفزيون وانا اتناول الافطار ، والسيدة التى رأيتها معكما .. شارون مارتن ، وكانا يتجادلان .

– ولماذا ؟

إنها تعتقد انه لا ينبغى اعدام المجرمين فى حين يرى أبوك العكس .

ويقول أبى انه على حق ويقول ان الرجعى الذى قتل امك يجب ان ينفذ فيه حكم الاعدام .

تحول « نيل » الى النافذة ، وضغط جبينه على لوح الزجاج البارد . كان يفكر فى مساء اليوم . لم يكن يحب البقاء بمفرده مع آل لوفتس . كانا ظريفين معه ، ولكنهما يتعاركان كثيرا ، فقد كان مستر لوفتس يمضى إلي الحانة المجاورة ،

وكانت السيدة لوفتس تغضب ، حتى وهى تحاول اخفاء شعورها أمام « نيل » .

سأله ساندى : ألست مسرورا انهم سيقتلون رونالد تومبسون يوم الأربعاء ؟

اجاب نيل فى صوت خافت : كلا انا لا أفكر فى ذلك ولم يكن هذا صحيحا ، فقد كان يفكر فيه بل ويحلم به دائما نفس الحلم . كان يلهو بقطاراته فى غرفته بالطابق العلوى . وكانت امه فى المطبخ . منهمكة فى ترتيب اكياس التموين . وبدأ الليل يهبط ، وخرج احد قطاراته عن الخط فقطع التيار .

فى تلك اللحظة سمع صوتا غريبا أشبه بصرخة لم تكن صرخة عالية ، فهبط الدرج مسرعا . وكان الصالون مظلما تقريبا ، ولكنه رآها ... رأى امه تحاول ان تقصى عنها رجلا بذراعيها ، وكانت تصدر عنها اصوات بشعة مختنقة . وكان الرجل يلف شيئا حول عنقها .

بقى « نيل » واقفا على عتبة الباب . اراد ان يساعدها ، ولكنه لم يستطع ان يتحرك . اراد أن يصرخ طالبا النجدة ولكن صوته احتبس فى حلقه . وراح يتنفس كما تفعل امه مقرقرة . ثم تخاذلت ساقاه ، واستدار الرجل وهو يسمعه وترك أمه تقع على الأرض .

ووقع « نيل » هو الآخر ، ثم اصبحت الغرفة اكثر اضاءة كانت امه طريحة فوق الارض وقد خرج لسانها وازرق لونها وثبتت عيناها وكان الرجل راكعا بجوارها ويداه على عنقها ورفع عينيه نحو نيل وهرب ولكن نيل استطاع ان يرى وجهه جيدا يغطيه العرق ويرتسم عليه الفزع .

اضطر نيل إلى ان يذكر كل شىء لرجال البوليس ، وان يتعرف على الرجل اثناء المحاكمة ، ثم قال له ابوه بعد ذلك حاول ان تنسى كل شىء وتذكر كل ايامك السعيدة مع ماما يا نيل ولكنه لم يستطع كان يرى دائما نفس الحلم ، ويستيقظ وهو فى نوبة من الربو.

والآن قد يتزوج ابوه من شارون وأخبره ساندى ان الجميع يرددون ان اباه سوف يتزوج شارون ، كما قال له ان ما من زوجة تحب اولاد الزوجة السابقة، خصوصا اذا كانوا مصابين بالمرض وكان آل لوفتس يتكلمان طوال الوقت عن رحيلهما الى فلوريدا وتساءل نيل اذا كان أبوه سيتركه مع آل لوفتس عندما يتزوج شارون، وتمنى ألا يفعل وأحس بأنه تعيس فنظر من النافذة وقد تاهت افكاره بحيث ان ساندى دفعه بكتفه لأن السيارة توقفت امام المدرسة.

(٥)

وقفت سيارة الأجرة أمام مبنى جريدة «نيو ديسباتن» فى الشارع الثانى والأربعين ، نقدت شارون السائق أجره. كان الثلج قد انقطع عن السقوط ولكن الجو أخذ يزداد برودة . مضت إلى صالة التحرير التى كانت تطن بالإعداد لطبعة بعد الظهر ، رأت مذكرة على مكتبها تقول إن رئيس التحرير يريد أن يراها فورا .

اسرعت باجتياز الصالة الصاخبة، وكان رئيس التحرير وحده أمام مكتبه الصغير الغاص بالأوراق ، وقال لها : ادخلى واغلقى الباب ثم أشار لها أن تجلس وهو يقول :

– هل اعددت مقال اليوم ؟

– نعم .

– انت تشجعين مضاعفة النداءات لحث المحافظ جرين على تخفيف الحكم الصادر على تومبسون ، أليس كذلك؟

– طبعاً . لقد فكرت فى ذلك ، وسأغير المقدمة ، لقد قالت مدام جرين إنها ترفض أن تمنح مهلة أخرى لتنفيذ الحكم لكى تساعدنا ، لأن هذا قد يدفع الكثير من الناس إلى العمل أكثر ، فمازال أمامنا ثمان وأربعون ساعة .

– دعك من هذا .

نظرت شارون إليه مشدوهة وقالت : كيف هذا؟ لقد ساندتنى دائماً فى هذه القضية .

– قلت لك دعك من هذا لأن مدام جرين اتصلت بالمدير وهددته بالإطاحة به محتجة بأننا نثير الرأى العام لكى نضاعف مبيعات الجريدة وقالت انها ليست من أنصار حكم الاعدام ، ولكن لا يحق لها التدخل فى حكم القضاء بدون أدلة جديدة. واضافت أننا إذا وددنا القيام بحملة لتعديل الدستور فان ذلك من حقنا وانها ستؤيدنا ولكن ضغوطنا لكى تتدخل فى قضية خاصة تعنى تدخلا غريبا فى اجراءات العدالة ، وقد اضطر المدير أخيرا إلى الرضوخ .

احست شارون بمعدتها تتقلص كأن شخصا ضربها . خشيت أن تضطر إلى افراغ مافى معدتها ، ولكنها ضغطت على شفتيها وغالبت التقلص الذى تعانى منه، وألقى رئيس التحرير اليها نظرة قلقة وقال:

– ما الخبر ياشارون؟ . انت شاحبة اللون تماما.

ابتلعت مذاق المرارة بصعوبة وقالت : أنا على مايرام.

– يمكننى أن أجد شخصا لكى يقوم بالريبورتاج الخاص باجتماع الغد يجب أن تستريحى بضعة أيام .

– كلا .

– تعرف أن نقاش المجلس التشريعى لولاية الماساشوسيت سيدور حول إلغاء عقوبة الاعدام وأنا متمسكة بحضوره .

– كما تريدين. سلمى مقالك وعودى إلى بيتك .

واردف يقول فى لهجة حانية : آسف ياشارون، فأى تعديل دستورى لن يتم قبل سنين. وقد خطر لى أننا إذا استطعنا أن نحمل مدام جرين على أن تكون أول

من يؤيد تخفيف حكم الاعدام فانه يمكننا أن نتبع نفس الإجراءات فى كل مرة . ولكننى افهم موقفها .

صاحت شارون : وأنا أفهم أن الجريمة المشرعة لن تعارض إلا فى معناها فحسب .

ومن غير أن تنتظر رده ، نهضت وغادرت الغرفة، وعادت إلى مكتبها، وأخذت من جيب حافظتها المقال الذى قضت وقتا كبيرا من الليل فى كتابته ومزقته إلى قطعتين ثم إلى أربع ثم إلى ثمان وألقت به فى سلة المهملات .

وأخذت ورقة بيضاء ووضعتها فى الآلة الكاتبة وبدأت تكتب من جديد «مرة أخرى سيمارس المجتمع امتيازا كان قد حصل عليه منذ عهد قريب وهو حق القتل، مع أن الفيلسوف الفرنسى فلوتير قال منذ مائتى سنة : «أنا لا اقترح بالطبع تشجيع جريمة القتل وانما ألا من وسيلة للقصاص دون اللجوء إلى جريمة قتل أخرى ؟! ».

«وإذا كنتم ترون أن ينص الدستور على إلغاء حكم الاعدام ...»

وقضت ساعتين وهى تكتب ، وتشطب فقرات كاملة وتضيف عبارات غيرها وتعدل . وما إن انتهت من المقال حتى أعادت كتابته وسلمته لإدارة التحرير ثم غادرت مبنى الجريدة ، واستدعت سيارة أجرة وقالت للسائق أن يقلها إلى الشارع الخامس والتسعين ، غرب حديقة سنترال بارك.

ونقدت السائق مقابلا كبيرا ثم دخلت مسكنها ، كان من الواضح أن خادمتها انجى التى تأتيها يومين كل أسبوع قد غادرت البيت لتوها ، فقد كان المكان لايزال يعبق برائحة الشمع، كان المسكن يعطيها دائماً الإحساس بالهدوء والأمان، خاصة السجادة الشرقية القديمة التى كانت ملكا لجدتها والتى بهتت بشكل محبب وقد كست هى نفسها الاريكة والمقعد باللون الأزرق . أما اللوحات والصور

الملاصقة للجدران وفوق المدفأة فقد اشترتها شيئا فشيئاً من تجار الأشياء القديمة، ومن صالات المزادات أثناء رحلاتها إلى أوروبا .

كان ستيف يحب هذه الغرفة وكان يلاحظ في كل مرة أقل تغيير بها . فيقول لها : ان لك موهبة حقيقية في تدبير شئون البيت .

دخلت غرفتها بحركة ميكانيكية ، وبدأت تنضو عنها ثيابها . سوف تغتسل ثم تعد فنجانا من الشاى وتحاول أن تنام قليلا ، فهى الآن غير جديرة بأن تفكر بطريقة مترابطة .

وكان الوقت ظهرا عندما استلقت فوق الفراش ، وضبطت المنبه لكى يوقظها فى الثالثة والنصف ، ولكن النوم جافاها مدة طويلة، حيث راحت تفكر فى رونالد تومبسون . كانت متأكدة من أن المحافظ سيخفف حكمه . لم يكن هناك أى شك أنه مذنب ، وقد أضره انكاره ولكن فيما عدا قصة قديمة تعرض لها وهو فى الخامسة عشرة من عمره كانت صحيفة سوابقة ناصعة. ثم أنه كان صغير السن.

أما ستيف فكان من نوع الرجال الذين يصنعون الرأى العام . وكانت سمعته واستقامته واخلاصه هى التى تجذب اليه اهتمام الناس .

هل تحب ستيف ؟ نعم .. بل تحبه كثيرا.

هل ترغب فى أن تتزوجه ؟ كان يجب أن يتحدثا عن ذلك الليلة فهى تعرف أنه لهذا السبب يريدها أن تبقى فى بيته الليلة ، إنه يتمنى أن يتعلق «نيل» بها ، ولكن نيل كان على حذر منها ، ولا يأمن اليها كثيرا ، فهل هذا لأنه لا يحبها أو أنه يتصرف هكذا مع كل النساء اللاتى يحاولن إبعاد أبيه عنه .

وغفت أخيرا، وعلى الفور راحت تحلم . كانت تكتب مقالا ، من المهم أن تفرغ منه . ولكنها رغم محاولاتها ، ورغم انها كانت تعالج ملامس الآلة الكاتبة بكل قواها فلم تظهر على الورقة أية كلمة . دخل ستيف عندئذ ، وكان يجر شابا من

ذراعه ، وارغمه على الجلوس وهو يقول : «أنا آسف ، ولكن لابد من ذلك ، ويجب أن تفهم أنه أمر ضروري ». وبينما حاولت شارون أن تصرخ عبثا كان ستيف يقيد قبضتي الشاب وساقيه بالسلاسل ، ويرفع يده نحو مفتاح الكهرباء .

وايقظها من نومها صوت خشن .. ولم يكن غير صوتها هي بالذات وهي تصرخ قائلة : كلا ، كلا ، كلا .

(٦)

لم يكن في شوارع مدينة كارلي بولاية كونكتيكت ، في الساعة الخامسة إلا خمس دقائق غير بضعة أشخاص يلجأون داخل المحلات ولا شاغل لهم إلا الفرار من برد الليل وتساقط الثلج .

ولم يلحظ أحد الرجل الواقف في أحد أركان موقف السيارات . كان الثلج يلفح وجهه ، وظل يفحص المكان دون انقطاع . إنه يقف في مكانه هذا منذ عشرين دقيقة وقد تجمدت قدماه .

غير من وضعه في استياء ، واصطدم طرف حذائه بكيس القماش الذي عند قدميه ، وتحسس السلاحين اللذين في جيب معطفه ، ثم هز رأسه في ارتياح.

سيأتي آل لوفتس مابين لحظة وأخرى . وكان قد تأكد من أنهما سيتناولان طعام العشاء ثم يدخلان السينما المجاورة لمشاهدة فيلم ذهب من الريح الذي سيبدأ في الساعة السابعة .

وتوتر في مكانه ، فقد دخلت سيارة الموقف، انها سيارتهما . رآهما يدخلان المطعم ، هنا التقط الكيس واجتاز الموقف وأسرع إلى خلف السينما وهو يحرص ألا يراه أحد .

كانت هناك نحو خمسين سيارة مركونة فاتجه إلى سيارة من طراز شيفروليه،

فى آخر الموقف ، ولم يتطلب منه فتح بابها أكثر من دقيقة ، وجلس أمام عجلة القيادة ، وسرعان مادار المحرك فى هدير خافت وابتسم الرجل ابتسامة خاطفة ثم انطلق بالعربة . وكان الشارع مقفرا . ومر أمام السينما دون أن يضىء المصابيح، وبعد أربع دقائق توقف فى شارع «دريفتوود» ، خلف عربة صغيرة من طراز «فيجان» فى الممر الدائرى لبيت ستيف بيترسون .

(٧)

تستغرق الرحلة من مانهاتن إلى كارلى عادة أقل من ساعة . ولكن التوقعات الجوية دفعت سكان الضواحى إلى مغادرة نيويورك قبل المعتاد ومع كثافة المرور وطبقات الجليد على الطريق قضت شارون ساعة وعشرين دقيقة تقريبا لكى تصل إلى بيت ستيف . ولكن هذا البطء المحنق لم يهمها فى شىء ، وانما كانت تفكر فيما ستقوله لستيف فحسب «لن نفلح معا ، فليست لنا نفس الآراء، ولن يتقبل «نيل» الأمر أبدا .. وسيكون من السهل ألا يرى أحدنا الآخر بعد اليوم .»

كان بيت ستيف لا يشعرها بالارتياح ، فهو مشيد بالخشب الأبيض ، والأبواب سوداء على نمط بيوت الاستعماريين . وكان نور الشرفة ساطعاً ، والأشجار مرتفعة ، بطول الجدران ، وكانت شارون تعرف أن ستيف ونينا عاشا فيه بضعة أسابيع قبل موت المرأة الشابة ، وانه لم يفكر فى ادخال أى تعديل فيه منذ أن اشتراه.

ركنت عربتها بجوار درجات المدخل ، واستعدت دون وعى إلى حرارة استقبال مدام لوفتس وفتور «نيل» ، ولكنها ستكون المرة الأخيرة ، وضاعفت هذه الفكرة حزنها.

كان واضحا أن السيدة لوفتس كانت تترقب حضورها لأن الباب انفتح قبل أن تهبط شارون من سيارتها : «يسرنى أن اراك ياآنسة مارتن.» ملأ جسد المرأة البدينة عتبة الباب . كانت بوجهها ذى الملامح الدقيقة وعينيها البراقتين والغريبتين

أشبه بوجه السنجاب . كانت ترتدى معطفا ثقيلا من الجوخ الأحمر وحذاء من الكاوتشوك .

- صباح الخير ياسيدة لوفتس .

قالت هذه الأخيرة : إنها لمكرمة منك أن أتيت ياآنسة مارتن . نيل ، قل صباح الخير لشارون .

رفع الغلام عينيه فى غير اكتراث وقال فى صوت خافت مرتبك : صباح الخير ياشارون.

كان يبدو صغيرا جداً ، وحزيناً جداً ونحيلا ، كادت شارون تأخذه بين ذراعيها ولكنها كانت تعرف أنه سيصدها .

وسعلت السيدة لوفتس وقالت : الحق اننى لا أفهم شيئا لقد أخذ يبكى منذ بضع دقائق ورفض أن يذكر السبب . لا أعرف أبدا ما يدور فى ذهن هذا الرأس الصغير .. بيل !

وصرخت بتلك الكلمة الأخيرة بصوت مرتفع جدا بحيث صم اذنى شارون ، فمضت وانضمت إلى «نيل» فى غرفة الصالون وسألته قائلة : ماذا تقطع؟

- اوه ، لا شىء .. بعض صور الحيوانات .

ولم ينظر اليها وهو يتكلم ، عرفت أنه تضايق لأنها رأته يبكى ، وقالت :

- سأصب لنفسى كأسا ثم استطيع أن اساعدك إذا اردت .. أتريد زجاجة كولا أم شيئاً آخر؟ .

- كلا . ثم اردف مترددا فى لهجة نادمة : شكرا .

وقالت السيدة لوفتس . تصرفى كأنك فى بيتك . ستجدين شرائح اللحم والسلاطات والخضر ، وكل ذلك فى الثلاجة . أرجو أن تلتمسى لى العذر لتعجلى ، ولكننا سنتناول العشاء فى المطعم قبل السينما .. بيل .

- انني قادم .

كان الصوت يدل على الاستياء الشديد . وصعد بيل لوفتس من القبو وهو يقول: كنت اتحقق من النوافذ . أردت أن أعرف إذا كانت موصدة جيدا . مساء الخير ياآنسة مارتن .

- مساء الخير ياسيد لوفتس .. كيف حالك ؟

كان رجلا فى نحو الستين من العمر، قصير القامة وبدين الجسم ، شاحب العينين، تدل ملامحه على ميله للشراب . قالت زوجته فى فروغ صبر :

- هل ستسرع يابيل أم لا ؟ انت تعرف اننى أمقت تناول الطعام على عجل ، وسوف نتأخر . فالمرة الوحيدة التى خرجت فيها معك كانت بمناسبة عيد زواجنا . يمكنك على الأقل أن تسرع .

قال بيل وهو يحيى شارون بإيماءة من رأسه حسنا .. إلى اللقاء ياآنسة مارتن.

قالت شارون : استمتعا بوقتكما، وعيد زواج سعيد .

- خذ قبعتك يابيل وإلا فسوف تصاب بالبرد .. اوه ، شكرا ياآنسة مارتن ، ما إن أجلس أمام طبقى حتى أشعر حقا بأننى احتفل بعيد زواجنا . ولكننى الآن مع كل هذا الهرج والمرج ..

- دورا ، انت التى اردت رؤية هذا الفيلم .

- حسنا . اننى على استعداد . اتمنى لكما قضاء وقت ممتع .

وخرجا أخيرا . وسرت رعشة باردة فى كيان شارون على عتبة الباب قبل ان تغلقه وراءهما . وعادت إلى المطبخ وفتحت الثلاجة وأخذت زجاجة الشيرى ، وترددت ، ثم اخرجت زجاجة اللبن . كان نيل قد أخبرها بأنه لايريد شيئا ولكنها ستعد له قدحا من الشيكولاتة الساخنة .

جرعت كأسها ريثما يغلى اللبن ، ثم ألقت نظرة حولها . كانت السيدة لوفتس تبذل جهدها ، ولكنها لم تفلح فى تدبير شئون البيت، فالمطبخ لم يكن نظيفا تماما، وسطح البوتاجاز كان فى حاجة إلى التنظيف .

كان سطح البيت يطل على البحر . فكرت أنه يجب قطع تلك الأشجار التى تحجب الرؤية ، وان تسور الشرفة بألواح من الزجاج لكى توسع الصالون ، وأن ترفع الفواصل وتقيم ركنا لتناول طعام الافطار . ولكنها لم تلبث أن استدركت وقالت إن كل هذا ليس من شأنها .

غمرها الحزن وهى تفكر فى أنها لن ترى ستيف بعد ذلك ، ولن تنتظر مكالماته التليفونية ، ولن تشعر بذراعيه تطوقانها ، لا ريب ان هذا الحزن الذى تشعر به هو نفس ماتشعر به السيدة تومبسون . كانت قد أخذت منها حديثا عندما قررت الاهتمام بقضية رون . وقد حاولت فى الآونة الأخيرة أن تلتقى بها وان تخبرها بأن كثيرين من الشخصيات المرموقة التى تشغل مراكز مهمة وعدوا بالتدخل لدى المحافظ ، لكنها لم تجدها أبدا فى بيتها ، يالها من امرأة مسكينة حقا ، فقد كانت تتمنى الكثير من زيارة شارون لها ولكنها انزعجت كثيرا عندما علمت أن الصحفية لا تؤمن ببراءة ابنها .

ولكن من هى الأم التى يمكن أن تصدق ان ابنها جدير بارتكاب جريمة قتل . لعلها فى بيتها الآن . ويسرها أن تتكلم معها لمحاولتها انقاذ رون ؟

خفضت شارون الشعلة تحت الاناء ، ومضت إلى التليفون، واجابها صوت السيدة تومبسون فى هدوء : آلو .

– أنا شارون مارتن . أريد أن اعبر لك عن حزنى الشديد وان أسألك ان كان هناك ما أستطيع أن أفعله .

– لقد فعلت ما يكفى ياآنسة مارتن ، وإذا مات ابنى يوم الأربعاء فاعلمى اننى احملك المسئولية ، فقد سبق أن طلبت منك عدم التدخل .

دهشت شارون للمرارة التى فى صوت المرأة وقالت :

– لا أفهم ماذا تعنين .

– اعنى انك رددت فى كل مقالاتك انه ليس هناك أى شك فى جرم رونالد ، ولكن ليست المسألة كذلك ياآنسة مارتن فهناك الكثير من الناس يعلمون أن ابنى لايستطيع ارتكاب جريمة قتل . وقد منعت انت المحافظ من أن يفحص حالته فى حدود الوقائع . ونحن لا نستسلم ، واعتقد أن الله لن يتخلى عنى ، ولكن إذا حدث ومات ابنى فلا ادرى ما سوف أفعل بك .

وانقطعت المكالمة . وحدقت شارون فى السماعة التى فى يدها .. كيف يمكن ان تعتقد السيدة تومبسون حقا . واعادت السماعة مكانها فى حركة آلية .

كان اللبن يغلى فى الاناء فأخذت علبة الشيكولاتة ووضعت ملعقة منها فى الكوب ثم سكبت اللبن فوقها .

وطرق الباب فى هذه اللحظة ، فأسرع « نيل » الى الباب قبل ان تتمكن من ايقافه وقال فى ارتياح : لعله بابا .

وفكرت شارون : انه لايريد البقاء معى .

سمعته يرفع المزلاج فقالت : انتظر يا «نيل» سل من الطارق فان اباك معه مفتاح .

ووضعت كوب الشيكولاتة وكأس الشيرى فوق المائدة واسرعت الى الباب ، وأطاعها «نيل» وقال وهو يضع يده على المزلاج : من الطارق ؟

وساله صوت : هل السيد لوفتس هنا ؟ لقد اتيته بالمولد الكهربائى الذى طلبه من أجل مكتب السيد بيترسون .

قال « نيل » يخاطب شارون : آه . هذا حسن جدا . السيد لوفتس كان ينتظره.

وادار اكرة الباب ، وماكاد يفعل حتى اندفع الباب فى عنف الى الخلف وصدم نيل بالحائط ونظر «نيل» فى ذهول الى الرجل الذى دخل وأغلق الباب خلفه مسرعا. ووقع « نيل » على الأرض وهو يكاد يختنق وأسرعت شارون اليه وساعدته على النهوض ونظرت الى الرجل وذراعاها حول الطفل .

وانطبع طابعان فى ذهنها بكل وضوح : اولهما : نظرة الرجل الثابتة التى يتطاير منها الشر ، والثانى المسدس الذى يصوبه نحو رأسها .

(٨)

امتد الاجتماع فى قاعة المحاضرات بمجلة الحوادث حتى الساعة السابعة والنصف ، وكان الموضوع الرئيسى الذى نوقش فى ذلك الاجتماع هو ان المجلة ازداد توزيعها بصورة ملحوظة . واعترف برادلى ، مدير الدعاية ، بأن الفضل فى ذلك راجع الى الادارة الخلاقة لستيف بيترسون .

وهبط ستيف ، بعد ان انفض الاجتماع فى المصعد مع برادلى قال ستيف بعد ان هبط بهما المصعد :

– شكرا يابرادلى . هذه مكرمة كبيرة منك . يجب ان ألحق الآن بقطار السابعة والنصف .

– دقيقة ياستيف رأيتك فى التليفزيون صباح اليوم ، أنت وشارون ، وقد كنتما رائعين حقا . واعترف بأننى اشارككما الرأى .

– وأناس آخرون يشاركوننا الرأى هم الآخرون .

– إننى احبها حقا ياستيف ، فهى فتاة ذكية وجميلة أيضا ، واعرف مامررت به طوال هاتين السنتين ، ولا أريد ان اتدخل فيما لايعنينى ، ولكن شارون ستكون

زوجة طيبة بالنسبة لك ، وستكون طيبة بالنسبة لنيل أيضا ، فلا تدع الشقاق مهما يكن سببه يفصل بينكما .

أجابه ستيف فى هدوء : هذه أعز أمنية لدى ، وأستطيع أن أكرس لها حياتى تماما ، فمركزى المالى يمكننى من أن أقدم لها كل مايسعدها ويتيح لها حياة هادئة .

- انها لفتاة محظوظة اذ تشاركك حياتك أنت و« نيل » . تعال فسيارتى فى الخارج ، وسأوصلك الى محطة سنترال الكبرى .

- عظيم . ان شارون بالبيت ولا اريد أن يفوتنى القطار .

كانت سيارة برادلى أمام الباب . وانطلق السائق بحذق ومهارة بين ازدحام المواصلات . واضطجع ستيف فى مقعده الى الوراء وتنهد . وقال برادلى: انك تبدو مرهقا ياستيف . لقد ارهقتك قضية تومبسون حقا . لماذا لا تصطحب نيل إلى مكان ما لبضعة أيام حتى ينتهى كل شىء .

فكر ستيف وقال : يجب أن أفعل ذلك . هذه فكرة طيبة حقا .

توقفت السيارة أمام المحطة ، وهبط ستيف . وهز برادلى رأسه وقال : انت صغير بحيث لا يمكن أن تتذكر ياستيف . ولكن محطة جراند سنترال كانت فى الثلاثينيات المحور الدائر لكل المواصلات فى هذا البلد ، بل ان الاذاعة اذاعت مسلسلا يدور حولها فى حينه اثار اعجاب الملايين .

ضحك ستيف وقال : ثم جاء عهد الطيران .

وفتح الباب وهو يقول : شكرا يابرادلى .

آخرج بطاقته الاجتماعية واجتاز المحطة مسرعا . وكان المتبقى على قيام القطار خمس دقائق فأراد أن يتصل تليفونيا بشارون ليتأكد أنها فى البيت ولم

تغير رأيها ، ودخل أحد الاكشاك التليفونية وظل جرس التليفون يصلصل دون أن يرد أحد .

راح ستيف ينظر إلى سماعة التليفون فى يده وهو يتساءل أين يمكن أن يكونا لو أن شارون عزمت على ألا تذهب إلى بيته لكلمته فى التليفون ، مالم تكن قد أصابت نيل أزمة ربو واضطرت إلى نقله إلى المستشفى .

ولم يكن ذلك بالأمر المستغرب إذا كان قد سمع أحدا فى المدرسة يتحدث عن حكم الإعدام على تومبسون ، خصوصا انه يرى فى الأيام الأخيرة كوابيس كثيرة تدور كلها حول ذلك الموضوع .

كانت الساعة قد بلغت السابعة وتسعا وثلاثين دقيقة ، ورأى أن القطار سيفوته لواتصل بالطبيب أو بالمستشفى ، ويضطر إلى الانتظار خمسا وأربعين دقيقة لكى يستقل القطار التالى .

واعاد السماعة واجتاز المحطة ركضا وهبط درجات السلم الذى يؤدى إلى الرصيف . وصعد إلى القطار وما كاد يفعل حتى اغلقت الأبواب .

وفى نفس اللحظة مر رجل وامرأة أمام كشك التليفون الذى غادره . وكانت المرأة ترتدى معطفا طويلا أخضر اللون ومستهلكا ويغطى وجهها شال أزرق قذر ، والرجل يطوقها بإحدى يديه ، ويمسك فى اليد الأخرى كيسا كبيرا من القماش الأزرق.

(٩)

حدقت شارون فى يدى الرجل القويتين المسكتين بالمسدس وتمتمت .

- ماذا تريد ؟

أحست فوق ذراعها بجسد «نيل» يهتز فى عنف فضمته إليها فى حين قال الرجل فى صوت رتيب · أنت شارون مارتن ، احست بغصة فى حلقها وبذلت

جهدها وقالت من جديد : ماذا تريد؟ وخشيت أن يستولى الخوف على «نيل» فيصاب بنوبة ربو، وحاولت أن تبدو متعاونة وقالت : معى تسعون دولارا فى حقيبتى و..

قاطعها الرجل فى برود : اسكتى .. غمى عينى الغلام وأوثقيه .

- كلا .. لا استطيع أن أفعل ذلك .

- بل من الخير لكما أن تفعلى ما أقول .

نظرت شارون إلى «نيل» . كان يحدق فى الرجل بعينين كابيتين وحدقتين متسعتين ، تذكرت أنه ظل وقتا طويلا فى هذه الحالة ، بعد موت أمه . كيف تساعده وتطمئنه .

وصاح الرجل به : اجلس .

رفع الغلام بصره إلى شارون متوسلا ، وجلس فوق آخر درجة من السلم دون احتجاج . وجثت شارون بجواره وقالت : لاتخف يا «نيل» فأنا معك . وأخذت إحدى اللفافات بيد مضطربة ثم لفتها حول عنقه وربطتها خلف رأسه .

ورفعت عينيها . كان الرجل يحدق فى نيل والمسدس مصوب اليه وسمعت تكة فجذبت الغلام إليها وجعلت من جسدها درعا له وقالت : كلا لا تفعل :

نظر الرجل اليها ، وخفض مسدسه فى بطء . وخطر لها أنه أوشك ان يقتل «نيل» وأنه مستعد لقتله . وقال فى شىء من الألفة : قيديه .

أطاعته بيدين مضطربتين ، وقيدت معصمى الغلام وهى تحاول قدر المستطاع ألا تضغط حتى لا تمنع سريان الدم . وبعد أن قيدت يديه ضمتهما بين يديها ومر الرجل خلفها وقطع الحبل بسكينة وقال اسرعى ، قيدى قدميه .

كان الانفعال يبدو فى صوته فأسرعت وأطاعت .. وكانت ركبتا «نيل» ترتعشان بشدة . وبعد أن فرغت من تقييده قال كمميه .

– ولكنه سيختنق . إنه مصاب بالربو .

مات الاحتجاج على شفتيها فقد تغيرت سحنة الرجل ، وبدا شاحب الوجه ، ومتوترا ، وعلى وشك أن يفقد أعصابه ، فكممت فم «نيل» يائسة ومرخية الرباط حول فمه بقدر ما استطاعت وهى تتمنى ألا يختنق .

أقصتها يد عنيفة عن الغلام ، فوقعت على صدره ، وجثا الرجل فوقها وغرز ركبته فى ظهرها ، وشد ذراعيها إلى الخلف وقيد معصميها بحيث أوشك الحبل أن ينغرز فى لحمها . وفتحت فاها لكى تشكو ولكنها أحست بقطعة من القماش حبست أنفاسها . ضغطها بعنف فوق فمها ووجنتيها ، وأوثقها خلف رأسها .

لم تستطع أن تتنفس وجرى بيديه على فخذها وضم ساقيها وقيد قدميها . وأحست بأنه يحملها . وانفتح الباب العمومى ، واحست بالهواء البارد والرطب يلفح وجهها . انها تزن ستين كيلو جراما ، ولكن الرجل هبط الدرجات الأمامية مسرعا كما لو أنه لا يحمل أكثر من ريشة . كانت الدنيا ظلاما ، ولا ريب أنه أطفأ الأنوار فى الخارج . وأحست بكتفيها تصطدمان بشيء بارد ومعدنى .. سيارة . وحاولت أن تتنفس بقوة من أنفها ألا تعود عينيها على الظلام . كان لابد لها أن تحتفظ بوضوح أفكارها وان ترتعب ، وأن تفكر .

صرير باب يفتح ، أحست بأنها تقع ، واصطدام رأسها بمنفضة سجائر مفتوحة . وارتطمت ركبتاها وساقاها بالأرضية . وكانت هناك رائحة عفن ، وادركت أنها فى المقعد الخلفى للسيارة .

وسمعت دبيب الخطوات وهى تبتعد ، عاد الرجل إلى البيت .. نيل؟ ماذا سيفعل به؟ حاولت أن تحرر يديها بكل طريقة ، ولكن وخزها ألم شديد ، وراح الحبل ينغرر فى معصميها . ومرت بضع دقائق ، ثم سمعت الخطوات تبتعد ، وانفتح الباب الأمامى والأيمن للسيارة . وألفت عيناها الظلام وتبينت هيئته . كان

يحمل شيئا ، كيس القماش . اوه ، رباه! كان «نيل» فى الكيس وكانت على يقين من ذلك .

وانحنى داخل العربة وألقى الكيس على المقعد ثم دفع به إلى الأرضية . وسمعت الصوت الأصم للكيس وهو يقع . سوف يصاب نيل بجروح وسوف يؤذيه . واقفل الرجل الباب ثم دار بالسيارة ولم يلبث المحرك أن دار وانطلقت العربة ، فأين يمضى بهما؟

(١٠)

ألقى روجر بيرى نظرة شاردة من خلال نافذة الصالون إلى زقاق دريفتوود. كان الجو شديد البرودة فى الخارج ، وقد شعر بالارتياح فى البيت فقد عاد منذ ربع ساعة بينما الثلج يتساقط بقوة .

انه لأمر غريب ، فقد خامره احساس طوال اليوم بأن جليندا ليست فى حالتها الطبيعية . كان يطيب له منذ أسبوعين أن يقول لها إنها من هؤلاء النساء اللاتى يزددن جمالا كلما اقترىن من أعياد ميلادهن . ولكنه لاحظ صباح اليوم ، وهى تأتيه بقهوته انها شاحبة ، انها أصيبت بالهزال ، وقد اتصل بطبيب مكتبه صباح اليوم واتفقا معا أن حكم الاعدام الذى يجب تنفيذه يوم الأربعاء يؤرقها ، فان شهادتها ساعدت فى ادانة الشاب روناك تومبسون .

هز روجر رأسه . إنها قصة مرعبة حقا لذلك الشاب التعس، ولكل الذين تورطوا فيها . ستيف .. والغلام «نيل» وأم تومبسون ، وجليندا التى تحتمل هذه المحنة واصيبت بانسداد بعد أن ادلت بشهادتها فى المحكمة .

اقصى روجر عن ذهنه ان نوبة آخرى من السدة يمكن أن تكون مميتة ، فان جليندا لم تتجاوز الثانية والخمسين بعد وقد اسعده أنها قبلت أخيرا أن تلحق بخدمتها السيدة فوجلى لكى تهتم بشئون البيت ، وسوف تبدأ هذه الأخيرة العمل

ابتداء من الغد ، وتأتى كل يوم من الساعة التاسعة حتى الواحدة ، وبذلك تستطيع جليندا أن تستريح دون أن تنشغل بشئون البيت .

واستدار وهو يسمع جليندا تدخل الغرفة ، وكانت تحمل صينية صغيرة فقال : كنت سأقوم أنا بذلك .

– ما عليك . يبدو أنك بحاجة اليه .

وناولته كأسا من الويسكى ووقفت بجانبه أمام النافذة . وقال :

– أنا بحاجة اليها حقا ياعزيزتى ، وشكرا . هل انت على مايرام اليوم؟

– لا بأس بى .

– هل تناولت الأقراص؟

– تناولت قرصين . لا تنزعج ، فأنا على مايرام . أوه ، انظر ، هذا غريب . ان الأنوار خارج بيت ستيف مطفأة .

قال روجر: لقد بدا لى المكان مظلما مع اننى واثق ان الأنوار كانت مضاءة عندما عدت .

قالت جليندا فى شىء من الانزعاج : اننى اتساءل من الذى أطفأها .

ان دورا لوفتس شديدة الانفعال ولعله يجب أن تمضى وتلقى نظرة .

– اوه لا استطيع أن أفعل هذا ياعزيزتى . لا ريب أن هناك سببا بسيطا .

تنهدت وقالت : اعتقد ذلك . ولكن بسبب ماحدث فان الأمر يلح علىّ هذه الأيام.

– اعرف ذلك .

أحاط خصرها بذراعه فى حركة مشجعة كى يطمئنها . واحس بتوتر جسدها فقال : اجلسى واستريحى .

– انتظر ياروجر..

وانحنت إلى الخارج قليلا وأردفت : هناك سيارة تخرج من عند ستيف وأنوارها ليست مضاءة .

قال روجر في حزم : لا يشغلنك هذا الأمر ، تعالى واجلسى . سأمضى لاحضار بعض الجبن .

(١١)

تنهدت ماريان فوجلر عند نهاية عرض فيلم «ذهب مع الريح» ونهضت على مضض واستعادت شيئا فشيئا مشاكلها وهمومها وهى تخرج من السينما .

كان كل الأولاد بحاجة إلى ملابس جديدة، وقد حمدت الله أن جيم انتهى بأن رضى لها بوظيفة مديرة بيت جليندا ، وفى مقدوره طبعا أن يستقل سيارة أجرة وان يترك لها السيارة فتمضى بالاولاد إلى المدرسة وتستطيع أن تعنى ببيتها قبل أن تمضى إلى روجر بيرى وزوجته ، وستبدأ عملها غدا ، وقد تملكها شيء من الانفعال ، فهى لم تعمل منذ اثنى عشر عاما . أى منذ أن رزقت بجيم الصغير .

غادرت دفء السينما وخرجت إلى برودة مارس اللاذع وسلكت يمينها وراحت تمشى بخطى سريعة . وكانت قد تركت السيارة فى الموقف خلف السينما وحمدت الله على أنها انفقت المال لاصلاحها ، فقد كان العهد يرجع بها إلى ثمانى سنوات ولكن هيكلها كان لايزال فى حالة جيدة . وكما قال جيم فان من الاوفق انفاق الأربعمائة دولار لإصلاحها بدلا من شراء سيارة قديمة بنفس المبلغ قد لا تكون هناك فائدة منها .

وسارت ماريان بسرعة بحيث سبقت بكثير الجمهور الذى يخرج من السينما ،

واسرعت إلى الموقف حيث تركت سيارتها ، فقد وعدها جيم أن يعد العشاء ، وهى في شدة الجوع .

ولكنها لم تجد سيارتها حيث ركنتها . وبعد عشر دقائق من بحث ميئوس منه اتصلت تليفونيا بجيم وقالت وهى تغالب دموعها : جيم .. جيم - لقد سرق أحد الأوغاد السيارة .

(١٢)

الثلج يتساقط ، الآن ، بغزارة ، راح يدرس خطته من جديد وهو منطلق فى الطريق . لا ريب أنها تحققت من اختفاء السيارة الآن ولكن سيمضى قبل أن تبلغ الشرطة أو تتصل بزوجها . وعندما يتصلون باللاسلكى بسيارات الدوريات يكون قد أصبح بعيدا عن متناول ايديهم .

ثم من ذلك الذى يهتم بتلك الخردة الحديدية ، فرجال الشرطة أنفسهم لن يفيقوا من الدهشة إذا سمعوا نداء لاسلكيا بالبحث عن سيارة مسروقة لا يتجاوز ثمنها مائتى دولار .

أن تكون شارون له وحده . كان وجهه يبرق من فرط الانفعال تذكر النفس الحار الذى أحس به عندما أوثقها .. كانت بالغة النحافة ولكن ملمس فخذيها ووركيها كان لذيذا ، أدرك ذلك من خلال الجونلة الصوف السميكة ، بدا عليها الحنق والذعر عندما حملها إلى العربة ، ولكنه كان واثقا انها جثمت برأسها على صدره عامدة .

انطلق فى طريق كونكتيكت ثم انعطف إلى طريق ريفر باركواى السريع فطريق كروس كاونتى ، فى طريقه إلى طريق هنرى هرسون الرابع وأحس بأنه فى آمان فى الطرق المزدحمة ، ولكنه كلما اقترب من وسط مانهاتن ازداد تأخرا . وكان يخشى أن تكون الشرطة قد بدأت البحث عن السيارة .

راح السائقون الآخرون ينطلقون فى بطء وحذر .. الأغبياء كانوا يخافون من الطرق الزلقة ويتجنبون المخاطر . وكانوا يؤخرونه ويخلقون له المشاكل . وأحس بنبضات صدغيه تتسارع . وكان يتمنى أن يبلغ المحطة فى الساعة السابعة على أكثر تقدير، قبل أن تنفض جموع الركاب ، لكى يختلط بهم ولا يلحظه أحد .

كانت الساعة قد بلغت السابعة وعشر دقائق عندما انعطف إلى الشارع السادس والأربعين ، ومنه إلى درب يفضى إلى مخزن ليس به حراس ولم يكن يحتاج إلا إلى دقيقة تقريبا .

أوقف السيارة ومد يده إلى المقعد الخلفى وأمسك المعطف الذى ألقاه فوق شارون . وأحس ببريق عينيها الصاعق . أخرج آلة التصوير وهو يضحك ضحكة قصيرة ، والتقط صورة خاطفة بهر نور الفلاش عينى المرأة الشابة ثم أخرج من جيبه مصباحا كهربائيا وراح يسلط ضوءه على عينيها حتى اضطرت إلى إطباقهما ، وعندئذ امسكها من كتفيها وقلبها على صدرها وبحركات سريعة قطع الحبال التى تقيد معصميها وقال:

– هل تشعرين بارتياح الآن ياشارون ؟.. سأرفع الكمامة ولكن صيحة واحدة ويموت الغلام هل تفهمين ؟

ولم ينتظر منها اشارة بالموافقة ، وقطع عقدة القماش من خلف رأسها ولفظت شارون القطعة التى كانت قد تغلغلت بين شفتيها وقالت فى شبه أنين : «ونيل»؟ .. ارجوك .. انه سيختنق .

قال الرجل : هذا رهن بك .

أخرجها من السيارة وساعدها على الوقوف . وأحست شارون بالثلج على وجهها . وكانت ساقاها وذراعاها منهكة من التعب، فتحركت ، وأحست به يمسكها بعنف وقال فى صوت متغير:

– البسى هذا .

مدت يدها . ولمست قماشا خشنا لزجا . لم يكن غير المعطف الذى ألقاه عليها. وارغمها على ارتدائه ، قال :

– والآن ضعى هذا الايشارب .

وكان قذرا جدا ، وحاولت ان تطويه ولكنه كان سميكا جدا ومن الصوف فعقدته باصابعها المرتجفة بقدر ما استطاعت تحت ذقنها .

– عودى الآن إلى العربة ، واسرعى إذا اردت أن ارقع الكمامة عن الغلام.

دفعها إلى المقعد الأمامى فى عنف ، تعثرت فى الكيس الكاكى، وحاولت ألا لاتصدمه بحذائها . وانحنت إلى الأمام وجرت بيديها على الكيس واحست بدائرة رأس « نيل » . لم يكن الحبل معقودا وكان «نيل» يستطيع أن يتنفس على الأقل .

دار الرجل بالسيارة، وجلس مكان السائق ، وانطلقت العربة فى حذر، بينما راحت تحدث نفسها : «نحن فى وسط المدينة» . وفاجأتها هذه الملاحظة وساعدتها على استعادة أفكارها ، ورأت انها يجب أن تفعل كل مايأمرها به .

وظل منطلقا بالسيارة حتى بلغ الشارع الرابع والأربعين وتوقف فى شارع فان رفلت ، على مقربة من فندق بليتمور ، امام محطة سنترال الكبرى بالذات ، وقال :

– لقد وصلنا . سندخل المحطة وستسيرين بجوارى . لا تحاولى أى شىء، سأحمل الكيس ، وإذا ارتاب أحد فينا فسأغمد السكين فيه هل فهمت؟

هزت رأسها وتساءلت هل سمع .

– انتظرى لحظة .

وألقى اليها نظرة فاحصة ، ومد يده إلى درج القفاز وأخرج منه نظارة سوداء وقال : ضعى هذه .

وفتح الباب ونظر حوله نظرة سريعة . كان الشارع مقفرا ، وليس هناك غير بضع سيارات أجرة أمام المحطة . وفكرت :

- سيحملنا على ركوب قطار ، وسنكون على مسافة كيلو مترات قبل البدء فى البحث عنا .

وأحست بألم حاد فى يدها اليسرى . الخاتم . فص الخاتم الذى أهداها إياه ستيف فى عيد الميلاد . انقلب على جانبه عندما قيد يديها . وحز الهيكل القديم الذهبى أصبعها . وعلى الفور ودون أن تفكر تخصلت منه وتمكنتِ فى الوقت المناسب أن تدسه فى وسادة المقعد الأمامى قبل أن يفتح الباب .

وترنحت فوق الرصيف فأمسك الرجل بمعصمها وفحص داخل السيارة وانحنى والتقط الكمامة التى نزعها عن فمها ولكنه لم يلحظ الخاتم .

ثم انحنى ، ووضع الكيس الكاكى وشد الحبل وعقد طرفيه. سوف يختنق نيل فى هذا الكيس المغلق . وقال :

- انظرى . ان نصل السكين لا يظهر من كم المعطف ، ولكنه مصوب إلى قلب الغلام . وعند أول حركة منك عليه السلام .

وأمسك مرفقها بيده الأخرى ، وارغمها على اجتياز الشارع بجواره . كانا أشبه بزوجين يرغمهما البرد على الاسراع نحو المحطة وليس معهما من متاع غير كيس القماش .

وبهرت أنوار المحطة عينيها رغم النظارة السوداء وكانا فى الممر العلوى الذى يشرف على القاعة الرئيسية . وكان هناك كشك للجرائد على يسارهما ألقى البائع اليهما نظرة عادية . وهبطا إلى الدور الأول . وكانت الساعة تشير إلى السابعة والدقيقة التاسعة والعشرين ، وكان ستيف هنا فى هذه اللحظة ، فى

قطار في هـذه المحطة، في قطـار سينطلق بعـد دقيـقـة ، ودت لو صـرخت بكل قواها : ستيف .

ولكن الأصابع الحديدية انغرزت في ذراعها وهو يقول : من هنا وأرغمها على هبوط السلم نحو الدور الأسفل . كانت لحظة التجمع قد مضت ولم يعد هناك الكثير من الناس في الدور الرئيسي : ولم يكن هناك الكثير أيضا في السلم فماذا لو تحاول أن تلفت الانظار إليها ، كلا لا يمكنها أن تقدم على هذه المخاطرة والسكين على استعداد لأن تغرس في قلب «نيل» .

هبطت إلى الدور السفلي . ورأت على اليمن مدخل بار أويستر، وكانت قد التقت فيه مع ستيف ، وتناولا غداء سريعا في الشهر الماضي .

وأحست به يدفعها نحو اليسار : من هنا الآن لا تسرعي هكذا ... الخط رقم ١١٢ . وكانت اللافتة الضوئية تعلن عن قيام قطار فونت فرنون في الساعة الثامنة وعشر دقائق . وانطلق قطار آخر بالذات في هذه اللحظة ، فالى أين يمضي.

ولمحت شارون على يسار السلم الذي يهبط إلى الخط امرأة عجوزا تحمل في يدها سلة تموين وترتدي سترة رجـالية فوق جونلة تكسو سـاقيها حتى ركبتيها بجوربين من القطن السـميك، وحدقت المرأة فيهما طويلا ، فهل رأت فيهما مايريب.

وأهاب الرجل بشارون قائلا : تقدمي . وهبط السلم نحو الرصيف رقم ١١٢ ، وكان مقفرا، وارغمها أن تسرع وان تدور بآخر الرصيف حيث ينتهي الخط الحديدي وأن تهبط سلما آخر . وكان الماء يجري على مقربة فأين يذهبان . كانت النظارة السوداء تمنعها من التمييز جيدا . تذبذبات منتظمة .. مضخة ومولد كهربائي . وتعمقا في أعماق المحطة .. بعيدا تحت الأرض ، فماذا سيفعل بهما؟ سمعت هدير القطارات الأصم لا ريب أن هناك نفقا غير بعيد .

واستمرت الأرض تهبط ، واتسع الممر . وألفت نفسها فى بقعة كبيرة ، كما لو كانت ارضا لكرة قدم . وكان مملوءا بالأنابيب الضخمة والقنوات والمحركات الدائرة ، وإلى اليسار ، بعد نحو خمسة أو ستة أمتار يرتفع سلم ضيق .

قال اصعدى ، وراح يتنفس الآن بصعوبة ، وسمعته يلهث خلفها . وصعدت السلم وهى تعد الدرجات فى غير وعى منها . عشرا .. احدى عشرة ، اثنتى عشرة. وبلغت بسطة صغيرة أمام باب معدنى ضخم .

دفعها جانبا وألقى الكيس فوق الأرض . ورماها بنظرة خاطفة . ورأت فى الضوء الخافت قطرات العرق تلمع فوق جبينه . واخرج مفتاحا أولجه فى الباب . وانفتح الباب وهو يصدر صريرا . ودفعها إلى الداخل ورفع الكيس وهو يزمجر واغلق الباب خلفهم . وفى الظلام البارد والرطب سمعت مفتاح النور يدور وبعد لحظة سطع فوقهم نور مصباح نيون يعلوه الغبار .

ادارت شارون بصرها فى الغرفة الكريهة القذرة . أحواض صدئة ورفوف فى الحائط وسرير ميدانى يكاد ينهار وسلة مقلوبة وحقيبة قديمة سوداء على الأرض.

وسألته بصوت خافت : أين نحن؟ وماذا تريد منا؟.

لم يرد الرجل ، واندفع نحو السرير وألقى الكيس فوقه وارخى ذراعيه ووقعت شارون على ركبتيها وانكبت على حبل الكيس . وافلحت فى فكه وفتحته وبحثت عن الجسد الصغير المتكوم . وحررت رأس «نيل» وامسكت الكمامة بيديها الاثنتين وشدتها تحت ذقنه .

اختنق «نيل» وبحث عن الهواء وهو يلهث ، سمعت صفير تنفسه ورجفات صدره . وأخذت رأس الغلام فى باطن ذراعها وهمت بأن تسحب العصابة التى تغطى عينيه ، ولكن الرجل صاح فى صوت عنيف : دعى هذا .

صاحت : ارجوك . انه مريض ومصاب بالربو ، فترفق به .

ورفعت عينيها وعضت شفتها وهى تغالب البكاء .

وفوق السرير الميداني ثلاث صور كبيرة الحجم معلقة ملاصقة للحائط بدبابيس.. امرأة شابة تجرى ويداها مبسوطتان إلى الأمام وهى تنظر خلف كتفيها فى هلع ، وفمها متوتر فى صرخة رعب .. وامرأة أخرى شقراء ، ملقاة بجوار سيارة وساقاها مطويتان خلفها . وفتاة شابة سمراء الشعر ويدها على حلقها وفى عينيها المحدقتين نظرة ذاهلة دهشة .

(١٣)

قضت « لالى» دهرا طويلا وهى تشتغل بالتدريس بنبراسكا. وفي اليوم الذى احيلت فيه إلى المعاش ورأت أنها وحيدة أرادت أن ترى نيويورك ، ولم تكن قد رأتها قبل ذلك .

وكانت ليلة وصولها إلى محطة جراند سنترال التحول الحاسم فى حياتها ، فقد تملكتها الحيرة والخوف ، واجتازت المحطة الفسيحة وحقيبتها فى يدها ، ترفع عينيها دون توقف ، ولعلها هى الشخص الوحيد الذى لاحظ أن سماء القبة الكبيرة قد طليت بالمقلوب فان النجوم المفروض انها فى الشرق كانت فى الغرب .

وانفجرت ضاحكة وقد انفرجت شفتاها عن سنتين أماميتين كبيرتين . وحول الناس أبصارهم نحوها ثم تابعوا طريقهم على الفور وراق لها رد فعلهم فلو أن أهالى بلدتها رأوها ترفع عينيها نحو السماء وتنفجر ضاحكة وحدها لتحدث الجميع عن ذلك فى اليوم التالى .

ووضعت حقيبتها فى الأمانات وصعدت لتتجمل فى دورة المياه الخاصة بالسيدات بالمستوى العلوى . ورتبت جونلتها وزررت معطفها وبللت وجهها ونسقت شعرها القصير حول وجهها العريض ، وقضت الساعات الست التالية فى

استكشاف المحطة وهى تنظر فى مرح إلى حركات الركاب ما بين رائح وغاد ، وتناولت طعامها فى أحد المطاعم الرخيصة ، وراحت تتأمل المحلات ، وانتهى بها المطاف إلى الجلوس فى قاعة الانتظار الرئيسية .

نظرت فى افتتان إلى امرأة شابة ترضع وليدها الجائع وتأملت زوجين شابين يتعانقان . وتابعت ببصرها أربعة رجال يتنافسون فى لعب الورق . وراح الجمهور يتناقص، كان الوقت قد بلغ منتصف الليل عندما لاحظت جماعة جالسين منذ بعض الوقت ستة رجال وامرأة قصيرة رفيعة الرأس تتكلم فى ألفة ظاهرة مع الرجال.

ورأت المرأة أن «لاللى» تنظر اليهم فاتجهت اليها وسألتها : هل انت جديدة هنا؟ تكلمت فى رفق ، كانت «لاللى» قد رأتها قبل ذلك بقليل تلتقط جريدة من أحد صناديق القمامة، وأجابتها : بنعم .

– هل تعرفين أين تمضين؟.

كانت «لاللى» قد حجزت غرفة فى حانة ولكن نوعا من الغريزة جعلها تكذب وتقول : كلا .

– هل وصلت لتوك ؟

– نعم .

– أمعك نقود ؟

– ليس كثيرا . وكانت هذه كذبة أخرى .

– حسنا لا يشغلنك الأمر وسوف نهتم بك ، فقد اعتدنا على ذلك واشارت إلى الرجال خلفها وهى تتكلم . وسألتها «لاللى» .

– إذن فأنت تقيمين على مقربة من هنا .

ارتسمت ابتسامة غريبة فى عينى المرأة وكشفت عن صف من الاسنان التالفة وقالت : كلا اننا نقيم هنا واسمى روزى بيدويل .

لم تعرف «لاللى» صديقة حقيقية طوال سنواتها الاثنتين والستين الحزينة . وهذا ما غيرته روزى بيدويل . وأصبحت « لاللى» واحدة منهم فتخلصت من حقيبتها ووضعت كل ما تملكه فى بعض الاكياس كما تفعل روزى . وعرفت العادات وراحت تتناول طعامها بأبخس الاثمان فى المطاعم الرخيصة ، وتغتسل من وقت لآخر فى الحمامات العامة بجرينويتش فيلاج وتبيت فى الملاجىء وفى الفنادق بدولار واحد فى الليلة .

أو فى غرفتها بمحطة جراند سنترال .

كانت تلك الغرفة هى السر الوحيد الذى لم تطلع عليه روزى . دفعها حبها إلى الاستكشاف المتواصل إلى حد ان عرفت كل ركن من أركان المحطة ، فصعدت السلالم ، وراحت تستطلع المنطقة المظلمة الكثيرة الممرات بين أرضية الدور العلوى وسقف الدور السفلى ، واكتشفت السلم الخفى الذى يربط بين دورتى المياه الخاصتين بالسيدات . وعندما تغلق الدورة السفلية بسبب الاصلاحات فإنها تتسلل عبر ذلك السلم وتمضى الليل هناك خفية عن الجميع .

كان يروق لها أن تتمشى بطول الخط الحديدى فى النفق ، تحت شارع بارك ، وتلتصق بالجدار الاسمنتى عندما يمر قطار وهو يهدر، وتشترك فى فضلات الطعام مع القطط التى تهيم فى النفق .

ولكن فتنها بصفة خاصة مكان واحد فى اعماق المحطة ، كان الحراس يدعونه «سنج سنج»، بين المكابس وقنوات التهوية ومولدات الكهرباء التى تهتز ، كان يخيل لها انها جزء حقيقى من قلب المحطة النابض . واثار فضولها الباب فى أعلى سلم

«سنج سنج» ، وتكلمت عنه فى حذر مع أحد الحراس تصادق معها ويدعى روستى فأجابها بأنه جحر قذر ، وكانوا يستخدمونه فيما سبق لغسل أوانى بار «اويستر» وانه لا شأن لها به . ولكنها ظلت تضايقه حتى اراها الغرفة .

أعجبها المكان ولم تضايقها جدرانه المبقعة ولا سقفه المتشقق ولا رائحة العفن التى تسوده . كان النور الكهربائى لايزال يعمل والماء لايزال جاريا ، بل كانت هناك دورة مياه ضيقة . وعرفت على الفور أن تلك الغرفة سترضى الحاجة الوحيدة المتبقية لها ، قالت :

– غرفة وحمام !.. دعنى أرقد هنا ياروستى .

ذهل وقال : هذا لايمكن فانهم يطردوننى على الفور .

لكنها ظلت تلح عليه حتى رضى أخيراً ان تبيت فيها ليلة . ثم تدبرت ذات يوم وسرقت منه المفتاح لبضع ساعات واصطنعت نسخة منه خفية وعندما اعتزل روستى الخدمة جعلت من تلك الغرفة بيتا لها .

وشيئا فشيئا نقلت «لاللى» اليها بضعة أشياء : سريراً ميدانيا قديما يكاد يتداعى ومرتبة بالية وسلة . وراحت تقيم فيها بانتظام . وكان كل ما تفعله فى العالم هو النوم فى جوف المحطة المظلم وسماع انطلاق القطارات طوال الليل.

ولكنها لم تكن تستخدم غرفتها هذه أثناء الشتاء أبدا ، فالجو فيها بارد ورطب إلا أنها تقيم فيها من شهر مايو حتى سبتمبر يومين كل أسبوع حتى لا تثير انتباه الحراس أو فضول روزى .

ومرت ست سنوات .. أحسن سنى حياتها، عرفت فيها جميع الحراس وباعة الجرائد وموظفى شبابيك التذاكر ، وألفت فيها الوجوه العادية التى تستقل القطارات فى كل الاوقات .

وفى مساء يوم الاثنين الذى تبدأ فيه قصتنا هذه كانت «لالى» متواعدة مع روزى فى قاعة الانتظار الرئيسية . تألمت كثيرا من التهاب المفاصل أثناء الشتاء . ولكن مضى على ذلك ستة أسابيع الآن ، ولم تستطع الانتظار أكثر من ذلك . وفكرت «سأهبط لكى اتفقدها فحسب ، وإذا لم تكن باردة جدا فلعله يمكننى أن أرقد فيها الليلة» . ولكن كان ذلك قليل الاحتمال .

وهبطت السلالم المؤدية إلى المستوى السفلى فى شقة كبيرة . لم يكن هناك اناس كثيرون وكانت تمشى دون اسراع وهى حريصة على ألا تلفت اليها انظار رجال البوليس حتى لا يحاولوا منعها من الوصول اليها .

همت بأن تهبط ، فى هدوء السلم نحو الخط ١١٢ عندما لفت نظرها بطانة حمراء ممزقة تبدو من معطف قديم اسمر عرفته على الفور لأنها كانت قد جربته فى أحد محال الملابس القديمة فى الاسبوع الماضى، وكانت هناك استحالة فى ان يكون هناك معطفان بمثل هذه البطانة الحمراء، واستيقظ فضولها ونظرت إلى وجه المرأة التى ترتديه . ودهشت وهى تراها صغيرة السن جدا وجميلة تحت الايشارب والنظارة السوداء .

أما الرجل الذى يرافقها فقد سبق أن رأته فى المحطة ولاحظت الحذاء الثمين الذى تلبسه الفتاة وأدهشها ذلك .. معطف قديم مستهلك وحذاء ثمين . أما الكيس الذى يحمله الرجل فكان يبدو ثقيلا وقطبت حاجبيها وهى تراهما يهبطان نحو الخط الحديدى ١١٢ . لم يكن هناك قطار قبل خمس وأربعين دقيقة .. هذا غريب . لماذا ينتظران على الرصيف والجو فيه قارس .

هزت كتفيها . لم يكن هناك بد فهى لا تستطيع أن تمضى إلى غرفتها الآن ، إذا بقيا على الرصيف ينظران اليها . كان يجب أن تنتظر حتى الغد .

وتغلبت على خيبتها وتوجهت فى استسلام إلى قاعة الانتظار بحثا عن روزى.

(١٤)

- تكلم يارون .. تكلم بالله .

وضغط المحامى على مفتاح التشغيل بالمسجل .

- كلا .

وقف رون تومبسون واجتاز الزنزانة الضيقة فى عصبية ، وتحسس قضبان النافذة ، وتحول مسرعا وقال : حتى الثلج يبدو قذرا هنا ورماديا وباردا . هل تريد ان تسجل هذا .؟

نهض بوب كورنر وألقى ذراعه على كتفى الشاب قائلا:

- كلا . ارجوك يارون .

- وما الجدوى ؟.. ما الجدوى؟

راحت شفتاه الشبابيتان ترتجفان ، وتغيرت ملامحه ، وبدا صبيا فجأة ، لا حول له ولا قوة . وعض شفتيه فى عنف ، ودعك عينيه باحدى يديه وقال :

- بوب ، لقد بذلت مافى استطاعتك، ولم يعد هناك ما تفعله الآن .

- لا شىء فيما عدا ان نقدم للمحافظ سببا للإعفاء من عقوبة الاعدام ومنحك مهلة أخرى ... ولن يكون ذلك إلا بداية .

- لكنك حاولت ، وهذه الصحفية شارون مارتن ، إذا لم تكن قد استطاعت الحصول على شىء بعد كل الالتماسات التى قدمتها ..

صاح بوب وهو يضغط على يديه : فلتذهب شارون مارتن هذه إلى الشيطان ، وليذهب إلى الشيطان جميع فاعلى الخير العاجزين عن اخراج شوكة من أقدامهم. لقد افسدت كل شىء . كنا على وشك الحصول على التماس حقيقى من اناس يعرفون انك لا يمكن أن تؤذى أيا كان ، ولكنها راحت تصرخ فى كل البلاد بأنك

مذنب بالطبع وانك لا يجب ان تموت . إنها فعلت كل شيء لكي لا يستطيع المحافظ ان يغير عقوبة الاعدام .

لماذا نضيع وقته اذن؟ إذا لم يفد هذا بشيء وإذا لم يكن هناك أمل فلا أستطيع أن اتكلم عن هذه القصة الآن .

– بل يجب أن تفعل !

لان صوت بوب كورنر وهو ينظر إلى الشاب مباشرة فى عينيه اللتين عكستا استقامة وصدقا لا يمكن تكذيبهما . وتذكر بوب سنواته التسع عشرة هو بالذات. حدث ذلك منذ عشر سنوات ، حين كان طالبا فى جامعة فيلانوفا. رون يأمل ان يسجل اسمه فى الجامعة .. وبدلا من هذا سيموت فوق الكرسى الكهربائى . لم تفلح السنتان اللتان قضاهما فى السجن فى إلانة جسده فقد كان يمارس التمرينات الرياضية باستمرار فى زنزانته . كان منظما جدا ولكنه فقد عشرة كيلو جرامات من وزنه وابيض وجهه حتى حاكى لونه لون الطباشير .

قال بوب : اسمع . لابد أن هناك شيئا أفلت منا .

– لا شيء يفلت منك .

– رون ، دافعت عنك ، ولكنك لم تقتل نينا بيترسون ، وقد ادانتك المحكمة ، وإذا استطعنا ان نقدم للمحافظ ولو دليل نفى واحدا .. سببا يتيح له أن يمنحك مهلة أمامنا ثمان واربعين ساعة لا أكثر .

– ولكنك قلت لى الآن بالذات إنه لا يريد أن يمنحنى اية مهلة .

– ربما لا يجب أن اخبرك بذلك يارون ، والله يعلم انها محاولة خطرة، ولكن اصغ الىّ عندما ادانتك المحكمة بمقتل نينا بيترسون اعتقد اناس كثيرون انك مذنب بالجريمتين اللتين بقيتا مستغلقتين . هل تذكر ذلك؟

– لقد تشددوا فى استجوابى عنهما .

– كنت تمضى إلى المدرسة مع الفتاة كارفولى ، تزيل الثلج من امام بيت السيدة ويس، ومن الطبيعى أن يستجوبوك ، فهذا اجراء تقليدى . وبعد القبض عليك لم تقع جرائم أخرى .. حتى هذه الأيام الأخيرة . ولكن وقعت جريمتا قتل اخريان ، وقتلت امرأتان فى فيرفيلد كاونتى فى الشهر الماضى . واذا استطعنا اقامة ظل من الشك وان نأتى بعنصر جديد فيمكن أن نربط مقتل نينا بيترسون بهاتين الجريمتين .

واحاط الشاب بذراعه وقال :

– اعرف كم يشق عليك هذا يارون ، ولا استطيع إلا أن أضمن ما تحتمله ، أخبرتنى انك تتذكر دائما ذلك اليوم ، فلعل هناك شيئا لم يبد لك مهما .. نقطة ما وإذا اردت أن تتحدث فحسب .

ابتعد رون واتجه نحو الفراش وجلس ، وضغط على مفتاح التشغيل وحول رأسه لكى يستطيع تسجيل كلماته فى وضوح . وقال مقطب الجبين وفى عبارات مبتورة .

– كنت اشتغل فى سوق تيمبرلى بعد ظهر ذلك اليوم بعد ان انصرفت من المدرسة وكانت مدام بيترسون تقوم بمشترياتها ، وكان السيد تيمبرلى قد قال لى إنه سيضطر إلى فصلى من العمل عنده بسبب الوقت الحر الذى كنت بحاجة اليه كى اتمرن فى لعبة كرة القدم وسمعته مدام بيترسون ، وبينما كنت اساعدها فى وضع اكياس مشترياتها فى العربة قالت لى ..

(١٥)

دخل القطار محطة كارلى فى الساعة التاسعة مساء وستيف فى حالة يرثى لها من القلق والعذاب . كان يجب أن يتصل بالطبيب تليفونيا ، فلو أن «نيل» كان مريضا لاصطحبته شارون إليه لكي يعطيه حقنة ، وهذا هو السبب فى ان التليفون لايرد .

لقد جاءت شارون ، انه واثق فى ذلك ، فما كانت لتغير رأيها من غير أن تخطره ، ولابد ان شيئا قد حدث . كان لديه احساس بذلك .

ولكن لعل اقتراب تنفيذ حكم الاعدام هو الذى يثير قلقه واضطرابه إلى هذا الحد خاصة ان جريدة المساء اعادت نشر القصة كلها ومعها صورة لنينا فى الصفحة الأولى : سيموت شاب لأنه قتل أما شابة بكل عنف . وصورة تومبسون بجوار صورتها شاب رقيق من العسير الاعتقاد بأنه جدير بارتكاب مثل تلك الجريمة البشعة .

صورة نينا . فاجأ ستيف نفسه مائة مرة وهو ينظر اليها . كان جميع الصحفيين قد طالبوا بصورة عقب الجريمة ، وما كان يجدر به أبدا أن يعطيهم هذه الصورة التى التقطها لها فى لحظة خاطفة والهواء يبعثر شعرها حول وجهها، بأنفها الرقيق المستدير تقطبه دائما كلما ضحكت ، والايشارب الذى تربطه فى رفق حول عنقها . ولم يدرك الا فيما بعد أن ذلك الايشارب هو الذى استخدمه تومبسون فى خنقها .

رباه كان ستيف أول من اندفع إلى الرصيف عندما توقف القطار فى كارلى ، بعد ساعة ونصف من انطلاقه . وهبط درجات الرصيف المبتلة مسرعا وهرع إلى الموقف وبذل جهدا كبيرا فى إزالة الثلج عن زجاج سيارته، وقاومته طبقة خفيفة ففتح الصندوق لكى يأخذ الجهاز الذى يذيب الثلج والمكشط .

آخر مرة رأى فيها نينا على قيد الحياة كانت وهى تمضى إلى المحطة ولاحظ عندئذ ان الاطار الاحتياطى مركب فى العجلة اليمنى الامامية . واعترفت له عندئذ بأن الاطار انفجر فى المساء وانها تستخدم الاطار الاحتياطى .

وتملكه الغضب واحتد عليها وقال : لا يجب أن تستخدمى إطارا تالفا تماما. رباه .. ان اهمالك هذا سيقتلك .

وعدته بأنها ستذهب لكى تبحث عن الاطار الآخر وحاول أن يخرج أمام المحطة دون أن يقبلها ولكنها انحنت فوقه وداعبت عنقه بقبلة وقالت وهى تضحك ضحكتها الصغيرة : تمتع بيومك ايها الغاضب . اننى أحبك.

لم يرد عليها ، بل لم يلتفت اليها ، وأسرع إلى قطاره ولم يشأ أن يتصل بها تليفونيا من مكتبه ، محدثا نفسه ان من الاوفق أن تعتقد انه مستاء حقا ، ولكنه كان شديد القلق عليها ، فقد كانت متهاونة جدا ، ففى أمس الأول عندما عاد من المكتب متأخرا وجدها نائمة هى و«نيل» والباب العمومى مفتوح .

لم يتكلم فى التليفون اذن ، وعندما هبط من قطار الخامسة والنصف فى ذلك المساء وجد بيرى ينتظره فى المحطة لكى يخبره بأن نينا ماتت .

ومر ما يقرب من سنتين .. سنتان من الوحدة والحزن حتى ذلك اليوم، منذ ستة شهور حيث تعرف بمذيعة الأنباء التليفزيونية شارون مارتن .

صعد ستيف إلى السيارة بعد أن أزال الثلج ، وادار المحرك وانطلق بكل سرعة ولا رغبة له إلا فى العودة إلى البيت لكى يجد نيل سليما معافى . كان يريد أن يشعر «نيل» بالسعادة من جديد ، وان يعانق شارون ويضمها إلى صدره . أراد أن يسمعها تتحرك فى البيت وان يعرف انها بجواره وسوف يكون كل شىء على مايرام ولا يجب أن يقع بينهما أى شىء .

وبلغ درب دريفتوود أخيرا ، وبدا له المكان مظلما على غير العادة كانت أنوار البيت مطفأة . وداخله احساس من الرعب جمد كل كيانه ، من قدميه حتى رأسه . وداس على الفرامل بعنف بحيث أوشكت السيارة أن تنقلب به . وغادرها مسرعا، وصعد الدرجات الامامية وادخل المفتاح فى القفل وفتح الباب وهو يصيح : شارون .. نيل .. شارون .. نيل .

ورد عليه الصمت البارد الذى يتناقض مع حرارة الغرفة . ونظر إلى الصالون.

كانت هناك أوراق مبعثرة على الأرض مما يؤكد أن «نيل» كان يقوم بالتقطيعات كعادته ، وكان هناك مقص وقصاصات من الورق فوق صفحة مفتوحة ، وكأس من الشيرى وقدح من الشيكولاتة فوق منضدة صغيرة بجوار المدفأة . واندفع ستيف وتحسس القدح كانت الشيكولاتة باردة . عاد إلى المدخل ورأى معطف شارون وحقيبتها وفتح الدولاب ورأى قبعتها موجودة به ، فلماذا خرجت دون أن تضعها على رأسها فى هذا الطقس البارد . لاريب ان «نيل» أصيب بنوبة حادة من الربو ولم يسعفها الوقت لكى تلبس المعطف والقبعة. وأسرع إلى التليفون ، وكانت أرقام الحالات المستعجلة مذكورة بجواره ، وبدأ بالاتصال بالطبيب وردت عليه المرضة : كلا ياسيد بيترسون، لم يأتنا أى نداء بخصوص «نيل» ورد عليه موظف الاستقبال بالمستشفى :كلا . لم يأتنا أى نداء .

أين هما ؟ وماذا حدث لهما . ونظر إلى الساعة .. كانت التاسعة والدقيقة العشرين ، أى ما يقرب من ساعتين منذ أن اتصل ببيته بالتليفون . لعلها عند آل بيرى . ومد يده لكى يتناول السماعة عندما وقعت عيناه على الرسالة : مكتوبة بالطباشير على لوح الاردواز الذى يستخدمه فى كتابة الطلبات .

«إذا أردت أن تجد ابنك وصديقتك على قيد الحياة فاتبع التعليمات . وكان هناك خط كبير تحت الكلمات التالية : لا تبلغ البوليس . والرسالة موقعة باسم (الثعلب) .

(١٦)

أغلق هوج تيلور درج مكتبه بادارة الاستخبارات الفيدرالية وهو يتنهد . ونهض وهو يتمطى ويحدث نفسه قائلا : ياله من يوم شاق . لم أبلغ الخمسين من عمرى بعد واشعر أننى فى الثمانين . محاولة أخرى للسطو على أحد البنوك ، وعلى بنك تشيز هذه المرة، وقد أفلح أحد الصيارفة فى اعطاء الإنذار ، وافلحوا فى القبض على اللصوص ، ولكن بعد أن أصيب الحارس اصابة خطرة قد لا ينجو منها .

هؤلاء اللصوص يجب حبسهم إلى الأبد بدلا من تنفيذ عقوبة الاعدام فيهم .

وارتدى معطفه . كان هذا هو أحد الأسباب فى إحساسه بالاكتئاب اليوم ، فهو لم يستطع ابعاد الشاب تومبسون من ذهنه، فعندما قام بالتحقيق فى قضية بيترسون منذ سنتين ، وتعقب هو وفرقته تومبسون حتى ألقى ألقبض عليه فى أحد الموتيلات بفرجينيا .

انكر الشاب أنه قتل نينا بيترسون ، وظل على انكاره حتى بعد معرفته بأنه اذا اعترف بارتكابها فسوف يخفف اعترافه الحكم عليه .

وارتجف هوج . لم يكن يسعه أى شىء ، ولم يكن هناك أى شك . وسوف ينفذ حكم الاعدام فى تومبسون بعد غد .

وخرج إلى البهو واستدعى المصعد وفتح بابه ودخل . وما كاد يفعل حتى سمع شخصا يجرى نحو المصعد وهو يصيح باسمه ، فمد أصبعه واحتفظ بالباب مفتوحا . واسرع هانك لامونت ، احد مساعديه، وامسك بذراعه وقال وهو مبهور الانفاس :

– هوج .. ستيف بيترسون على التليفون .. انت تعرفه .. زوج نينا بيترسون .. الشاب تومبسون .

قال هوج : إننى اعرف من هو .. ماذا يريد؟

يقول إن ابنه وهذه الصحفية شارون مارتن قد اختطفا .

(١٧)

من الذى التقط هذه الصور؟.. كان صوت شارون يهتز من فرط الخوف وادركت أنه ليس من الصواب أن يبدو عليها الخوف هكذا ، والتقت عيناها بعينى الرجل ورأت انها افزعته ، فقد توترت شفتاه . واردفت تقول فى شىء من الغريزة: اعنى انها واقعية جداً .

وتبدد التوتر قليلا وهو يردد : لعلني وجدتها .

وتذكرت الفلاش الذى بهر عينيها فى السيارة فقالت : مالم تكن أنت الذى التقطها . وكان فى صوتها شىء من المجاملة فقال : ربما .

وأحست بيده تمس شعرها وتتباطأ على وجنتها فقالت تحدث نفسها فى قوة: لاداعى للخوف . كانت لاتزال تحتفظ برأس «نيل» تحت ابطها، وبدأ يرتعش ، وراح يشهق تحت صفير الربو الحاد . فتوسلت اليه قائلة . لاتبك يانيل وإلا آذيت نفسك ورفعت عينيها إلى مختطفهما وقالت : إنه مرعوب ففك قيده .

ضغط بساقه على خصرها وهو يجثو بجوار الفراش وقال : وهل ستحبيننى إذا فعلت ذلك؟

– طبعاً . سأحبك . ولكن أرجوك .

واقصت فى رفق الخصلات الشقراء المبتلة من فوق جبين الصغير ، فصاح الرجل وهو يمنع يدها فى عنف من تحرير «نيل» من عصابته: دعى هذا .. فقالت ترضيه : لم أكن أريد ..

– حسنا . لا بأس .. لحظة صغيرة .. ولكن يديه فحسب ، وتمددى أنت أولا .

توترت وقالت : لماذا ؟

– لا استطيع أن احرركما معا . دعى الغلام.

ولم يسعها إلا الامتثال . واوثق هذه المرة ساقيها من ركبتيها حتى كعبيها وأجلسها على الفراش وقال : لن اقيد يديك إلا قبل أن اذهب ياشارون .

قبل أن يذهب ؟ هل سيتركهما وحدهما هنا؟ وانحنى فوق «نيل» وقطع الحبال عن معصميه . وأبعد نيل يديه وراح يتنفس بصعوبة وجذبته شارون اليها وضمته فى المعطف الرمادى الذى كانت لا تزال ترتديه. وكان الغلام لا يزال يرتعش ، فقالت له

- اهدأ يانيل . تذكر ما قاله أبوك لك عندما تتعرض للأزمة يجب ان تبقى هادئا وان تتنفس فى بطء شديد .

ورفعت عينيها وقالت هل يمكن أن تأتيه بكوب من الماء إذا سمحت؟

هز الرجل رأسه ، ومضى إلى الحوض الصدىء وانتهزت شارون فرصة اعطائها ظهره وفحصت الصور . كانت لامرأتين ميتتين أو محتضرتين أما الثالثة فكانت تحاول الفرار من شىء أو من شخص ، فهل قتلهن؟ أيكون مجنونا؟ لماذا اختطفهما ، هى ونيل؟.. كان من الخطر أن يحملهما على اجتياز المحطة .. انه اعد خطته فى أقل نقاطها ، فلماذا؟

واختنق نيل وراح يسعل سعالا فظيعا .

واستدار المختطف وفى يده كوب من الورق المقوى ، وقد بدا أن سعال الغلام أزعجه ، وارتجفت يده وناول شارون الكوب وهو يقول دعيه يكف عن هذا السعال .

رفعت شارون الكوب إلى شفتى الغلام فشرب فى نهم ولكنها نهرته قائلة : بل اشرب فى رفق . وجرع «نيل» كل الكوب وارتخى بعض الشىء .

وانحنى الرجل نحوها وقال : انت ظريفة ياشارون . ولهذا وقعت فى غرامك لانك لا تخافين منى . أليس كذلك؟

- كلا كلا بالتأكيد ، لانني أعلم أنك لا تريد إيذاءنا . ولكن لماذا أتيت بنا هنا؟

لم يرد الرجل وانما اقترب من الحقيبة السوداء ورفعها فى حذر كبير ووضعها بجوار الباب ، وانحنى فوقها وفتحها . وسألته شارون : ماذا بها؟

- شىء يجب أن انجزه قبل أن انصرف .

- وأين تمضى ؟

– لا تلقى أسئلة كثيرة ياشارون ، فأنا لا استطيع أن اتكلم وانا أقوم بهذا العمل . يجب أن يتوخى المرء كل الحرص وهو يعالج النيتروجلسرين.

ضمت شارون نيل إلى صدرها أكثر . ان هذا المجنون يعالج متفجرات شديدة الخطر على مقربة امتار منهما ، وتذكرت الانفجار المروع الذى وقع فى جرينويتش فيلاج ودمر الكثير من المبانى . ونظرت اليه وهو يفعل متوسلة إلى الله . ونهض الرجل أخيرا وقال : هذا يكفى .

– وماذا تنوى أن تفعل بهذه الحقيبة .

– انها حارستكما .

– ماذا تعنى؟

– يجب أن اترككما هنا حتى الغد، ولا أريد أن اغامر بفقدكما فهناك فرصة فى المليون أن يدخل شخص هذه الغرفة أثناء غيابى .

– وكم من الوقت ستحتفظ بنا هنا؟

– حتى يوم الأربعاء ياشارون . لا تلقى الكثير من الاسئلة فلن أقول لك إلا ماأريد.

– معذرة . وانما ذلك لأننى لا أفهم فحسب .

– لا أستطيع أن اسمح لأحد أن يجدكما هنا . ولكن يجب أن أمضى الآن وقد عالجت الباب ونصبت به فخا حتى إذا حاول أحد الدخول .

كلا . كان هذا كابوسا . واستطرد الآخر : لاتراعى ياشارون فغدا مساء سيعطينى بيترسون اثنين وثمانين ألف دولار وسينتهى كل شىء .

– اثنان وثمانون ألف دولار؟

– نعم . وسنرحل صباح يوم الأربعاء ، أنا وانت ياشارون وسأترك كلمة أقول فيها أين يجدون الغلام .

واجتاز الغرفة وهو يقول : انني آسف ياشارون .

ورفع «نيل» بعيدا عنها وتركه يقع فوق الفراش ، وقبل أن تستطيع أن تأتى بأية حركة سحب يديها خلف ظهرها وخلع عنها المعطف ثم أوثق يديها ، وتحول نحو نيل فتوسلت اليه قائلة :

– لا تكممه، أرجوك . لو أصيب بنوبة فلن تستطيع الحصول على المال إذ يجب أن تثبت أنه على قيد الحياة . أرجوك .. انني .. انني أحبك .. وانت ذكى جدا .

نظر اليها مترددا فقالت انت تعرف اسمى ولكنك لم تذكر لى اسمك واحب طبعا أن أفكر فيك .

أخذ وجهها بين يديه . كانتا خشنتين وانحنى فوقها . وتحملت قبلته، عنيفة على شفتيها الرطبتين ، متباطئة على وجنتها واذنها . وهمس يقول : اسمى الثعلب.

وأوثق معصمى «نيل» وجذبه إلى جوارها ، فوق الفراش وألقى فوقهما المعطف القذر ، ووقف ينظر اليهما وعيناه تتنقلان من الفراش إلى مصعد الاطباق ثم قال : كلا . لا استطيع أن أخاطر بان يسمعكما أحد .

وكممهما من جديد ، ولكن فى رفق هذه المرة . ولم تجرؤ على الاحتجاج وتملكه الانفعال من جديد .

وعرفت على الفور لماذا . ففى بطء وحرص شديدين ربط سلكا رفيعا من المعدن بشيء فى الحقيبة ودفعها نحو الباب ، وسيربط السلك بالباب وإذا دخل أحد ما فسوف يقع الانفجار .

وسمعت تكة مفتاح النور . وتذبذب النور الباهت قبل ان ينطفيء وانفتح الباب واغلق دون صوت ، وبعد لحظة ظهر خياله في الظلام واختفى .

كانت الغرفة مظلمة جدا ولا يقطع الصمت القاتل غير نفس نيل الضيق ، وهدير أصم متقطع لقطار يدخل في النفق .

(١٨)

قرر روجر وجليندا أن يشاهدا أنباء الساعة الحادية عشرة وهما في الفراش ، وكانت جليندا قد اغتسلت واقترحت أن تعد له مشروبا ساخنا أثناء استحمامه، وقال : فكرة جميلة .

وتحقق من رتاج باب المطبخ ، وصعد إلى الطابق الأول . كان الماء ساخنا ومنعشا وجميلا . وارتدى بيجامته ، وقبل أن يأوى إلى الفراش مضى إلى النافذة، فحتى في مثل هذا الطقس كان يروق له أن يحس بهواء الليل البارد في الغرفة ، وألقى نظرة شاردة إلى بيت بيترسون . كانت الأنوار مضاءة في الخارج وفي الداخل. ورأى من خلال ندفات الثلج سيارات واقفة في الدرب .

دخلت جليندا الغرفة وفي يدها كوب ساخن وقالت : إلام تنظر ياروجر؟

تحول اليها قلقا وقال : لا شيء ، ولكن لا تقلقي بشأن النور المطفأ في بيت ستيف فان بيته يسطع الآن كما لو أنه يحتفل بعيد الميلاد .

وضعت الكوب فوق المائدة الصغيرة بجوار الفراش وهي تقول : اوه .. انني متعبة.. وبان الانشغال على وجهها فقال : اتشعرين بسوء؟

– نعم .

– لا تتحركي . سأمضي وآتيك بالاقراص .

وأخذ بيد مضطربة قنينة الاقراص المهدئة ، ورآها تضع قرصا في فمها وتطبق عينها وتنهدت شعرت بتعب شديد هذه المرة، ولكن الحمد لله الآن.

صلصل جرس التليفون فتناول السماعة واصغى لحظة ، وتغير صوته على الفور وبان عليه القلق فسألته : ما الخبر ياروجر؟

أعاد السماعة مكانها وأخذ يدها وقال في حذر : حدث شيء في بيت ستيف .. اختفى نيل وشارون .. سأمضى هناك وسأعود بأسرع ما يمكن.

وارتدى بنطلونا وبلوفر سميكا واحتذى حذاء خفيفا . وكان قد اغلق الباب خلفه عندما سمع جرس التليفون فقال ان جليندا سوف ترد . وخرج وهو يجرى . وصعد وهو يلهث الدرجات الامامية لبيت ستيف، وفتح له رجل أنيق المظهر، أشيب الشعر وقال له . مستر روجر أنا هوج تايلور، من الاستخبارات الفيدرالية التقينا منذ بضع سنوات.

- هذا صحيح .

هز رأسه ودخل الصالون . كان ستيف واقفا بجوار المدفأة ويداه تتشبثان الواحدة بالأخرى ، ودورا لوفتس تنتحب فوق الاريكة ، محمرة العينين، وبيل لوفتس جالس بجوارها ، محنى الظهر ، بادى الجزع .

ومضى روجر إلى ستيف وأخذه من كتفيه وقال : ستيف .. ياالهى ! لا ادرى ماذا أقول .

- اشكرك ياروجر إذ اسرعت بالمجيء .

- منذ متى اختفيا .. وهل كانا وحدهما هنا؟

تدخل هوج وقال . هل يمكنك أن تدلى الينا ببعض المعلومات يامستر بيرى؟ هل لاحظت مجهولين فى البيت أو سيارات غير عادية أو سيارة نقل .. هل تتذكر شيئا غريبا ، شاذا؟

تهالك روجر فوق المقعد وفكر . كان هناك شيء ، ولكن ما هو؟ ..آه، نعم . الأنوار.

تحول ستيف اليه متوترا وقال : بيل يؤكد أنها كانت مضاءة عندما خرج هو ودورا. وكانت مطفأة عندما عدت أنا، فماذا لاحظت .

تذكر روجر ما فعله فى أمسيته . غادر مكتبه فى الخامسة وعشر دقائق ، وبلغ جراج بيته فى الخامسة والدقيقة الأربعين وقال · وكانت أنوارك مضاءة عندما عدت ، واعدت جليندا كأسا . ونظرنا من النافذة بعد ربع ساعة بالتقريب . ولاحظت جليندا ان أنوارك كانت مطفأة .

وقطب حاجبيه وقال . الواقع ان الساعة كانت السادسة وخمس دقائق تقريبا ، قالت جليندا شيئا بخصوص سيارة تخرج من بيتك .

قاطعه هوج تايلور . سيارة ؟ .. ما نوعها؟

– لا أدرى . لم تذكر جليندا ذلك ، وكنت أولى ظهرى للنافذة .

– هل انت واثق من الساعة ؟

حدق روجر فى عينيه وقال : كل الثقة .

وتساءل هل رأت جليندا حقا سيارة تحمل شارون ونيل ؟

نيل وشارون اختطفا .. ماذا سيقول لها الآن، تحول إلى هوج تايلور وقال :

– سوف تنزعج زوجتى الآن .

هز هوج رأسه وقال : اننى أفهم . ويرى مستر بيترسون اننا يجب أن نخبرها بالحقيقة . ولكن من الحيوية ألا تكون هناك اية دعاية حول هذه القصة ، فلا نريد أن نتسبب فى ذعر المختطف أو المختطفين فان حياة شارن ونيل فى خطر.

صاحت دورا وهى تنتحب . فى خطر .

رأى روجر وجه ستيف يتوتر وقال هوج تايلور : هل تعرف الآنسة مارتن ياسيد بيرى؟

- نعم .. التقيت بها كثيرا ، هنا في بيتى . هل استطيع أن أعود بجوار زوجتى؟

ولكنه لم يكد يفرغ من قوله هذا حتى دق الجرس ، فأجفل الجميع وأسرع الحارس الذى كان يفحص المطبخ ، ودفع روجرجانبا وفتح الباب .

كانت جليندا واقفة بالعتبة ووجها مبتل من الثلج وقدماها العاريتان فى شبشب من الساتان . ولم تكن ترتدى غير ثوب منزلى يكاد يحميها من البرد . وكانت شاحبة وفى يدها ورقة واسرع روجر اليها ومنعها من الوقوف وضمها اليه .. تمتمت تقول:

- روجر التليفون . قال لى أن اكتب .. وطلب منى أن أعيدها بعده، وألا أخطىء وإلا فان نيل .. نيل .

انتزع هوج الورقة من يدها وقرأ بصوت مرتفع : قولى لستيف إنه إذا كان يريد أن يرى ابنه وصديقته على قيد الحياة أن يكون فى كشك التليفون بمحطة اسو بطريق ميريت السريع فى الساعة الثامنة صباحا وسأذكر له تعليماتى بخصوص الفدية .

قطب هوج جبينه . كانت الكلمة الأخيرة غير واضحة . وقال : ماهى هذه الكلمة يامدام بيرى .

- إنه ذكرها لى مرتين ، وقد كتبتها بقدر ما استطعت ، فقد كان متعجلا .. إنها الثعلب .. نعم إنه كررها مرتين .

إرتفع صوت جليندا ، وتوتر وجهها ، وابتعدت عن روجر ، وتقلصت يداها فوق صدرها وقالت : لقد حاول أن يغير صوته .ولكنه عندما اعاد الاسم ياروجر .. بق ان سمعت هذا الصوت .. انه لرجل أعرفه .

(١٩)

قبل أن يغادر بوب كورنر السجن اتصل تليفونيا بكاتى مور ليخبرها أنه سيلتقى بها فى المكتب .

كانت كاتى مساعدة المحامى العام المكلف بمحكمة بريد جبورت للأولاد ، وتعاونا عندما كان يعمل فى محكمة الاعفاءات القضائية، وكانا يخرجان معا منذ ثلاثة شهور وساهمت مساهمة فعالة فى كفاحه لانقاذ رونالد تومبسون .

وكانت تنتظره فى غرفة الاستقبال مع الموظفة التى تضرب على الآلة الكاتبة التى طلبها منها . قالت له : تقول مارج انها ستبقى طوال الليل اذا استدعى الأمر. علام حصلت ؟

أجاب : على الكثير . جعلته يكرر قصته أربع مرات ، وهذا عمل سيقتضى منا ساعتين .

مدت مارج يدها وقالت : اعطنى اياه .

ووضعت جهاز التسجيل فوق مكتبها وتربعت فى مقعدها ووضعت الكاسيت رقم «١» وأعادته إلى بدايته ، وبدأ صوت رون تومبسون خافتا ولاهثا : كنت اشتغل فى سوق تيمبرلى بعد ظهر ذلك اليوم، بعد ان انصرفت من المدرسة .

ضغطت مارج على مفتاح الايقاف وقالت :

– حسنا يمكنكما أن تفعلا شيئا آخر ، فسأهتم أنا بهذا .

– شكرا يامارج .

وتحول بوب إلى كاتى وقال : هل أتيت بالملفات؟

– نعم ، وهى فى مكتبى .

تبعها إلى الغرفة الصغيرة المزدحمة التى تشغلها ، ولم يكن فوق مكتبها غير أربعة ملفات معنونة باسماء «كارفولى» و«ويس» و«امبروز» و«كالاهان» وقالت :

- هذه الملفات هي محاضر التحقيق وفي كل منها تقرير الشرطة . وسيحتد كين بروكس إذا عرف ذلك يابوب والواقع أنه سيطردني بكل تأكيد .

كان كين بروكس المحامي العام . وجلس بوب أمام المكتب وتناول أول ملف ، ونظر إلى كاتى قبل أن يفتحه كانت ترتدى بنطلونا من الجينز وبلوفرا سميكا ، وتحتجز شعرها الأسود في مؤخرة رأسها بشريط . وكانت تبدو كطالبة في سن الثامنة عشرة مع أنها في الخامسة والعشرين من العمر ، ولكنه ما أن وجد نفسه أمامها لأول مرة حيث تقابلا في إحدى القضايا حتى قدرها حق قدرها . كانت محامية قديرة ذات ذهن دقيق وتحليلي وشغف حقيقي بالعدالة .

- أعرف المجازفة التي تقومين بها ياكاتي . ولكن إذا اهتدينا إلى علاقة تربط هذه الجرائم بجريمة مقتل نينا بيترسون .. ان فرصتنا الوحيدة في انقاذ رون هي ايجاد دليل جديد .

سحبت كاتى مقعدا إلى الناحية الأخرى من المكتب وامسكت بملفين وقالت : حسنا . ثم إننا إذا اكتشفنا علاقة بين هذه الجرائم ومقتل نينا بيترسون فان كين بروكس سيتغاضى عن انني اعطيتك هذه الملفات فان الجرائد تلاحقه ، وذكرت هذا الصباح أن الجريمتين الأخيرتين تمتا عن طريق الهاتف اللاسلكي .

- لماذا ؟

- كان لدى كل من الفتاة كالاهان والسيدة امبروز هاتف لاسلكي وقد طلبتا النجدة ، فقد ضلت السيدة امبروز الطريق ونفد البنزين الذى لديها تقريبا وانفجر احد اطارات بربارا كالاهان .

- منذ سنتين قتلت السيدة ويس، وجان كارفولي في ليلة كانا ينطلقان فيها في طريق مقفر .

- ولكن هذا لا يثبت شيئا ، فعندما قتلت جان كارفولي والسيدة ويس نشرت الجرائد مقالات عن جرائم رجل الطريق السريع ، وكانت مقالات مثيرة.

– وما رأيك انت ؟

– لا أدرى . بعد إلقاء القبض على رون تومبسون بتهمة قتل نينا بيترسون لم تقتل اية امرأة أخرى فى فيرفيلد حتى الشهر الأخير ولدينا اليوم جريمتان مستعصيتان ، ولكن هناك الكثير من هؤلاء القتلة فى البلد . والنداء اللاسلكى جنون من ناحية امرأة تنطلق بمفردها فى طريق مقفر وتتعطل عربتها ، وهى دعوة لكل مجانين الناحية الذين يسمعونها . وقد وقعت جريمة من هذا النوع فى لونج أيلاند فى العام الماضى ، فقد كان من عادة فتى فى الخامسة عشرة من عمره أن يلتقط النداءات الموجهة للشرطة وان يسرع إلى اماكن الجريمة ، وقد ألقى القبض عليه أخيرا وهو يطعن امرأة طلبت نجدة البوليس .

قال بوب : أصر على الاعتقاد بأن هناك علاقة بين هذه الجرائم الأربع وانها مرتبطة تقريبا بمقتل نينا بيترسون لك أن تقولى ان هذا استشعار واننى اتشبث بكل ما يمكن أن نجده . ولكن ساعدينى .

– هذا ما انويه فعلا ، ولكن كيف نفعل ؟

– يجب أن نعد قائمة أولا .. المكان وسبب الموت، والسلاح المستخدم والظروف الجوية ونوع السيارة والسوابق المألوفة وأقول الشهود ، واين كانت السيارات تنطلق وان نحسب الوقت بين النداءات التى أرسلنها بالهاتف اللاسلكى وبين ذلك الوقت الذى عثروا فيه على الجثث ، ونطابق عندئذ كل عنصر من هذه العناصر بظروف موت نينا بيتسرون ، واذا لم نجد شيئا نعود ونبحث من جديد من زاوية أخرى .

وراحا يعملان من الساعة الثامنة وعشر دقائق ، وفى منتصف الليل دخلت مارج ومعها أربع كومات من الورق وقالت : قرغت . كتبتها بثلاث فواصل حتى يمكنكما الاهتداء بسهولة إلى التناقضات بين كل صيغة . ان الاصغاء إلى هذا

الشاب يحطم القلب ، وانا أعمل كاتبة بالقضاء منذ عشرين عاما، بيد انني أعرف رنة الصدق ، وهذا الشاب يقول الحقيقة .

ابتسم بوب ابتسامة متعبة وقال : ليتك كنت المحافظ يامارج شكرا جزيلا.

– ماذا وجدتما معا؟

هزت كاتي رأسها وقالت . لاشيء .. لاشيء اطلاقا .

– حسنا . ربما تكشف لكما هذه الصفحات دليلا ما . هل آتيكما بقهوة ؟ أراهن أن كلا منكما لم يتناول عشاءه .

وعندما عادت بعد عشر دقائق ، كان بوب وكاتي منحنيين فوق كومتين من الأوراق . وكان بوب يقرأ بصوت مرتفع ويطابقان بين النسختين سطرا سطرا .

وضعت مارج فنجاني القهوة وانصرفت دون أن تنطق . وتركها الحارس تخرج من المبنى ، وتدثرت في معطفها الشتوى السميك ، وتذرعت بالشجاعة لمواجهة عبور الموقف الذى يكسوه الثلج وراحت تبتهل قائلة : رباه لو ان فى تلك الأوراق ما يمكن أن يساعد هذا الشاب فساعدهما على أن يجداه .

واشتغل بوب وكاتي حتى الفجر . وقالت كاتي عندئذ .

– يجب أن نفترق الآن لابد أن أعود إلى البيت وان آخذ دشا وارتدى ثيابى فهم ينتظروننى فى المحكمة فى الساعة الثامنة ، ومهما يكن فلا أريد أن يراك أحد هنا .

وافقها بوب وتعقدت الكلمات فى رأسه . كانا قد طابقا بين الصيغ الأربع لقصة رون عن نشاطه يوم الجريمة ، وركزا على الوقت الذى مر بين اللحظة التى كلمته فيها نينا بيترسون فى سوق تيمبرلى وذلك الذى هرب فيه من بيتها . لم يكن هناك أى تناقض له معناه ، وأصر بوب قائلا : ومع ذلك فيجب أن يكون هناك شيء . سآخذها معى ، ودعينى آخذ القوائم التى اعددناها عن الجرائم الأربع .

- لا يمكنك أن تأخذ الملفات معك .

- اعرف ذلك . ولكن ربما تركنا عنصرا مهما فى مطابقاتنا .

قالت كاتى فى صوت رقيق : لم نترك شيئا يفوت منا .

نهض وقال : سأبدأ من جديد فى مكتبى . أريد أن أطابق هذه الحالات الأربع مع محاضر القضية .

ساعدته كاتى فى تنسيق الأوراق فى حافظته وقالت . لا تنس جهاز التسجيل.

- كلا . واحاطها بذراعه واعتمدت عليه لحظة : اننى أحبك ياكات .

- وأنا أحبك .

صاح يقول : لو أن لدينا مزيدا من الوقت فحسب .. هذا الحكم اللعين كيف حدث بالله أن اتفق اثنا عشر شخصا على أن هذا الفتى يجب أن يموت .. عندما يجدون القاتل الحقيقى ، هذا إذا وجدوه ، فسيكون الوقت قد فات .

دكت كاتى جبينها وقالت : اننى ايدت فى البداية حكم الاعدام واننى لأرثى للضحايا أكثر ما ارثى للمجرمين . ولكن كان لدينا أمس فتى فى محكمة الاطفال ، فى الرابعة عشرة من عمره يبدو كأنه فى الحادية عشرة .. فتى معروق يعانى الامرين بين أبوين مدمنى خمر، قدما شكوى ضده وهو فى السابعة من عمره سبع سنوات ارتكب الكثير من الآثام ، ومازال يستمر فى الهرب ، وهذه المرة قدمت الأم شكوى يدحضها الأب ، وهما منفصلان وكل منهما يريد أن يحتفظ بالولاية على الفتى .

- وماذا حدث؟

- كسبت الجولة إذا جاز لى القول . اصررت على أن يودع ملجأ للأطفال، ووافقنى القاضى . والأب مخمور دائماً ولم يعد واعيا بما يدور حوله . وحاول

الفتى الهرب من قاعة المحكمة واضطر ضابط الشرطة أن يمسكه من وسطه حتى لا يهرب وأصيب بالهيستريا وراح يصيح انني أكرهكم جميعا . لماذا لا يكون لي بيت كالآخرين . واعتقد أنه بلغ الحد الذى لا يمكن فيه انقاذه فاذا قتل أحدا بعد خمس أو ست سنوات فهل ندعه يجلس على الكرسى الكهربائى .. وهل يكون لنا الحق فى ذلك ؟

وبرقت عيناها بدموع التعب .

– انني أعرف ياكاتي . ومع ذلك لماذا اخترنا هذه المهنة .. ان هذا ليدعو إلى الجنون.

وفي مكتبه وضع بوب الغلاية مملوءة بالماء فوق الموقد ، وبددت أربعة فناجين من القهوة السادة والقوية احساس الغشاوة من عينيه ، ورش وجهه بالماء البارد وجلس أمام مكتبه الكبير ورتب وضع الأوراق التى معه وألقى نظرة إلى المنبه . كانت الساعة السابعة والنصف .. بقيت امامه خمس وعشرون ساعة بالكاد قبل تنفيذ حكم الاعدام ولهذا راح قلبه يخفق بشدة وشعر بالجفاف فى حلقه .

كلا . كان أكثر من احساس بالاستعجال .. كان هناك شيء يلح عليه .. اننا تركنا شيئا .

ولكن ذلك لم يكن وهما هذه المرة ، وانما كان يقينا .

(٢٠)

ظل ستيف وهوج جالسين إلى المائدة بغرفة الطعام مدة طويلة بعد أن عاد آل بيرى إلى بيتهم وبعد ان صعد آل لوفتس إلى غرفتهم .

وكان رجال الشرطة قد رفعوا بهدوء وفعالية كل البصمات فى البيت، وبحثوا فى كل مكان بالداخل والخارج عن آثار المختطف ولكن الآثر الوحيد الذى وجدوه هو الرسالة المكتوبة فوق لوح الاردواز .

قال هوج يخاطب ستيف : سوف تتطابق البصمات التى على الكأس وعلى القدح مع البصمات الموجودة على حقيبة شارون مارتن بدون شك .

هز ستيف رأسه . كان فمه لاذعا وجافا ، كان قد تناول أربعة فناجين من القهوة وسجائر كثيرة لقد انقطع عن التدخين وهو فى سن الثلاثين ولكنه عاد اليه بعد موت نينا ، وكان هوج هو الذى أعطاه أول سيجارة ، وارتسمت على زاويتى شفتيه ابتسامة سخرية وقال وهو يشعل سيجارة .

– انت الذى أعدت الى طعم التبغ .

هز هوج رأسه ، وتذكر أنه كان يجلس إلى نفس المائدة مع ستيف عندما اتصل به أحدهم ونقل اليه رسالة من نينا . كانت تقول : قل لزوجى أن يتوخى الحذر فان ابنى فى خطر . وكان ذلك فى صباح اليوم الذى دفنت فيه نينا بالذات.

ارتجف هوج عند هذه الذكرى . ليت ستيف لا يتذكرها . فحص الملاحظات التى دونها وقال : ستيف .. هناك تليفون عمومى فى الكشك الكائن أمام محطة بنزين «اسو» . سنوصله بجهاز انصات ، وكذلك تليفونك وتليفون آل بيرى . وعندما تتحدث إلى الثعلب ابذل المستحيل لتبقيه على الخط فسوف يتيح لنا ذلك ان نكشف مكانه وان نسجل صوته . وانها لتكون فرصة حقا لو أن مدام بيرى تستطيع أن تتذكر ذلك الرجل إذا سمعته من جديد .

– لعل الخيال قد تمادى بها فأنت قد رأيت إلى أى حد كانت مضطربة .

– كل شىء جائز . ولكننى ارى انها امرأة متزنة ، ثم انها على يقين مما تقول ومهما يكن فلتكن متعاونا ، وقل للثعلب انك تريد دليلا على ان شارون و«نيل» سالمين ومعافين ، وانه لابد ان تصلك منهما رسالة على شريط كاسيت مثلا ، ومهما يكن المبلغ الذى يطلبه فاوعده به ، ولكن صرح له بأنك لن تدفع إلا إذا حصلت على الدليل المطلوب .

قال ستيف ، وقد ادهشه عدم اهتمامه هو بالذات :

– ألا يمكن أن يكدره ذلك ؟

– كلا . بل سيضمن لنا أنه لن يجن و.. وضغط هوج على اسنانه وادرك ان ستيف قد فهم . واخذ (دفتر مذكراته) .. لنبدأ من جديد . كم شخصا يعرفون برنامج البيت هذا المساء . من كان يعرف أن آل لوفتس يجب أن يخرجوا ، وان شارون مارتن يجب أن تأتى؟

– لا ادرى .

– وآل بيرى؟

– كلا فأنا لم أرهم من أسبوع إلا لتبادل تحية سريعة .

– ليس هناك اذن غير آل لوفتس وشارون وأنت .

– و«نيل».

– طبعا . هل يمكن أن يكون قد تحدث عن مجىء شارون مع بعض أصدقائه أو بعض الأساتذة؟

– هذا ممكن .

– ما مدى علاقتك بشارون مارتن ؟.. آسف ولكن يجب أن أعرف .

– ان الأمر بيننا جدى .. وانوى أن أطلب منها أن تتزوجنى .

– علمت انكما كنتما ضيفى أخبار التليفزيون صباح اليوم . وانكما تختلفان معا بخصوص حكم الاعدام قيل لى انها كانت شديدة التأثر لادانة تومبسون.

– انك تعمل بسرعة .

– لابد من ذلك ياسيد بيترسون . إلى أى حد يؤثر هذا الخلاف على علاقتكما الشخصية .؟

– ماذا تعنى بذلك ؟

– حاولت شارون يائسة انقاذ حياة رونالد تومبسون ، وكانت عند آل بيرى وكان فى استطاعتها معرفة رقم تليفونها ، ولاتنس أنه ليس مذكورا فى الدليل ، أهناك احتمال أن يكون هذا الاختفاء مجرد خدعة وان شارون تخاطر بكل شىء فى سبيل تأخير حكم الاعدام؟

– كلا ، كلا. أخشى أن تكون مضطرا إلى تأمل هذه المسألة ، ولكننى أرجوك ألا تضيع وقتك بحق السماء ان الذى كتب هذه الرسالة يمكن أن يكون قد عرف رقم تليفون بيرى ، فهو مدون على اللوحة مع رقم الطبيب ، وان شارون غير جديرة بمثل هذا العمل .

بدا هوج غير مقتنع وقال : ياسيد بيترسون لقد عرفنا اناسا كثيرين لم نكن نتوقعهم تماما خرقوا القانون باسم بعض الدوافع هذه السنوات العشر الأخيرة، وأقول لك هذا فحسب : إذا كانت شارون دبرت هذه المسألة فإن إبنك لا يواجه أى خطر .

اخترق وميض خفيف من الأمل ذهن ستيف ، فقد قالت له شارون هذا الصباح : : كيف يمكن أن تكون ايجابيا هكذا ، وان تكون شديد الثقة بنفسك، وشديد القسوة ... اذا كان هذا ماكانت تفكر فيه ، فهل يمكن أن .. ومات الأمل وقال فى صوت أصم : كلا هذا مستحيل .

– حسن جدا . فلتنس هذا فى الوقت الحاضر ، ولنر رسائلك . أليس هناك أى تهديد ؟ . ولا أية رسائل قذف . أليس هناك شىء من هذا النوع؟

– بضع رسائل قذف حول بيانى عن حكم الاعدام ، وبالأخص قبيل تنفيذ حكم الاعدام على تومبسون .. لاشىء يثير الدهشة .

– ألم تتلق تهديدات مباشرة ؟

قطب ستيف جبينه وقال : كلا .

واسرع هوج يسأله : فيم تفكر؟

– اوه. استوقفتنى أم رونالد تومبسون فى الشارع فى الاسبوع الماضى ، فأنا اصطحب كل صباح «نيل» إلى المستشفى لكى يأخذ حقنة . كانت فى الموقف عندما خرجنا واسرعت إلى وطلبت منى أن اتوسل لدى المحافظ ليبقى على حياة ابنها.

– وبماذا أجبتها؟

– قلت لها اننى لا أستطيع أن أفعل شيئا . وكنت على عجل لكى أمضى بـ«نيل» بالطبع ، ولم أكن أريد أن ينفذ الحكم يوم الأربعاء ، واردت أن يركب السيارة بأسرع ما يمكن حتى لا يسمع حديثنا وأوليتها ظهرى ولكنها حسبت أننى اتجاهلها ، فقالت شيئا كماذا تشعر لو أنه ابنك الوحيد، ثم ابتعدت . .

دون هوج فى مذكرته ، استجواب مدام تومبسون ، ثم نهض وتمطى وهو يتذكر فى غموض أنه يستعد للذهاب إلى النوم منذ قرون وقال :

– مستر بيترسون ، لاتنس ان النسبة المئوية لنجاحنا فى قضايا الاختطاف مرتفعة ، واننا نبذل كل جهدنا للعثور على نيل وشارون ، وانصحك الآن أن تمضى وتنام بضع ساعات .

نظر ستيف اليه وقال مستنكرا : أنام؟

– استرح على الأقل . اصعد إلى غرفتك وتمدد ، وستبقى هنا وسنعود عند الحاجة ، وإذا رن التليفون فارفع السماعة . ان تليفونك مراقب الآن ولكننى لا اعتقد أن المختطف سيظهر مرة أخرى الليلة .

– حسنا .

غادر ستيف غرفة الطعام فى خطوات ثقيلة ، وتوقف فى المطبخ لكى يشرب

كوبا من الماء وندم على ذلك فان قدح الشيكولاتة وكأس الشيرى المدهونين بغبار فحص البصمات كانا لايزالان فوق المائدة .

كانت شارون هنا قبل ساعات .. فى هذا البيت، مع «نيل» . لم يدرك إلى أى حد كان يريد أن يتعلق نيل بها حتى هذه الأسابيع الثلاثة التى افتقدها فيها.

خرج من المطبخ واجتاز الطرقة وصعد الدرج ، وعبر الرواق إلى غرفة «نيل» والضيوف قبل أن يدخل الغرفة الرئيسية وسمع فوق رأسه أصوات اقدام آل لوفتس يسيرون في الطابق الثالث ولا يستطيعون النوم .

اضاء النور وبقي واقفا على العتبة ، يفحص الغرفة . اعاد فرشها بعد موت نينا . لم يشأ أن يعيش فى تلك الرياش الجميلة القديمة التى كانت تحبها جدا ، واستبدل السرير المزدوج بسرير عادى ذى أعمدة من النحاس واختار مجموعة من الألوان الموشاة بالأسمر والأبيض ، قيل له فى محل الديكور انها غرفة رجل.

لم يهتم بذلك أبداً . كانت غرفة منعزلة لا طابع بها .. كان البيت كله على هذه الصورة . اشترياه لأنهما أرادا بيتا على شاطىء البحر، وكانت نينا قد قالت : يمكن أن نخلق منه بيتا رائعا . ما عليك إلا أن تنتظر وسوف ترى . امهلنى ستة شهور، ولكن القدر لم يمهلها أكثر من اسبوعين .

عندما ذهب إلى بيت شارون للمرة الأخيرة حلم أن يعيد فرش هذه الغرفة . وهذا البيت معها . كانت تعرف كيف تعطى للبيت لمسة من الجمال والهدوء الدافىء. ذلك بفضل الألوان التى تستخدمها ومفهومها عن المساحة . وبفضل وجودها أيضا .

خلع حذاءه وتهالك فوق الفراش . كان الجو رطبا فبسط الغطاء فوقه واطفأ نور السقف .

عم الظلام المكان الآن ، وراحت الريح فى الخارج تقصف أغصان الشجر بالحائط ، والثلج يصطفق فى ليونة بألواح النافذة .

غرق ستيف فى نوم خفيف مضطرب وراح يحلم .. شارون ونيل كانا يستنجدان به ، وكان يجرى خلال ضباب سميك . فى طرقة لا نهاية لها ، فى آخرها غرفة بلغها أخيرا وحاول أن يدخل . كان لابد له أن يدخل . وفتح الباب وانجلى الضباب وتبدد ، وكان نيل وشارون ممددين فوق الأرض ، وحول عنق كل منهما ايشارب معقود ، وخط من الطباشير الملون يرسم حدود جسديهما .

(٢١)

كان هناك خطر كبير أن يراه أحد وهو يصعد رصيف مونت فرنون فى وقت متأخر من المساء ، خاصة ان حراس الدور السفلى منتبهون لمثل هذه الأمور ، وهذا هو السبب فى أنه غادر شارون فى الحادية عشرة إلا دقيقتين ، ففى الحادية عشرة تماما يدخل المحطة قطار، ويستطيع عندئذ الاختلاط بالمسافرين الثمانية أو العشرة الذين سيهبطون إلى الرصيف ويصعدون السلالم .

وانضم فى هدوء إلى ثلاثة منهم يتجهون إلى المخرج ، نحو شارع فندر بلت، وكان يبدو لكل من يراه أنه ضمن جماعة من أربعة أشخاص ، وافترق عنهم عندما تحولوا إلى اليسار فى حين تحول هو إلى اليمين، وفحص الشارع ، وتوقف على الفور فقد كانوا يربطون فى صخب عربة شيفروليه قديمة بنية اللون بالسلاسل الى الونش لكى يمضوا بها .

شغله الامر كثيرا ، وابتعد نحو شمال المدينة . كان فى نيته أن يتصل تليفونيا من الكشك الموجود أمام «بلو نجديل» ، واصابه السير نحو شارع لكسنجتون بخير كبير ، وهدأت الرغبة التى أحس بها وهو يعانق شارون . كانت تريده هى الأخرى ، وقد أحس بذلك .

كان فى إمكانه ممارسة الحب مع شارون لولا وجود الصبى ، فقد كانت عيناه هناك ، تحت العصابة ، وقد يرى من خلال القماش . وسرت فى بدنه الرعشة لمجرد هذه الفكرة.

كان الثلج قد قل سقوطه كثيرا ، ولكن السماء لاتزال ملبدة بالغيــوم ، وقطب حاجبيه وهو يعرف مدى أهمية أن تكون الطرق متيسرة عندما يبحث عن النقود.

كان يتوقع أن يتكلم فى التليفون مع آل بيرى أما اذا لم يكونوا بالبيت فلابد أن يتصل ببيت بيترسون مباشرة . ولكن كان هذا اكثر خطرا .

وكان الخطر مواتيا له، فقد رفعت مدام بيرى السماعة على الفور ، وخمن من صوتها مدى انفعالها واضطرابها ، ولا ريب أن بيترسون قد أخطرهم باختفاء شارون ونيل ، وبلغها الرسالة بذلك الصوت المبحوح الذى حسبوا أنه استخدمه ولم يحس بالاضطراب الا عندما لم تفهم اسمه فرفع صوته ، وكانت هذه حماقة كبيرة منه، ولكنها كانت شديدة الاضطراب بلا شك بحيث لم تلحظ ذلك .

ابتسم وهو يعيد السماعة مكانها .. لو أن الشرطة الفيدرالية قد علمت بالأمر فلابد أنهم أوصلوا جهاز الانصات بتليفون محطة «اسو»، ولهذا عندما اتصل ببيترسون صباح اليــوم، من ذلك الكشـك ، كان ينوى أن يطلب منه أن يمضى توا إلى كشك المحطة التــالية وبهـذا لا يجدون الوقت الكافى لايصــال جــهــاز الانصات به.

وأحس بأنه فى أحسن حالاته ، وبتفوقه وهو يخرج من كشك التليفون كانت هناك فتاة تقف على عتبة دكان صغير للملابس ، ورغم البرد فقد كانت ترتدى جونلة قصيرة وحذاء برقبة طويلة وسترة من الفرو بيضاء اللون، وهذا زى وجده جذابا جدا ابتسمت له وشعرها الغزير يتطاير حول وجهها ، كانت شابة لاتزيد سنها على تسعة عشر عاما ، وقد راق لها، وكان واثقا أنه راق لها لا من شىء الا من رؤية عينيها ، وتقدم نحوها .

ولكنه توقف على الفور . انهـا من بنات الهـوى بالتـأكـيد ، وحـتى إذا كـانت صادقة فى عواطفها فـان البوليس يمكن أن يراقبهما ويلقى القبض عليهما ، فقد قرأ عن مشاريع كبيرة انهارت بسبب غلطة خفيفة .

تجاوز الفتاة فى عزم ، وتركها تبتسم ابتسامة حزينة قبل أن ينطلق فى الهواء البارد ، نحو بليتمور .

ناوله نفس موظف الاستقبال مفتاحه ، ولم يكن قد تناول العشاء ، كاد يموت من الجوع ، رأى ان يطلب ثلاث زجاجات من البيرة . كان يشعر دائما منذ بعض الوقت برغبته فى البيرة ، ولعلها السعادة .

وبينما هو ينتظر الشطيرتين والبطاطس المحمرة وكعكة التفاح أخذ دشا ، فقد كان يسود الغرفة التى غادرها جو من العفن والبرودة والقذارة، وبعد أن جفف نفسه ارتدى البيچاما التى جاء بها لهذا الغرض وفحص حقيبته من كل جوانبها وتحقق أنه ليس بها أى قطع أو اية بقعة .

اعطـى بقـشـيشـا سـخـيا لسـاعى الطـابق ، فـقـد رآهم يفـعلون ذلك فى السينما، وازدرد مـرة واحـدة الزجاجة الأولى من البيرة ثم احتسى الثـانية مـع الشطيرتين ، وشـرب الثالثة فـى جرعات صغيرة وهـو ينظـر إلى أخبـار منتصف الليل .

كان هناك جديد فيما يتعلق بتومبسون فقد مات أمس آخر أمل فى تخفيف الحكم عليه ، وكانت الاعدادات قائمة لتنفيذ حكم الاعدام غدا فى الساعة الحادية عشرة والنصف ، كما هو متوقع ، لم تكن هناك أى اخبار عن شارون و«نيل» . وكانت الدعاية هى الشىء الوحيد الذى يخشاه لأنه قد يمكن لأحد التقريب بين القضيتين .

فتاتا الشهر الماضى كانتا غلطة ، ولكنه لم يستطع أن يغالب نفسه وكان قد

عزم على ألا يخرج ويتجول ، فقد كان الأمر شديد الخطورة ولكنه عندما سمع نداءيهما على الهاتف اللاسلكى دفعه شىء إلى الذهاب .

حركته ذكرى الفتاتين . وأطفأ الراديو وهو يرتجف . لا يجب . وإلا فانه سيحتدم.

كان لابد من ذلك .

اخرج من جيب معطفه المسجل والأشرطة التى يحملها معه دائما ، ووضع شريطا فى المسجل ورقد وأطفأ النور . كان جميلا أن يتكوم تحت الأغطية النظيفة المشدودة جيداً والملاءة الدافئة . سوف يمضى إلى الفندق كثيرا مع شارون .

وضع المسماع فى اذنه، وأدار مفتاح التشغيل ، ولم يسمع اثناء بضع دقائق غير صوت سيارة ثم صرير الفرامل ثم باب يفتح وبدا صوته هو بالذات ودودا ومسعفا . وترك الشريط يدور حتى أفضل نقطة ثم اقفل المسجل ورفع المسماع عن اذنه على صوت تحيب جان كارفولى · كلا .. أرجوك ، كلا .

(٢٢)

جيم فوجلر وماريان يتحدثان حتى وقت متاخر من الليل ورغم الجهد الذى بذله جيم لمواساة زوجته فقد غمر المرأة الشابة نوع من البؤس .

– ماكنت لاهتم كل هذا الاهتمام لو اننا لم ننفق عليها كل هذه النقود أربعمائة دولار لو ان السيارة كان يجب أن تسرق فلماذا لم نسرق فى الاسبوع الماضى قبل اصلاحها . لقد قام أرتى بعمل جيد وأصلحها تماما ، والآن، كيف سأمضى إلى آل بيرى؟ اننى سأفقد عملى بالتأكيد .

– لا تراعى ياعزيزتى لن تفقدى عملك . فسأعثر على شخص يقرضنى مائتى دولار وابحث عن سيارة أخرى مستعملة .

– اوه ياجيم هل تفعل هذا حقا؟

كانت ماريان تعرف أن جيم يمقت الاستدانة ، ولكنه إذا فعل هذه المرة فحسب..

كان الظلام قد خيم بحيث لم ير وجه زوجته، ولكنه أحس بها ترتخى فقال يطمئنها :

- سوف نمزح ذات يوم بسبب كل هذه النقود التى ننفقها وسوف يكون لدينا منها الكثير قبل أن نلحظ ذلك .

قالت : أرجو هذا .

وأحست فجأة بأنها متعبة جدا، وانطبقت عيناها .

وكانا قد غرقا فى النوم تقريبا عندما صلصل جرس التليفون وايقظهما واعتدلت ماريان على مرفقها بينما تحسس جيم مفتاح النور وأداره .

- آلو .. نعم ، أنا جيم فوجلر .. هذا صحيح .. هذه الليلة .. متى استطيع استردادها . ماذا؟ هل تسخر بى؟ لقد طفح الكيل .. حسنا ، ناصيتى الشارع السادس والثلاثين والشارع الثانى عشر؟.. أعرف شكرا .

وأعاد السماعة وصاحت ماريان · السيارة ؟.. هل وجدوا السيارة؟

- نعم فى نيويورك . كانت مركونة فى الممنوع بمانهاتن، ونقلها رجال الشرطة. سأستردها هذا الصباح، قال الشرطى ان بعض الفتيان قد ركبوها لكى يقوموا بنزهة .

- اوه ياجيم . هذا رائع .

- ولكن هناك مشكلة .

- ماذا ؟

قطب جبينه وقال مكشراً : اسمعي ياعزيزتي .. هل يمكن أن تصدقي ذلك؟ يجب أن ندفع خمسة عشر دولاراً من أجل المقطورة وستين دولارا للتخزن.

أوشكت ماريان أن تختنق .. مرتبي عن أول أسبوع .

وانفجرا في ضحكة حزينة .

وفي صباح اليوم التالي استقل جيم قطار السادسة والدقيقة الخامسة عشرة إلى نيويورك ، وعادا بالسيارة في التاسعة إلا خمس دقائق، وكانت ماريان متأهبة. وفي التاسعة بالضبط كانت تدخل درب دريفتوود . ولم تكن السيارة قد أضيرت من حادث الأمس في نيويورك . وكانت هناك سيارة مركوري مركونة في طرقة آل بيري ، كانت تشبه تلك التي لاحظتها أمام البيت، في الناحية الأخرى من الشارع عندما جاءت لأجل الحادثة في الأسبوع الماضي . لا ريب أن لدى آل بيري ضيوفا .

توقفت ماريان بجوار المركوري ، بعد تردد يسير ، وهي تحرص على ألا تسد الطريق إلى الخراج . وانتظرت لحظة قبل أن تفتح الباب . كانت تشعر ببعض الانفعال .. كل هذه القصة مع السيارة في نفس الوقت الذي عادت فيه إلى العمل. وقالت تحدث نفسها . حسنا لابد أن اتجمل بالهدوء . انني محظوظة حقا فقد عادت السيارة ، وربتت بيدها المرتدية بالقفاز على المقعد الذي بجوارها .

وتجمدت يدها، فقد لمست شيئا صلبا ، وخفضت عينيها ، وسحبت شيئا محشوراً بين المقعد والوسادة .

- هذا غريب .. كان خاتما . نظرت اليه فاحصة .. خاتم جميل بفص على هيئة ثمر وردي اللون وباهت في تركيبة جميلة .. لا ريب ان ذلك الذي سرق السيارة قد فقده .

حسنا . لم تكن هناك اية فرصة في أن يطالب به أحد ، فالخاتم ملكها الان

وفى هذا عزاء لها عن فقد الخمسة والسبعين دولارا التى انفقها جيم لاستردادها وخلعت قفازها ، ووضعت الخاتم فى أصابعها . كان على مقاسها تماما.

كان هذا فألا حسنا . ويجب أن يعلم جيم بذلك حالا . وفجأة فتحت الباب وقد اطمأنت وخرجت تحت الثلج ، وسارت فى خطوات رشيقة نحو باب مطبخ بيت آل بيرى.

(٢٣)

رن جرس التليفون العمومى أمام محطة خدمة «اسو» فى تمام الساعة الثامنة، فأمسك ستيف السماعة بحلق متوتر وفم شديد الجفاف وقال:

– آلو .

– سيد بيترسون ؟

صوت خافت ، من الخفوت بحيث لابد من بذل مجهود لسماعه .

– نعم .

– اذهب إلى كشك تليفون محطة الخدمة التالية بعد عشر دقائق ، بعد باب الخروج رقم ٢١ بالذات .

وانقطعت المكالمة .

– آلو .. آلو ..

ولكن لم يرد عليه غير الطنين.

نظر ناحية محطة البنزين يائسا . وكان هوج قد وصل قبله ببضع دقائق ورفع غطاء سيارته ، امام مضخات البنزين واشار لعامل المحطة إلى احدى العجلات. كان ستيف يعرف أنه يراقبه ، فهز رأسه وصعد إلى سيارته وانطلق نحو الطريق السريع .. وقبل أن ينعطف ألقى نظرة خلفه ورأى هوج يتبعه .

وكان الحصى قد أرغم ستيف على أن يبطىء ، فأمسك بعجلة القيادة وهو

يقول لنفسه إنه لن يصل أبدا إلى محطة الخدمة التالية فى عشر دقائق وانعطف إلى اليمين بكل سرعة .

الصوت .. إنه سمعه بالكاد ، وليست هناك اية فرصة لأن تهتدى الشرطة الفيدرالية إلى مصدره .

سيحاول هذه المرة إبقاء الثعلب على الخط أطول مدة ممكنة ، وربما يستطيع هو الآخر أن يعرف صوته وتحسس المفكرة فى جيبه يجب أن يكتب كل كلمة ينطق بها الثعلب . ورأى فى مرآته العاكسة سيارة كبيرة خضراء خلف سيارة هوج .

وكانت الساعة الثانية واحدى عشرة دقيقة عندما توقف ستيف أمام تليفون محطة الخدمة . كان جرس التليفون يصلصل فى اصرار فاندفع داخل الكشك وامسك بالسماعة .

كان محدثه يتكلم بصوت خافت جدا بحيث اضطر إلى أن يطبق بيده على اذنه الثانية ليكتم صخب الطريق : نعم .

– أريد اثنين وثمانين ألف دولار ، أورقا نقدية من فئة العشرة دولارات والعشرين والخمسين دولارا ، أوراقا جديدة . كن فى الساعة الثانية من صباح غدا فى كشك التليفون الذى على ناصيتى الشارع التاسع والخمسين وشارع لكسنجتون بمنهاتن ، تعال بسيارتك بمفردك ، وستعرف أين تترك المال. – اثنين وثمانين ألف دولار .. كرر ستيف التعليمات . كان يفكر فى الصوت بجنون ويحاول ان يسجل النبرات وان يتذكرها ويتمكن من تقليدها .

– اسرع يابيترسون .

– اننى ادون تعليماتك . سأتى بالنقود ، وساكون فى الموعد . ولكن كيف اعرف أن شارون وابنى لايزالان على قيد الحياة .. وكيف أعرف آنهما سيكونان معك . اننى بحاجة إلى دليل .

– دليل ؟.. أى نوع من الادلة؟

بدا الصوت هامسا ومحنقا:

– تسجيل شريط أى شيء يتحدثان فيه .

– شريط ؟

نقنقة غريبة .. كان الرجل يضحك وقال ستيف في اصرار . لابد لى من دليل.. وهمس يحدث نفسه : رباه .. لعلى لا أكون قد اخطأت .

– ستحصل على شريطك يابيترسون .

صوت نقنقة أخرى في نهاية الخط ، وصاح ستيف : آلو .. آلو .

ولكن لم يعد هناك أى صوت ، فأعاد السماعة ببطء .

ومضى رأسا إلى آل بيرى كما هو متوقع ، وانتظر هوج وكان من شدة الاضطراب بحيث لم يستطع البقاء في السيارة فغادرها وخرج إلي الطرقة، وجعله الهواء البارد والرطب يرتجف .. اواه ياربـاه .. ولكن ماالذى يحدث؟ هل هذا الكابوس حقيقى؟

وظهرت سيارة هوج فى آخر الطرقة وقال وهو يهبط منها : ماذا قال لك؟

اخرج ستيف البلوك نوت وقرأ التعليمات وقد اتسع احساسه بالوهمية، وسأله هوج . والصوت؟

– يبدو لى أنه متنكر وشديد الخفوت . اظن ان ما من أحد يمكنه أن يتحقق منه .

حتى ولو استخدمتم جهاز الانصات.

وترك بصره يهيم فى الشارع باحثا عن معين ، بائسا متشبثا بأمل ضعيف وعدنى بإرسال شريط وهذا يدل على أنهما لايزالان على قيد الحياة . قال هوج آنا واثق من ذلك.

لكنه احتفظ بقلقه لنفسه . لم ير كيف يمكن ان يأتى شريط لستيف قبل ان يدفع الفدية ، فإن المختطف لن يسعفه الوقت لإرساله ، حتى ولو عن طريق البريد المستعجل ، واذا ارسله مع رسول فيمكن تعقبه بسهولة لم يكن يريد فى الوقت الحالى ان يعرف الناس بأمر الاختطاف وإلا لعهد بالشريط الى احدى الجرائد او الى الاذاعة وسأل ستيف ماذا سيفعل بخصوص الفدية؟ هل يمكنك الحصول على اثنين وثمانين الف دولار؟

اجابه ستيف انا لا املك الا خمسمائة دولار ، لقد استثمرت كل ما معى فى المجلة الجديدة ، ولكننى استطيع الحصول على هذا المبلغ بواسطة أم نيل.

– أم نيل؟

– نعم لقد ورثت ثمانين الف دولار من جدتها قبل ان تموت وقد اودعتها البنك من اجل دراسة نيل والمبلغ فى بنك فى نيويورك وبالارباح يصل المبلغ الى اثنين وثمانين الف دولار.

– اثنين وثمانين الف دولار ؟ ومن كان يعلم بهذه الوديعة؟

– اننى اجهل ذلك لا أجد فيما عدا محامىّ والمحاسب ، فليس هذا من نوع الاشياء التى يمكن التحدث عنها.

– وشارون مارتن؟

– لا اذكر اننى حدثتها عن ذلك.

– ولكن أيمكن ان تكون قد فعلت؟

لا اظن ذلك.

صعد هوج الدرجات الامامية بالبيت وقال فى حرص:

– يجب أن تعرف من الذى يعلم بوجود هذا المبلغ، فهذا ، وزد عليه امكانية ان تتعرف السيدة بيرى على صوت المختطف ، هما الاثران الوحيدان اللذان امامنا.

فتح روجر الباب عندما طرقا الباب ، ووضع اصبعا على شفتيه وهو يدعوهما الى الدخول. كان وجهه شاحبا ومتوترا وقد انحنت كتفاه وقال:

– انصرف الطبيب منذ هنيهة واعطاها مسكنا. وهى ترفض ان تمضى الى المستشفى ولكنه يخشى ان تتعرض لحالة انسداد اخرى.

– إننى آسف يا سيد بيرى، ولكن يجب ان نطلب منها الاستماع الى تسجيل الحديث الأول الذى صدر من المختطف صباح اليوم.

قال وهو يضغط على قبضته: هذا محال فإن هذا ليقتلها.. نعم ان هذا ليقتلها.

وجلس وهو يقول : سامحنى يا روجر.. ماذا حدث؟

روى ستيف ما حدث بصورة آلية واحساسه بالوهمية يتزايد .. احساس بأنه يشاهد مأساة تدور تحت عينيه ولا يستطيع ان يتدخل .

قال روجر فى بطء بعد صمت طويل : رفضت جليندا الذهاب الى المستشفى لأنها عرفت انك بحاجة الى اسماعها هذا التسجيل وقد اعطاها الطبيب مسكنا قويا . ليتها تنام قليلا.. هل يمكن ان تعود فيما بعد، فهى لا يجب أن تنهض الآن بأى ثمن.

قال هوج بالتأكيد..

قاطعه رنين جرس فقال روجر: هذا جرس الباب الخلفى .. من القادم بحق الشيطان .. أوه ، رباه .. انها الخادمة الجديدة .. لقد نسيتها تماما.

أسرع هوج يسأله: وكم من الوقت ستبقى؟

– اربع ساعات.

– هذا محال ، فقد نكتشف شيئا قدمنى على آننى الطبيب . وعندما تفرغ اعدها الى بيتها وأخبرها انك ستدعوها بعد يوم أو يومين .. من اين أتت ؟

– من كارى.

رن الجرس من جديد.

– هل سبق ان جاءت الى هذا البيت؟

– الاسبوع الماضى.

– ربما نحتاج الى الاستعلام عنها.

– مفهوم.

واسرع روجر الى الباب الخلفي وعاد مع ماريان ونظر هوج الى وجهها السمح نظرة فاحصة . وقال روجر:

قلت لمدام فوجلر ان زوجتى كانت مريضة .. مدام فوجلر اقدم لك السيد بيترسون ، والدكتور تايلور.

– صباح الخير ايها السادة (وكان الصوت ودودا وخجلا بعض الشئ) أوه سيد بيترسون هل السيارة المركورى لك ؟

– نعم.

– لابد اذن انه ابنك الصغير .. انه طفل حبوب .. كان فى الناحية الأخرى من الشارع عندما اتيت الاسبوع الماضى ودلنى على البيت إنه مؤدب جدا ويجب ان تكون فخورا به.

– اننى فخور .. فخورجدا بـ «نيل».

واولاها ظهره فجأة وامسك بأكرة الباب والدموع فى عينيه .. رباه .. ارجوك.

تدخل هوج وامسك بيد ماربان وهو يحرص على آلا يضغط على الخاتم الغريب الذى فى اصبعها، وفكر وقد تغيرت ملامحه: انه لمن الغريب ان تقوم بالخدمة. وعاد يقول :

– انها لفكرة جيدة ان تاتى مدام فوجلر الى بيتك يا سيد بيرى، وأنت تعرف الى أى مدى تقلق زوجتك من اجل البيت اظن انه يجب ان تبدأ اليوم كما توقعت.

– اوه اننى افهم حسن جيدا.

كان روجر يراقب هوج وقد ادرك ما يرمي اليه هل يمكن ان تكون لهذه المرأة علاقة باختفاء «نيل».

استولت الحيرة على ماريان وحولت عينيها عن الرجلين ونظرت الى ستيف وهو يفتح الباب . لعله رأى انها كانت شديدة الألفة معه وهي تمد يدها إليه ربما يجب ان تعتذر ، فهي ليست الا خادمة ولا يجب ان تنسى ذلك واوشكت أن تلمس كتفه، ولكنها غيرت رأيها واكتفت بان تبقى الباب مفتوحا لهوج دون ان تنطق بكلمة، واغلقته خلفهما في بطء، ونص الخاتم يومض على اكرة الباب.

(٢٤)

لم يكن يريد أن يكون بكاء ، وكان يبذل قصارى جهده لكي لايبكي. ولكن كان ذلك بالنسبة له كالربو تماما ، لم يكن بستطيع أن يمتنع عنه، وكان يشعر بذلك الضيق في حنجرته ، ويسيل انفه وتغرق وجهه دموع كبيرة وكان يبكي كثيرا في المدرسة ، وكان يعلم ان الاولاد الآخرين يرونه طفلا وان المدرسة نفسها مثلهم ، رغم انها كانت تتظاهر بانها لا تلحظ ذلك.

ذلك ان هناك شيئا فيه يزعجه دون انقطاع، نوعا من الخوف والقلق وقد بدأ كل شئ في اليوم الذى الحقوا فيه الأذى وذهبت الى السماء . كان يلعب بقطاراته في تلك الليلة ولم يلمسها بعد ذلك ابدا .

تسارعت انفاسه عند هذه الذكرى كانت الكمامة تمنعه من ان يتنفس عن طريق فمه وراح صدره يرتفع وحاول أن يبلع ريقه فانحشرت قطعة من القماش في فمه، وكانت سميكة وحكت لسانه. اراد ان يقول لا استطيع ان اتنفس فانحشرت الكمامة اكثر واحس بانه يختنق ، وهم بأن يبكي.

- اهدأ يا نيل .

كان صوت شارون غريبا جدا ومبحوحا ، كما لو أنه يصدر من حلقها. لكن

وجهها كان قريبا من وجهه، واستطاع ان يحس به يتحرك عندما كلمته. لابد ان على فمها هى الاخرى قطعة من القماش.

اين هى؟ كان الجو بارداً والمكان يبدو نتنا جدا. كان فوقه شئ ، نوع من الغطاء القذر، كانت عيناه مطبقتين تماما والظلام حالكا.

كان الرجل قد فتح الباب وألقاه على الأرض . قيدهما وحمل شارون ، ثم عاد وأحس به يرفعه ويضعه فى كيس كبير . لقد اختفى ذات يوم وهم يلعبون الاستغماية فى بيت ساندى فى كيس كبير لاوراق الشجر الجافة وجده فى الجراج، وقد احس بنفس الاحساس ولم يتذكر شيئا بعد ان وضعه الرجل فى الكيس لاشئ الى ان اخرجته شارون وتساءل لماذا لا يتذكر شيئا كما حدث له فى اليوم الذى وقعت فيه امه على الأرض لم يشأ أن يفكر فيه . كانت شارون تقول: تنفس ببطء يا نيل لاتبك يا نيل فانت شجاع.

لاريب انها هى الأخرى كانت ترى أنه لم يكن غير بكاء . كان يبكى عندما جاءت منذ قليل . انه دائما نفس الشئ عندما يرفض الشاى و التوست اللذين تقدمهما السيدة لوفتس اليه كانت تقول سنضطر إلى ان نأخذك معنا يا نيل يجب ان تسترد صحتك.

آه . وهذا هو الدليل . فإذا تزوج أبوه بشارون فسيكون الأمر كما يقول ساندى لا أحد يرغب فى الاحتفاظ بطفل مريض ، وسيرحل مع آل لوفتس .

وعندئذ راح يبكى .

ولكن لم يكن يبدو على شارون الاستياء الآن لأنه مريض ، فقد كانت تقول له بصوتها الغريب : تنفس .. شهيق وزفير من أنفك .. حاول أن يطيعها وأن يتنفس كما تقول له .. آنت شجاع يا «نيل» . فكر فيما سوف

تقول لأصحابك .

كان ساندى يطلبْ منه أحيانا أن يحكى له عن اليوم الذى ألحقوا فيه الأذى بأمه ، وكان يقول له لو أن أحدا حاول أن يمس أمى فسأعرف كيف أوقفه .

ربما كان يجب أن يكون جديرا بأن يُوقف الرجل . ود لو يسأل أباه ولكنه لم يفعل . وكان أبوه يطلب منه دائما ألا يفكر فى ذلك اليوم .

شهيق وزفير .. شعر شارون على خده .. لم يكن يبدو أنها مندهشة لانكماشه بها . لماذا جاء بهما الرجل هنا . كان يعرف من هو . رآه منذ أسابيع عندما أصطحبه السيد لوفتس إلى حيث يعمل الرجل .

كان يرى كوابيس كثيرة منذ ذلك اليوم ، حاول مرة أن يتكلم مع أبيه عن ذلك ولكن السيدة لوفتس دخلت ووجد نفسه معتوها . كانت تلقى عليه دائما أسئلة مزعجة جدا . هل نظفت أسنانك بالفرشاة . ؟ هل احتفظت بوشاحك أثناء الغداء ؟ بماذا تشعر ؟ هل نمت جيدا ؟ هل أكلت طعامك ؟! أليست قدماك مبلولتين ؟ هل رتبت حوائجك ؟ كانت لا تدعه يرد أبدا . كانت تكتفى بأن تفتش سلة طعامه كى تتحق إذا كان قد أكل ، وأن ترغمه على فتح فمه لكى ترى لسانه .

كان الأمر مختلفا عندما كانت أمه موجودة . لم تكن السيدة لوفتس تاتى غير يوم واحد فى الأسبوع لكى تقوم بتنظيف البيت . ولم تسكن فوق مع السيد لوفتس إلا بعد أن رحلت أمه إلى السماء ، وتغير

كل شئ .

ومن فرط تفكيره فى كل ذلك ، واستماعه إلى شارون رأى أن دموعه قد جفت من تلقاء نفسها . كان خائفا ، ولكن ليس كاليوم الذى وقعت فيه أمه وبقى وحده .. ليس كما ...

تسارعت أنفاسه وكاد يختلق ودعكت شارون خدها بخده وقالت : فكر يا «نيل» فكر فى اللحظة التى سنخرج فيها من هنا . سيكون أبوك مسرورا برؤيتنا ، وأنا واثقة أنه سيصطحبنا لكى نلهو . أتعلم آننى أحب أن آذهب وأتزحلق على الجليد معك . أنت لم ترافق أباك فى ذلك اليوم عندما جاء إلى نيويورك ، وقد أردنا بعد ذلك أن نصطحبك إلى حديقة الأطفال وإلى حلبة التزحلق .

كان يصغى ، وكان يبدو على شارون أنها تعنى ما تقول حقا ، ود لو أن يأتى ذلك اليوم ، ولكنه عندما قال ذلك لساندى قال له هذا الأخير إن شارون لم تكن بها أية رغبة فى أن يصحبهما وأنها إنما أرادت أن ترضى أباه عندما قالت إنها تريد أن يرافقهما .

واستطردت تقول : قال لى أبوك إنه يريد اصطحابك إلى لعبة كرة القدم فى «برنس تاون» في الخريف المقبل . كنت أمضى إلى دارتموث لمشاهدة هذه اللعبة عندما كنت طالبة . وكانوا يمارسون هذه اللعبة كل سنة وينازلون برنس تاون . ولكن أباك لم يكن هناك في ذلك الوقت . وكنت أنا فى كلية البنات بمونت أوليدوك ، وهى تبعد عن دارتموث بساعتين تقريبا . وكنا نذهب جماعات أحيانا فى عطلة الأسبوع وخصوصا فى موسم لعبة كرة القدم .

كان صوتها غريبا ، كما لو كانت تتذمر تقريبا .

– كثير من الرجال يصحبون عائلاتهم إلى لعبة كرة القدم ، وأبوك فخور جدا بك ، ويقول إنك شجاع جدا عندما تواتيك أزمات الربو . ويقول إن القليل من الأطفال يتحملون حقنة كل أسبوع من غير أن يقولوا شيئا ، وإنك لا تشكو أبدا ولا تبكى أبدا .

كان من الصعب عليها أن تتحدث . وابتلعت ريقها بصعوبة وقالت :

– نيل ، مارأيك فى أن نقوم بمشاريع . هذا ما أفعله دائما عندما يتملكنى الخوف أو عندما يصيبنى المرض . أفكر فى شئ مفيد .. شئ أود أن أقوم به . كنت فى لبنان فى العام الماضى ، وهى بلدة تقع على بعد ثمانية آلاف كيلو متر من هنا . وهناك كتبت قصة عن الحرب . كنت أقيم في مكان تغزوه الفئران . وذات ليلة ، كنت مريضة جدا ومزكومة ومحمومة ، وكنت بمفردى وشعرت بالألم فى كل جسدى ، فى ذراعى وساقى ، تماما كاليوم ، فأرغمت نفسى أن أفكر فى شئ مفيد يروق لى أن أفعله ، وعند عودتى إلى البيت تذكرت أن هناك لوحة كنت أريدها بصورة ملحة .. ميناء ببواخر واقسمت أنه ما أن أعود إلى نيويورك حتى اشتريها . وهذا ما فعلت .

كان صوتها يزداد خفوتا ، أكثر ، فأكثر ، وكان يجد مشقة فى أن يفهم كل ما تقول .

– يجب أن نفكر فيما يسرك حقا .. تعرف أن أباك يقول إن السيد لوفتس وزوجته سيرحلان إلى فلوريدا قريبا .

أحس «نيل» بضربة شديدة تحطم صدره .

– اهدأ يا «نيل» .. تنفس ببطء .. حسنا ، عندما أرانى أبوك بيتكما

ورأيت غرفة آل لوفتس ونظرت من نافذتها رأيت أن المنظر كان اشبه تماما بلوحتي . رأيت منها في نفس الوقت الميناء والبواخر والبحر والجزيرة . ولو كنت مكانك لأخذت هذه الغرفة بعد أن يرحل «آل لوفتس» إلي فلوريدا ، وأضع فيها مكتبة ورفوفا لألعابي ومكتبا ، والمخدع عريض ويمكنك أن تقيم فيه كل القضبان الحديدية لقطاراتك . إن لدى قطارات أنا الأخرى عندما كنت صغيرة ، وهي قطارات كبيرة كانت ملكا لأبي ويروق لي أن أهديك إياها .

عندما يرحل آل لوفتس إلى فلوريدا .. عندما يرحل آل لوفتس .. لم تكن شارون تتوقع أن يمضي معهما كانت تفكر أنه قد يستطيع الإقامة في غرفتهما .

– وأنا خائفة الآن وأريد الخروج من هنا ، ولكنني سعيدة لأنك معي . وسأقول لأبيك إلى أي حد كنت شجاعا ، وكيف حرصت على أن تتنفس ببطء لكي لا تختنق .

تحركت الصخرة الثقيلة التي تضغط على صدر «نيل» قليلا ، جعلها صوت شارون تتحرك من الأمام إلى الخلف تماما كما تفعل رافعة عندما تستعد للسقوط وأحس فجأة بنعاس شديد ورغم الحبل الذي يوثق يديه أفلح في أن يحرك أصابعه بطول ذراع شارون حتى وجد ما يبحث عنه وهو طرف كمها . ونام وهو يضغط على القماش بأسنانه .

واتخذت أنفاس الصبي ايقاعا منتظما ، وأصغت شارون في قلق إلى التنفس العسير ، وأحست بصدر الصبي يتحرك . كانت الغرفة باردة وشديدة الرطوبة ، وكان قد أصابه البرد ، ورقد كل منهما مشدودا إلى

الآخر .

كم الساعة الآن ؟ لقد وصلا إلى هذه الغرفة بعد تمام السابعة والنصف .. بقى الثعلب معهما لحظة ، فمنذ متى رحل ؟ لا ريب أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل الآن ، اليوم الآن الثلاثاء . قال الثعلب إنه يجب أن يبقيا حتى الأربعاء فكيف سيجد ستيف فدية قدرها اثنان وثمانون ألف دولار فى يوم واحد .. ولماذا هذا الرقم الغريب . هل سيحاول ستيف الاتصال بأبويه . سيكون ذلك عسيرا فهما يعيشان الآن فى إيران .. عندما يستيقظ نيل ستقول له إن أبان كان مهندسا فى إيران .

«سنرحل معا صباح الأربعاء ، وسأترك كلمة أخبرهم فيها أين يوجد الصبى» . أمعنت الفكر فى هذا الوعد . ستتظاهر بأنها تريد الرحيل معه ، وما أن ينجو «نيل» ، وتبقى مع المختطف بمفردها فى المحطة حتى تصرخ ، ولا يهم ما يحدث لها عندئذ ، فيجب أن تقدم على هذه المخاطرة .

ولكن لماذا اختطفهما بحق السماء . إنه نظر إلى «نيل» بطريقة غريبة كما لو كان يكرهه ، أو كما لو كان يخاف منه .. ولكن هذا مستحيل .

هل ترك عينى «نيل» معصوبتين لأنه كان يخشى أن يعرفه الصبى ؟ لعله من أهالى كارلى ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا سيترك الصبى على قيد الحياة ؟ لقد رآه «نيل» عندما دخل البيت وتفرس فيه وسيعرفه دائما إذا رآه فهى كانت واثقة من ذلك ، ولا ريب أن الرجل يعرف ذلك هو الآخر ، فهل ينوى أن يقتله .

نعم .. سيقتله .

حتى إذا أخرجها من هذه الغرفة فسيكون الوقت قد فات بالنسبة لـ «نيل» عصرتها موجة من الغضب والذعر جعلتها تزداد دنوا من نيل ، كما لو تطوقه كله بساقيها فى تقويسة جسدها .

وغدا يوم الأربعاء .

لا ريب أن هذا ما تشعر به مدام تومبسون فى هذه اللحظة . إحساس بالغيظ والخوف وحاجتها الفطرية إلى حماية ابنها ، كان «نيل» ابن ستيف وقد تألم ستيف كثيرا ، ولا ريب أنه يكاد يجن الآن . إنه يمر هو ومدام تومبسون بمحنة مشابهة .

لم تلم مدام تومبسون أبدا لأنها أهانتها ، فهى لم تعد تعرف ولا تدرى ما تقول . كان رون مذنبا ولم يكن أحد يشك فى ذلك ، وهذا ما لم تفهمه مدام تومبسون ... إن التماسا كبيرا يمكن أن ينقذه وأن يخفف حكم الإعدام .

إن شارون بذلت كل ما استطاعت على الأقل لمساعدته ، وهتفت فى صمت .. ستيف .. أواه يا ستيف ، هل تفهم الآن ، وهل ترى الآن ؟

حاولت أن تدعك يديها بالحائط . كان الجدار خشنا ولكن الحبال كانت مربوطة بطريقة لم تستطع إزاءها إلا أن تخدش اصابعها وتخربش كفيها .

عندما يعود الثعلب ستقول له إنها بحاجة إلى أن تذهب إلى دورة المياه ، وسيضطر أن يفك وثاقها ، وربما تستطيع عندئذ ...

وتلك الصـور.. إنه قـتل هؤلاء النسـوة ، ولا يمكن إلا لمجنون أن يلتقط هذه الصور وهو يقتل ثم يكبرها . وقد التقط صورتها .

والقنبلة ! .. إذا مر أحد بجوار الباب ، وإذا انفجرت فهى و«نيل» وكثيرون غيرهما ..

حـاولت أن تبتهـل إلى اللـه ، ولكنها لم تسـتطع إلا أن تقـول : أرجـوك يا ربى .. اعـمـل علـى أن يجـدنا سـتـيف فـى الوقـت المناسـب . أرجـوك ارحـم ابنه .

كانت مدام تومبسـون تبتهل هى الأخرى وتتوسل إلى الله : ارحم ابنى ... إنها غلطتك أنت يا آنسة مارتن .

كان الوقـت يمر ، وجمـد الألم ذراعيـها وساقيها . ونام نيل بمعجزة كان يئن من وقت لأخر ، وتنفسه ينحسـر ويختنق ، ولكنه كان يعـود بعـد ذلك إلى نـوم متقطع .

اقتـرب الـفـجـر ، واتضحـت حـركة القطـارات عـن ذى قـبل ، متى تفتـح المحطـة أبـوابها فـى السـاعة الخامسـة دون شـك . ولا ريـب أنهـا الخامسـة الآن .

ستزدحم المحطة بالركاب فى الساعة الثامنة . وإذا انفجرت القنبلة !

تحرك «نيل» وتمتم بشئ لم تفهمه ، واستيقظ .

أراد أن يفتـح عينيـه ولكنـه لم يستـطع . ود أن يذهب إلى دورة المياه . كان يحـس بالألم فى ذراعيـه وسـاقيه . وهو يتنفـس بصعوبة . فجـأة رأى كـل ما حـدث .. جـرى إلى الباب وهـو يقول : كل شئ على ما يرام .. وفتح . لماذا

قال ذلك :

وتذكر !

تحركت الصخرة التى فوق صدره من الأمام إلى الخلف ، وأحس بأنفاس شارون على وجهه . وكان هناك صوت قطارات من بعيد .

صوت قطارات !

وأمه .. لقد هبط الدرج وهو يجرى ..

وترك الرجل أمه تقع وتحول إليه .

انحنى الرجل بعد ذلك فوق أمه وهو مرعوب والعرق يتصبب منه .. كلا ..

الرجل الذى دفع الباب فى الليلة الماضية ، والذى تقدم ووقف امامه . ذلك الرجل هو الذى سبق أن فعل ذلك.

ترك أمه تقع وتقدم نحوه ، وبسط يديه إلى الأمام ونظر إليه .

وحدث شئ .

فقد صلصل جرس الباب الخارجى .

لهذا السبب كان يحلم باستمرار بذلك اليوم .. لأنه نسى جزءا . الجزء الأكثر هولا .. حيث اقترب الرجل منه ، باسطا ذراعيه ، وانحنى فوقه . الرجل .

الرجل الذى تكلم مع السيد لوفتس .

والذى دخل البيت وهو يدفعه فى الليلة الماضية ، والذى انحنى فوقه .

قال «نيل» فى صوت أجش ومبحوح كما لو كان يبذل قصارى جهده لكى يتكلم : شارون ..

- نعم يا نيل .. أنا هنا .

- شارون .. هذا الرجل .. هو الرجل الشرير الذى أوثقنا ..

- نعم يا عزيزى .. لا تخف ، فأنا معك .

- هذا الرجل هو الذى قتل أمى يا شارون .

(٢٥)

كان لابد لـ «لاللى» أن تمضى إلى غرفتها رغم برودة الجو ، فستدفئها بعض الجرائد بما فيه الكفاية إذا وضعتها بين الأغطية ، وكانت شديدة الرغبة فى ذلك فقد كان الزحام على أشده فى ملجأ الشارع العاشر حيث قضت الجزء الأكبر من الشتاء برفقة روزى وأخريات ، وهى الآن بحاجة إلى رغبتها فى أن تحلم .

كانت لاللى ، قبل ذلك بسنوات تستمتع بقراءة الروايات المصورة والمسلسلة للويلا بارسون وهيدا هوير . وكان يروق لها أن تنام وهى تتصور بأنها لم تعد مدرسة تافهة ووحيدة وإنما نجمة يشار إليها بالبنان ويهرع المصورون والصحفيون لاستقبالها فى محطة جراند سنترال .

كانت تخرج أحيانا من شركة القرن العشرين متسربلة فى معطف من الفرو الثمين وتايير فاخر مزين بفرو السمور ، وسكرتيرتها خلفها تحمل مجوهراتها .

وأحيانا أخرى تصل مباشرة من العرض الأول لفيلمها فى برودواى مرتدية ثوب الرقص المذهل الذى ارتدته جنجر روجر فى فيلم «القبعة العالية» .

وتبددت الأحلام مع الوقت ، وألفت الحياة التى تعيشها الآن ، حزينة ومملة ووحيدة ولكنها عندما أقبلت إلى نيويورك وراحت تقضى أوقاتها فى محطة جراند سنترال خيل إليها أن تعيش من جديد الأيام الجميلة لحياتها كنجمة دون الحوجة إلى التظاهر بذلك .

وعندما أعطاها روستى مفتاح الغرفة واستطاعت أن ترقد فيها متكومة فى جوف محطتها ، يهدهدها صخب القطارات الأصم ، أحست بأنها سعيدة كل السعادة .

وفى الساعة الثامنة والنصف من صباح يوم الثلاثاء هبطت إلى المستوى السفلى لمحطة مونت فرنون وفى يدها سلة زادها وزوادها وفى نيتها أن تتسلل بين جموع المسافرين بقطار الثامنة والدقيقة الخمسين ثم تسرع إلى غرفتها . وفى الطريق توقفت فى بوفيه محطة بليتمور لكى تطلب قهوة وبعض الفطائر . وكانت قد فرغت من قراءة التايمز والنيوزويك اللتين التقطتهما من صناديق القمامة .

بدا الرجل الجالس أمامها فى البوفيه مألوفا لديها بصورة غامضة . ولكن كان هو بالتأكيد ذلك الرجل الذى أفسد عليها كل خططها بالأمس وهو يهبط على رصيف مونت فرنون ، مع الفتاة ذات المعطف الرمادى . سمعته وهى تغلى من الغيظ يطلب قدحين من القهوة وبعض الفطائر ، وتملكها الغضب ونظرت إليه وهو يسدد الثمن ويأخذ طلبيته ، وتساءلت إذا كان يعمل فى الجوار ، وكادت تكون متأكدة من العكس .

وتسكعت كعادتها وهى تخرج من البوفيه حتى لا توقظ اهتمام رجال الشرطة الذين يعرفونها ، واستطاعت أن تصل إلى السلم الذى يهبط إلى خط

حـديد مـونت فـرنون دون أن يهـتم بهـا أحـد . وكـان القطار يزدحـم والناس يسـرعون ، وتسللت «لالى» مـسرورة ، بينهم ، ومضت نحو الرصـيف ، وعندمـا صعد المسافرون دارت بالعربة الأخيـرة وأخذت يمينها ومـاهى إلا لحظة حـتى اختفت عن الأنظار .

هنا ، رأت الرجل الذى اشترى القهوة والفطائر . كان نفس الرجل الذى جاء إلى هذا المكان الليلة الماضـية كان يوليها ظهره ويسرع الآن ، واختـفى فى ظلام أعماق المحطة .

وما كان من مقدوره إلا أن يمضى إلى مكان واحد .

إلى غرفتها .

ذلك أنه اكتشفـها ، ولهذا هبط إلى الرصيف الليلة الماضية . لم يكن ينتـظر القطار ، وإنما مضى إلى غرفتـها مع الفتـاة تدفقت دموع الغم فى عينيهـا ، فقد أخذا غرفتها، وتغلبت نيتها على المواجهة .. سوف تريهما ، وسوف تتخلص منهما ، سـتقوم بالحراسة وعندما تتـأكد من رحيله سـتدخل الغرفة وتقـول للفـتـاة إن الشرطة اكتشفت أمرهما ، وأنهم آتون للقبض عليهما . وسيحملها هذا على الفرار . إن مظهره يدل على الشر ، ولكن الفتاة ليست من ذلك النوع الذى يتـسكع فى المحطات . ولعل الأمر ليس إلا مجرد لهو بالنسبة لها ، وسـوف تبادر بالرحيل ، وهو معها .

أحست بالارتيـاح فى غموض وهى تفكر فى هذه الخدعة واستدارت وصـعدت إلى قـاعـة الانتظار . تصـورت الفتـاة راقـدة فـوق الفراش فى انتظار أن يأتيـهـا عشيقـها بإفطارها ، وقـالت تحدث نفسـها .. لا يهمنك الأمر يا صـغيرتـى فسـوف تجدين صحبة .

(٢٦)

جلس ستيف وهوج ومستر لوفتس وزوجته والشرطي هانك إلى مائدة قاعة الطعام . وكانت دورا لوفتس قد جاءت بأبريق القهوة وبعض الفطائر الطازجة من دقيق الذرة . وألقى ستيف إليها نظرة مجردة من الاهتمام واعتمد بذقنه على كف يده وكان «نيل» قد قال له : أنت تقول لي دائما ألا أضع مرفقي على المائدة في حين تفعل أنت ذلك .

طرح عنه هذه الفكرة ، فلم يكن هناك جدوى منها . كان يجب أن يركز على ما يجب أن يفعل . ونظر إلى بيل لوفتس . كان من الواضح أن بيل وجد عزاءه في الخمر هذه الليلة فقد كانت عيناه محتقنتين بالدم ويداه ترتعشان .

كانوا قد استمعوا إلى الكلمة الخامسة عشرة من تسجيل المكالمة التليفونية .

بدا الصوت مخنوقا ، وغير واضح . كان هوج قد استمع إلى التسجيل ثلاث مرات قبل أن يوقفه ، وقال: حسنا سنمضي به الى السيدة بيرى بمجرد أن يدعونا زوجها، وسنرى ماسوف تقول ومن المهم الآن ان نركز على بعض النقاط.

واطلع على الكشف الذى امامه. أولا: سيبقى شرطي طوال اليوم فى البيت حتى ينتهى كل شيء. وأظن ان الرجل الذى يدعو نفسه الثعلب من المكر بحيث لايمكن ان يتصل هنا تليفونيا او عند آل بيرى فيشك فى انهم وضعوا جهاز انصات، ولكن هناك دائما فرصة.

يجب ان يمضى السيد بيترسون الى البنك واذا رن جرس التليفون ياسيدة لوفتس فاسرعى بالرد وسيأخذ الشرطي لامونت سماعة التليفون الثانى، وهو

متصل بجهاز التنصت هو الآخر، واذا ماتكلم المختطف فلا يجب ان تفقدى اعصابك وحاولى الاحتفاظ بالخط أطول مدة ممكنة هل تستطيعين؟

تمتمت دورا: سأبذل جهدى.

– هل ابلغت المدرسة ان «نيل» مريض.

– نعم فى الثامنة والنصف تماما كما قلت لى.

– حسنا.

وتحول هوج الى ستيف وسأله: وهل اخطرت مكتبك ياسيد بيترسون؟

– نعم، فقد نصحنى المدير بأن ابعد «نيل» بضعة ايام لاوفر عليه وطأة تنفيذ الحكم على تومبسون غدا، وقد تركت رسالة اقول فيها اننى راحل.

نظر هوج الى «بيل» : سيد لوفتس أود ان تبقى بالبيت اليوم، على الأقل، هل يمكن ان يستغرب أحد ذلك؟

تذمرت زوجته قائلة فى مرارة: رواد بار تافيرن فحسب.

– حسن جدا. اشكركما معا.

ودعت لهجة هوج آل لوفتس إلى الانسحاب فنهضا ومضيا الى المطبخ وهما حريصان الا يلغقا الباب خلفهما تماما، وانحنى هوج واغلقه فى حركة حازمة ونظر الى ستيف وقال:

اظن ان آل لوفتس لايجهلون شيئا مما يدور فى هذا البيت ياسيد بيترسون؟

هز ستيف كتفيه وقال: اننى اعرف. ولكن منذ ان احيل بيل الى المعاش فى أول يناير وقد بقيا ارضاء لى فقد كانا شديدى الرغبة فى الرحيل الى فلوريدا.

– كنت تقول انهما لديك منذ سنتين.

– بل أكثر قليلا كانت دورا فى خدمتنا قبل مولد «نيل» وكانت تأتى يوما كل اسبوع، وكنا نقيم على بعد خطوات من هنا كما تعلم ، وآل لوفتس يدخرون لاجل عزلتهم، وعندما قتلت نينا كنا قد انتقلنا الى هذا البيت بالذات، وكنت بحاجة الى

احد للاهتمام بـ «نيل» وعرضت عليهما الاقامة فى الغرفة الكبيرة بالطابق الثالث، وبهذا يوفران اجر المسكن وكنت اعطى لدورا مايوازى ماتربحه لما تقوم به من خدمة.

– وكيف سار هذا؟

– لابأس فكل منهما يحب «نيل» وهى تحنو عليه ربما اكثر من اللازم وترعاه باستمرار ولكن «بيل» منذ ان أحيل الى المعاش وقد انخرط فى الشراب وصراحة لن اشعر باى استياء اذا مارحلا.

قال هوج: وما الذى يمنعهما؟ أهو المال؟

– كلا . لا اظن ذلك ولكن دورا تتمنى ان اتزوج لكى تكون لنيل أم من جديد. انها امرأة رائعة.

– وكنت ستتزوج شارون مارتن، أليس كذلك؟

ابتسم ستيف ابتسامة باردة وقال: كانت هذه نيتى.

ونهض ومضى نحو النافذة فى انفعال، كان الثلج يتساقط فى هدوء وبدون صوت وخيل اليه انه يسيطر على حياته هو بالذات اكثر مما تسيطر اية ندفة على مصيرها الأخير، فهى تسقط وتقع فى الأدغال وفوق العشب او فى الشارع حيث تذوب او تتجمد او يكتسحها الريح او تدوسها اقدام المارة.

شرد خياله ودار رأسه، وحاول أن يعود الى الواقع لم يكن يستطيع البقاء مكانه، عاجزا، لايتحرك، يجب ان يفعل شيئا وقال يخاطب هوج.

– اننى ذاهب الى البنك.

– دقيقة ياسيد بيترسون فمازال هناك شىء تجب تسويته.

انتظر ستيف.

– ماذا نفعل اذا لم تحصل على تسجيل لصوت «نيل» وشارون.

- انه وعد.

ربما يتعذر عليه ارساله. ثم كيف يرسله اليك اذا اراد ذلك حقا؟

ان السؤال الآن هو: هل أنت مستعد للدفع دون الحصول على دليل بأن شارون و«نيل» مازالا على قيد الحياة.

فكر ستيف وقال: نعم فلا أريد المجازفة بإثارة غيظه ربما يترك شريطا مسجلا في مكان ما، واذا لم افعل مايريد..

- حسنا سنواجه ذلك فيما بعد، اذا لم تتلق شيئا من الآن حتى الثانية صباحا فحاول عندما يتكلم معك في التليفون ان تكسب بعض الوقت. قل له إنك لم تحصل على الدليل المطلوب، واذا أكد لك انه تركه في مكان ما فسيكون من السهل المضي للبحث عنه. والآن شيء آخر هل تريد ان تدفع باوراق مالية حقيقية، يمكنك ان تطلب اوراقا مزيفة من السهل اكتشافها فيما بعد.

- كلا لا اريد اتخاذ اية مجازفة، ان المبلغ اودع لدراسة «نيل» واذا حدث له شيء..

- حسن جدا، ستسحب المبلغ من مصرفك اذن وتودعه بالبنك الفيدرالي الاحتياطي واطلب شيكا به، سيكون رجالنا هناك لتصوير نقود الفدية وبهذه الطريقة يكون تحت ايدينا مستند على الأقل.

قاطعه ستيف قائلا: لا أريد وضع اية علامة عليها.

- لن نضع عليها اية علامة ولن يعرف المختطف اننا صورناها، ولكن العملية ستأخذ منا وقتا، فاثنين وثمانين ألف دولار. اوراقا مالية من فئة العشرة والخمسين دولارا كمية لايستهان بها.

- اعرف ذلك.

- هناك احتياطات كثيرة انصحك باتخاذها ياسيد بيترسون، اولها هو ان

تسمح لنا بوضع كاميرات فى سيارتك، فإن هذا سيكون نوعا من الأثر، بمجرد ان تتصل بالمختطف. فقد نستطيع الحصول على صورة او نكشف رقم لوحة السيارة التى يقودها. وسيحلو لنا أيضا ان نضع جهاز استقبال فى سيارتك يتيح لنا ان نتبعك عن بعد، وأؤكد لك انه سيكون من الصعب اكتشافه، واخيرا وهذا رهن بك انت بالذات، يمكننا اخفاء جهاز استقبال فى الحقيبة التى ستضع فيها المال.

– لنفرض انه يكتشفه سيعلم عندئذ اننى اتصلت بكم.

– لنفرض الا تضعه وألا تسمع بعد ذلك، عن اى شيء ستكون قد سلمت النقود ولن تحصل لاعلى ابنك ولا على شارون،، صدقنى ياسيد بيترسون، همنا الأول هو ان نجدهما سالمين معافين ثم نبذل بعد ذلك جهودنا لمعرفة المختطف او المختطفين ولكن هذا رهن بك.

– ماذا تفعل لو ان الأمر يتعلق بابنك وبزوجتك؟

– سيد بيترسيون،، نحن لانتعامل مع اناس محترمين، وليس لانك ستدفع فدية ستحصل على الرهينتين ربما يطلقون سراحهما. وربما يتركونهما فى مكان من المتعذر ان يخرجا منه وحدهما، يجب اخذ ذلك فى الاعتبار.

لايمكن اكتشاف المكان الا اذا تبعنا المختطف.

اتى ستيف بحركة احباط وقال: افعل مايجب ان تفعل سأستقل سيارة بيل لكى امضى الى نيويورك.

– كلا. افضل ان تستقل سيارتك بالذات وان تتركها بالموقف بجوار المحطة كعادتك، فمن الممكن ان تكون حركاتك مراقبة، سنتبعك،. سيتبعك شرطى عن بعد، فاترك المفاتيح فوق المقعد، وسنأخذ السيارة لاعدادها وسنعيدها مكانها لكى تجدها عند عودتك، والآن اليك اين ستمضى بالنقود.

استقل ستيف قطار الساعة العاشرة والاربعين الى محطة جراند سنترال وبلغ المحطة فى الحادية عشرة والخمسين بتأخير عشر دقائق وآثر ان يمضى الى بارك افنيو على قدميه، وحقيبة كبيرة فارغة في يده.

كان يعتريه احساس بالعبث واليأس المفرط كلما تقدم فى مشقة من مبنى الى آخر بين المحطة والشارع الحادى والخمسين، كان اليوم الثانى من سوء الأحوال الجوية ولكن اهالى نيويورك كانوا قد استعادوا نشاطهم العادى وخرجوا الى الشارع. وكان يسود جو من الحماس فى الطريقة التى يرتقون فيها المجارى المائية الباردة ويدورون بأكوام الثلج، كان هو وشارون موجودين صباح امس على بعد بضعة شوارع من هنا، وقد أخذ وجهها بين يديه وطبع عليه قبلة قبل ان يغادرها، كانت شفتاها باردتين كما كانت شفتاه عندما قبلته نينا لآخر مرة.

وصل الى البنك واذ علم الصراف انه يريد ان يسترد رصيده فيما عدا مائتى دولار هز حاجبيه وغادر شباكه ومضى لاستشارة احد المديرين فأسرع هذا الاخير نحو ستيف وسأله:

– هل هناك مشكلة ياسيد بيترسون؟

– كلا ياسيد ستروس. أريد ان اقوم بسحب فحسب.

– ارى نفسى مضطرا الى ان اطلب منك ان تملأ استمارات حكومة كونكتيكت واستمارات الحكومة الفيدرالية، وهذا امر لابد منه عند سحب مبلغ كبير بهذه الأهمية. وارجو الا تكون غير راض عن الطريقة التى استثمرها البنك لأموال ابنك.

بذل ستيف جهده لكى يتكلم بصوت عادى وبهدوء تام، واكتسب صوت المدير لهجة مهنية باردة وهو يقول: حسن جدا، يمكنك ان تملأ الاستمارات الضرورية فى مكتبى.. تفضل واتبعنى.

دون ستيف بطريقة ميكانيكية المعلومات المطلوبة وما ان انتهى حتى وضع الصراف الشيك المصرفى فوق المكتب.

وقعه سيد ستروس مسرعا وناوله لستيف ونهض وقال فى تفكير:

لا أريد ان اتطفل ولكن هل تواجه مشكلة ياسيد بيترسون ربما نستطيع مساعدتك.

نهض ستيف بدوره وقال: كلا . كلا ياسيد ستروس

ورن صوته فى أذنيه متوترا وفى غير اقتناع.

- أرجو ان يكون الأمر كذلك اننا نقدرك كثيرا كعميل لهذا المصرف واستطيع ان أقول كصديق اذا كانت هناك مشكلة ونستطيع مساعدتك فأرجو الا تتردد.

وبسط اليه يده فشد ستيف عليها وهو يقول: أنت كريم حقا، ولكن اطمئن.. كل شيء على مايرام.

وخرج وحقيبته فى يده واستدعى سيارة اجرة وذكر عنوان البنك الفيدرالى الاحتياطى. وعندما وصل ادخلوه الى غرفة كان موظفو البنك منهمكين وقد قست عيونهم فى عد وتصوير المبلغ الموافق للشيك الذى يأتى به.

ألقى ستيف اليهم نظرة كئيبة وعاد الى محطة جراند سنترال وفاته قطار الثالثة وخمس دقائق وكان القطار الذى يليه لا ينطلق الا بعد ساعة، فاتصل تليفونيا ببيته، ورفعت دورا السماعة على الفور وكلمه الشرطى لامونت فى الجهاز الثانى، لاخبر ولا اية اشارة عن اى كاسيت وقال له انه سيجد هوج عند عودته.

روعته فكرة انتظار ساعة، وآلمته رأسه ألما بطيئا لاهبا تركز فى وسط جبينه وضغط على صدغيه كالكماشة وأدرك انه لم يأكل شيئا منذ ظهر الأمس.

بار اويستر سيمضى اليه ويطلب شرابا وبعض الطعام ومر امام التليفون الذى حاول ان يتصل فيه مساء امس بشارون، وقد بدأ الكابوس عندئذ واشتبه على

الفور فى ان هناك شيئا لم يمر على ذلك غير عشرين ساعة بدت له دهرا.

عشرون ساعة! اين شارون و«نيل»؟ هل قدموا اليهما طعاما؟

كان الجو شديد البرودة فى الخارج، فهل هما فى مكان دافىء؟ مهما يكن ستعتنى شارون بنيل، كان متأكدا من ذلك ولكن على فرض ان شارون ردت عليه عندما اتصل بها تليفونيا فى الليلة الماضية، وعلى فرض ان ثلاثتهم قضوا الليلة معا كما توقعوا.. كان سيقول لها بمجرد ان ينام «نيل» ليس لدى الكثير لكى اقدمه لك ياشارون. ولاشك انك قد تجدين من هو أفضل منى اذا انتظرت ولكن لاتنتظرى.. تزوجينى.. لابأس بنا معا.

لعلها كانت تقصيه عنها، فهى لاتقدر موقفه من حكم الاعدام حسنا، صحيح انه بدا واثقا من نفسه وعنيدا ومقتنعا بأنه على حق.

هذا ماتشعر به ام روناك تومبسون فى هذه اللحظة بالذات عندما ينتهى كل شىء بالنسبة لابنها، ستبدأ فى أن تتألم طوال حياتها.

مثلك .. اذا حدث شىء لشارون و«نيل».

ازدادت حركة المحطة. رجال اعمال حريصون على تجنب جمهور ركاب الضواحى، تركوا مكاتبهم مبكرين، واسرعوا الى قطارات نيوهافن المنطلقة الى وستشستر وكونكتيكت، ونساء أقبلن للقيام ببعض مشترياتهن ودخلن المحطة ورحن يستشرن لوحة المواعيد وهن حريصات على العودة فى الوقت المناسب لاعداد طعام الغداء.

هبط ستيف الى المستوى السفلى، ودخل بار اويستر كان مقفرا ، فقد مضى وقت طعام الافطار منذ وقت طويل ولم يحن بعد وقت تناول الغداء وجلس أمام البار وطلب طلبه محاولا الاحتفاظ بحقيبته تحت قدميه.

كان قد اتى لتناول طعام الغداء مع شارون فى الشهر الماضى، وكانت تكاد

تطير فرحا وهى تفكر فى جبل الردود المؤيدة لحملتها لتخفيف حكم الاعدام على رونالد تومبسون الى السجن مدى الحياة، كانت سعيدة جدا ومتحمسة جدا، وتكلمت عن حملتها المقبلة للحصول على تأييدات أخرى وقال لها:

– سافتقدك .

– وأنا أيضا.

احبك ياشارون.. أحبك ياشارون.. أحبك ياشارون.. هل قال لها ذلك عندئذ؟

جرع كأس المارتينى الذى وضعه الجرسون امامه مرة واحدة وبقى جالسا فى البار دون أن يقرب طبق الحساء الساخن الذى يتصاعد منه البخار.

وفى الساعة الثالثة والخامسة والخمسين سدد حسابه،، ومضى نحو المستوى العلوى وصعد الى قطار كارلى، ولم يلحظ وهو يتجه الى عربة المدخنين الرجل الذى يخفى وجهه خلف جريدة، ولم تنخفض الجريدة فى بطء الا بعد أن مر به وعينان يتطاير منهما الشرر تتبعان ستيف وهو يمضى ويتقدم فى العربة والحقيبة الثقيلة بيده.

هبط نفس المسافر فى كارلى، ولكنه حرص على ألا ينتظر على الرصيف حتى مضى ستيف الى موقف السيارات وانطلق بسيارته المجهزة الآن بالكاميرات المخفاة فى الكشافات وخلف المرآة العاكسة .

(٢٧)

نامت جليندا حتى الساعة الواحدة، وأيقظها صوت سيارة ماريان فوجلر وهى تنطلق فى الطريق، وفتحت عينيها وظلت جامدة لاتتحرك فترة طويلة. مترقبة ما سوف يحدث، ولكن الألم الذى يعصف بها أحيانا عندما تستيقظ لم يقع، كانت قد قضت ليلة سيئة، اسوأ مما لم تشأ أن تعترف به لروجر رغم انه أدرك ذلك دون شك، كانت تعرف أن الطبيب كان قلقا بخصوص رسم قلبها .

لن تعود الى المستشفى فقد أعطوها الكثير من المسكنات هناك بحيث لم تعد تصلح لشيء. لن تدعهم يبدأون من جديد، كانت تعرف سبب كثرة الآلام هذه الأيام.. كان ذلك بسبب الفتى تومبسون، كان صغيرا جدا، وقد ساهمت شهادتها فى ادانته.

– لقد اوقعك ياسيدة بيرى.

– نعم كان يهرب من البيت.

– كان الوقت ليلا ياسيدة بيرى، فهل أنت واثقة ان الذى هرب لم يكن شخصا آخر؟

– واثقة لقد تردد على عتبة البيت قبل أن يدفعنى وكان نور المطبخ مضاء.

واليوم «نيل» وشارون! رباه، ساعدنى على أن أتذكر وعضت شفتيها.. لذعة ألم.. كلا لايجب أن تقلق فلا جدوى من ذلك، رباه! يجب أن أفكر.. وأخذت قرصا تحت لسانها فى حالة اذا ما اشتد بها الألم.. الثعلب الطريقة التى تكلم بها الثعلب توحى بذكرى فماهى؟ لم يكن الأمر قديما مع ذلك.

انفتح الباب، ورأت روجر ينظر اليها فقالت:

– ادخل ياعزيزى.. اننى استيقظت.

– كيف حالك الآن؟

– وانحنى فوق الفراش وأمسك بيدها.

– لابأس . كم من الوقت نمت.

– آكثر من اربع ساعات.

– سيارة من التى انطلقت الآن؟

– سيارة سيدة فوجلر.

– اوه، اننى نسيتها.. ماذا فعلت؟

– اظن انها اهتمت بالمطبخ، كانت واقفة فوق الكرسى تحاول أن تأخذ شيئا من الرفوف العلوية.

– انها احسنت، فقد كنت أخشى الصعود، وكان هناك غبار كثير. ماذا حدث ياروجر؟ هل تمكن ستيف من التحدث الى الثعلب.

أجاب روجر: حسنا انهما لم يتبادلا غير كلمات قليلة هى تشعرين بأنك فى حالة جيدة تكفى لسماعها؟

– نعم.

وبعد خمس عشرة دقيقة كانت تعتمد على بعض الوسائد وبيدها فنجان شاى وتنظر الى هوج وهو يدخل الغرفة.

– انها لمكرمة كبيرة منك ياسيدة بيرى، واعلم ان هذا يمثل مجهودا كبيرا منك.

طرحت قلقة بيدها وقالت سيد تايلور، اشعر بالارتباك فحسب لاننى اضعت كل الصباحية.. ادر الشريط ، ارجوك.

اصغت باهتمام شديد بينما كان هوج يدير الشريط .

أوه ، ان الصوت خافت جدا ومن المحال...

تخلى الأمل عن وجه هوج. وكان صوته محايدا وهو يقول:

– حسنا شكرا جزيلا اذا اردت ان تستمعى اليه سنحلل الصوت:

وهو ليس بالدليل الكافى، ولكن عندما نلقى القبض على المختطف قد يساعدنا ذلك على التأكد والتحقق منه.

وأخذ المسجل.

ألقت بيدها على المسجل وقالت كلا، انتظر.. أرجوك.. هل يمكنك ان تتركه لى؟

– لماذا؟!

– لأننى اعرف الشخص الذى حدثنى بالأمس انى أعرفه وسأحاول أن أتذكر مافعلته فى الاسابيع الأخيرة. فقد تكون لدى فكرة وأود أن أستمع الى التسجيل مرة أخرى.

– مدام بيرى .. لو تستطيعين أن تتذكرى فحسب.

وعض هوج على شفتيه ، وألقى روجر اليه نظرة تحذير فأسرع بمغادرة الغرفة يتبعه روجر.

وعندما هبطا الى أسفل سأله روجر لماذا طلبت منى ابقاء مدام فوجلر اليوم؟

– يجب ان نفحص كل الاحتمالات. ولكن يبدو انها على مايرام، فهى ظريفة ومن عائلة طيبة ، وكونها تكلمت مع «نيل» هذا الصباح فليس الا مجرد مصادفة بدون شك. ومهما يكن فإنها تتمتع بدليل نفى قاطع لهذه الليلة وكذلك زوجها.

– وما هو ؟

– رآها الصراف عندما دخلت السينما وعندما خرجت منها، ورأى الجيران زوجها فى البيت مع الأولاد. وبعد السابعة بقليل كانا فى قسم البوليس يبلغان بسرقة السيارة.

– آه نعم. لقد اخبرتنى ذلك، من حسن حظها انهما عثرا عليها.

– آه .. نحن نعثر على السيارات القديمة التى لاقيمة لها ولانجد اى اثر لشخصين مختطفين. مارأيك فى شارون مارتن ياسيد بيرى، هل تظن انها جديرة بتدبير هذه العملية؟

فكر مليا وأجاب: اذا اردت الحق فلا.

– مارأيك فى علاقتها بالسيد ستيف؟

تذكر روجر أخر مرة مر ستيف وشارون لديهما، كانت مكتئبة شيئا ما، وسألتها جليندا ما الذى يقلقها، وكان ستيف قد ذهب الى المطبخ ليحضر بعض

الثلج وأجابت شارون: أوه.. ذلك أن «نيل» لايتقبلنى فحسب. ثم عاد ستيف وشعث شعرها وهو يمر. وتذكر ذلك وقال:

– أظن انهما مغرمان جدا أكثر مما يدريان، وأظن أن شارون كانت قلقة بخصوص تصرف «نيل» حيالها، وكان ستيف قلقا هو الآخر بالطبع، ومن ناحية أخرى، كان يعانى ضيقا ماليا كبيرا فقد وضع كل مايملكه فى مجلة الحوادث وانا واثق انه لن يلبث ان يسترد ما أنفقه عن سعة ولكنه كان شديد القلق، وقد صارحنى بذلك كثيرا.

– ثم هناك حكم الاعدام على تومبسون.

– نعم. كنا نأمل، أنا وجليندا، ان تتمكن شارون من انقاذه، ولم تعرف جليندا معنى الهدوء بسبب الدور الذى لعبته فى هذه القضية.

– هل أرادت شارون أن يتدخل ستيف لدى المحافظ.

– أظن انها كانت تعرف انه لن يفعل، وان التماسا عاطفيا لايمكن إلا ان يجرح شعور المحافظ. تذكر ان الجرائد انتقدته كثيرا بسبب المهلتين اللتين منحهما لتومبسون.

– سيد بيرى، مارأيك فى آل لوفتس هل يمكن أن يسهما فى الاختطاف انهما يحاولان توفير بعض المال ويعرفان رقم تليفونك. وربما علما بأمر الوديعة.

هز روجر رأسه ليس هناك اى خطر فعندما تتسوق دورا لجليندا تقضى عشرين دقيقة فى التأكد انها أعادت اليها الباقى، وهو الآخر مثلها، يعيد فحص سيارتى ولايكف عن المباهاة بأنه يوفر لى الكثير. لا أعتقد أن ايا منهما جدير بأى شىء آخر غير الشرف.

– حسنا .. اننى اعتمد عليك بأن تتصل لدى مستر بيترسون اذا كان لدى مدام بيرى ماتخبرنا به.

كان هانك لامونت ينتظر هوج، وكانت هيئته تدل على أن لديه أخبارا، ولم يضع هوج وقته فى التمهيدات وسأله: علام حصلت؟

– مدام تومبسون.

– حسنا.

– انها تحدثت فى الليلة الماضية الى شارون مارتن.

– فيم ؟

– قال لنا ابنها ذلك ، استجوبه دون وستان فى زنزانته وقالا له انه كانت هناك تهديدات ضد بيترسون الصغير وانذراه اذا كان اصدقاؤه يعدون العدة لعمل شىء فمن الأوفق ان يذكر لها اسماءهم قبل أن تقع اية مشاكل.

– ارجو ألا يكونا قد اخبراه بان «تيل» وشارون قد اختطفا.

كلا بالطبع.

– وماذا قال:

– انه صادق والزيارات الوحيدة التى تلقاها هذه السنة هى زيارات امه ومحاميه وكاهن. واقرب اصدقائه فى الجامعة غائبون جميعا وقد ذكر لنا اسماءهم ولكنه قال ان شارون اتصلت بأمه.

– وهل اتصلوا بالأم؟

– نعم، وهى تقيم فى موتيل قريب من السجن وقد التقيا بها..

– فى الموتيل؟

– كلا وانما فى الكنيسة وليكن الله فى عونها ياهوج ، كانت جاثية على ركبتيها تصلى، وهى ترفض ان تصدق ان الابن سيعدم غدا، ترفض ان تصدق ذلك، وقد اتصلت شارون بها قبل الثامنة ببضع دقائق. ارادت أن تعرف إذا كانت تستطيع ان تقدم لها اية خدمة. واعترفت مدام تومبسون بانها احتدت عليها وانها

هددتها، وقالت لها انها اشاعت فى كل البلد ان ابنها مذنب وقالت لنا انها لاتضمن ماقد تقدم عليه اذا مات ابنها، فماذا نفعل بكل هذا؟

- لنفترض ان شارون اضطربت من هذه المكالمة وتتساءل اذا لم تكن مدام تومبسون على حق، انها تشعر باليأس وتطلب من شخص أن يأتى لاختطافهما، هى والطفل، انها تجازف بكل شيء وتفتعل اختطافا وتستخدم نيل كرهينة مقابل حياة تومبسون.

قال مانك: هذا احتمال .

قسا وجه هوج وقال: بل اكثر من احتمال أظن ان هذا المسكين بيترسون قد تحطم قلبه ، وان السيدة بيرى تتعرض لانسداد آخر بفضل شارون مارتن التى تتصور انها تستطيع ان تعالج العدالة كما يحلو لها .

- وماذا نفعل الآن؟

- نستمر فى متابعة هذا الأثر جيدا، وآتنى بكل ماتستطيع ان تجمعه عن اصدقاء ومعارف شارون مارتن، وعلى الخصوص جميع من يقيمون بالمنطقة آه لو تستطيع السيدة بيرى ان تتذكر المكان الذى سمعت فيه هذا الصوت فحسب فسوف نبدأ بأن نرى الأمر فى وضوح.

كانت جليندا جالسة فى غرفتها تسمع وتعيد الاستماع الى الشريط «بيترسون تواجد فى كشك تليفون محطة الخدمة التالية، بعد عشر دقائق ، بعد باب الخروج رقم ٢١ مباشرة» وهزت رأسها فى يأس وأوقفت المسجل .: كلا يجب ان تجد طريقة أخرى يجب آن تتذكر مافعلته فى الآسبوعين الاخيرين ولكن ماذا فى هذا الشريط.

انها لم تخرج أمس على الاطلاق، اتصلت تليفونيا بالصيدلية وباجنس وجوليا بخصوص احتجاجات المستشفى واتصل شيب وماريا من فيلادلفيا

وجعلاها تتحدث مع الصبى ، وكانت رسالة الثعلب آخر مكالمة فى ذلك اليوم .

ومضت يوم الأحد مع روجر الى نيويورك بعد المكتب، وتناولا الغداء فى مطعم «ببير» قبل الذهاب الى مسرح كارينجى، ولم تصلها اية مكالمة.

وخرجت يوم السبت لكى تنتقى اغطية لمقعد السيارة فى أحد محلات الديكور ثم مضت الى الحلاق، ان لم يكن ذلك يوم الجمعة؟ هزت رأسها فى فروغ صبر، وغادرت الفراش واتجهت الى مكتبها لكى تأخذ دفتر مواعيدها وطلبت من روجر أن يأتيها بنتيجة المطبخ فقد كانت تدون فيها احيانا بعض الامور وكذلك بيان فواتيرها فهى تحتفظ بها كلها. وهى مؤرخة ، انها تعرف موقفها تماما بهذه الطريقة.

اخرجت الدفتر من درج والبيانات من درج آخر.

بهذه العناصر فى يدها عادت الى فراشها وتنهدت وقد أحست بضيق فى صدرها، وتناولت قرصا وهى تدير مفتاح التشغيل بالمسجل وتستمع الى الشريط مرة أخرى، ومرة أخرى ملأت اذنيها الهمسة المخنوقة الخشنة، «بيترسون، تواجد فى كشك تليفون محطة الخدمة التالية بعد عشر دقائق بعد باب الخروج رقم ٢١ مباشرة» .

(٢٨)

فكر وهو يعود من كشك التليفون فى الشريط.. هل يفعل ذلك بعد أن يسجل صوتى شارون والصبى؟

ولم لا؟

مضى مباشرة الى محطة جراند سنترال، من الأوفق ان ينضم اليهما بينما لايزال هناك بعض الناس فإن لهولاء الحراس الملاعين حاسة سادسة فيما يتعلق بالرجال الذين لا عمل لهم فى المحطة.

لم تتناول شارون ولا الصبى أى طعام منذ مساء أمس . ولا ريب انهما جائعان الآن وهو لا يريد أن تجوع ، ولكنها لن تأكل طبعا إذا لم يعط للصبى شيئا . كان التفكير فيه يكدره دائما . أوشك أن يتملكه الروع قبل ذلك بأسبوعين وهو يرى الصبى ينظر إليه من خلال زجاج السيارة ، تماما كأنه فى حلم .. العينان الكبيرتان والحدقتان الفائقتا الاتساع اللتان تحدقان فيه وتتهمانه دون انقطاع .

غدا سينتهى كل شئ . سيأخذ تذكرة طائرة لأجل شارون . لم يكن معه ما يكفى من النقود فى الوقت الحالى ، ولكن سيكون لديه الكثير الليلة . يجب أن يقوم بحجز أثناء ذلك ، ولكن بأى اسم ، يجب أن يجد اسما لشارون .

قدموها أمس فى أخبار التليفزيون ككاتبة وصحفية ، انها مشهورة جدا ، ولهذا استغرب أن تكون مغرمة به إلى هذا الحد .

توقف على الفور محنقا ، ودفعته امرأة كانت تسرع خلفه ، فأتى بحركة تدل على السخط ، ولكن المرأة تمتمت معتذرة وهى مستمرة فى سيرها . وهدأ فهى لم تشأ أن تدفعه ، الواقع أنها ابتسمت له . ابتسمت له حقا . كل النساء سيبتسمن له إذا عرفن إلى أى حد هو ثرى .

واستمر فى طريقه فى بطء بطول شارع لكسنجتون . وغيرت الحافلات الثلج إلى نوع من الوحل القذر الذى كان يتجمد فى كل مكان فيما عدا آثار العجلات ، ود لو يستطيع المضى إلى بليتمور ، فقد كانت الغرفة مريحة جدا ولم يعرف طوال حياته مكانا مشابها .

كان عليه أن يبقى مع شارون والصبى حتى بعد الظهر ثم يستقل القطار إلى كارلى ويمضى إلى بيته ، ويرى إن كانت قد أتته رسائل . فلا يجب أن يثير استغراب أحد إذا لم يروه فى الجوار . وبحث عن مكان يترك فيه الكاسيت ، فقد يرفض بيترسون أن يدفع إذا لم يتسلمه .

إنه بحاجة إلى المال ، فقد أصبح من الخطر عليه البقاء أكثر من ذلك فى فيرفيلد كاونتى . كان لديه سبب وجيه لكى يرحل ، فالجميع يتوقعون أن يرحل .

قد يتساءل رجال الشرطة هل هناك من يشتبه فى رحيله الليلة ؟

هو ؟ كلا . فقد كان محنقا لأنه فقد عمله ، وقد توسل إلى العجوز لكى يجدد له عقده .

ولكن كان ذلك قبل الفتاتين .. «قاتل الهاتف اللاسلك» كما تدعوه الجرائد .. لو أنهم عرفوا فحسب .

كان يعرف أين يترك الكاسيت .. فى مكان متأكد أن أحدا سيجده هذا المساء ويرسله إلى بيترسون .

أحس بالارتياح ، ومضى لكى يأتى لشارون والصبى بقهوة ولبن وبعض الفطائر . كان يفكر فى البقاء معهما مدة طويلة ، ويعطيهما بعضا منه على الفور والبعض الآخر قبل أن يغادرهما ، فهو لم يشأ أن تجده شارون بغيضا .

وفيما هو يبتعد عن خط مونت فرنون أحس بأنه مراقب . وكانت غريزته قلما تخدعه فى مثل هذه الأمور ، فتوقف لكى يصغى . خيل إليه أنه يسمع صوتا وعاد

أدراجه على طرفى قدميه . ولكنها ليست إلا واحدة من هؤلاء النساء الفقيرات اللاتى يتسكعن ، تصعد السلم فى طريقها إلى القاعة ، ولا ريب أنها نامت على الرصيف .

وفى عناية فائقة فك السلك المعدنى المثبت فى الشريط اللاصق بباب الغرفة وأخرج المفتاح من جيبه في هدوء وأدخله فى القفل ، وفتح الباب سنتيمترا سنتيمترا لكى يتجنب سحب السلك ، وتسلل إلى الغرفة وأغلق الباب .

أشعل النور وتنهد في ارتياح ، فقد كانت شارون ونيل كما تركهما تماما . ولم يكن فى استطاعة الصبى أن يراه بسبب العصابة ، ولكن شارون ، خلفه ، رفعت رأسها ، فوضع سلاله فوق الأرض وأسرع نحوها وقال · لم تكن مشدودة جدا هذه المرة .

خيل إليه أنه يرى في عينيها لمسة عتاب ، وقالت : كلا.. بدت عصبية ، لكن بطريقة مختلفة ، كانت عيناها تنمان عن الخوف ، لم يكن يريدها أن تخاف منه . قال في لهجة رقيقة جدا :

– أنت لست خائفة يا شارون أليس كذلك ؟

– أوه ، كلا .. أبدا .

–أتيتك ببعض الطعام .

– أوه ، هذه مكرمة منك . ولكن ألا يمكن أن ترفع كمامة «نيل» ، إذا سمحت ؟

أرجو أن تفك أيدينا كما فعلت من قبل .

ضاقت عيناه . كان فيهما شئ متغير . وقال : بكل تأكيد يا شارون . وأدنى أنفه من وجهها ، كانت لديه قوة عجيبة ،أفلح فى فك العقدة فى دقيقة ، وما إن حرر يدى شارون حتى تحول إلى الصبى .

ارتد الصبى إلى الخلف وكمن فى صدر شارون فقالت له :

لا تخف يا «نيل» . تذكر ما قلناه .

– ماذا قلتما يا شارون ؟

– إن ابا «نيل» سيعطيك النقود التى طلبتها . ولهذا ستخبره عن المكان الذى اخفيتنا فيه . قلت له : إننى سأرحل معك وأن أباه سيأتى بعد رحيلنا . أليس كذلك ؟

بدا صوت الرجل مفكرا ، وومضت عيناه متحسبا : هل أنت واثقة أنك تريدين الحضور يا شارون ؟

– نعم ، كل الثقة . فأنت .. أنت تروق لى يا ثعلب .

– أحضرت لك قهوة وبعض الفطائر ، ولبنا للصبى .

– هذا جميل منك .

وراحت تبسط اصابعها ، ورآها تدعك معصمى «نيل» الخلف والطريقة التى كانت تضغط بها على يديه . بدت كاتفاق سرى .

وضع السلة على الأرض ، وناول علبة قهوة لشارون .

– شكرا لك أين لبن «نيل» ؟

ناولها إياه ، ونظر إليها وهى تضع العلبة بين يدى الصبى : خذ يا «نيل» ، اشرب على مهل .. كانت أنفاس الصبى المضطربة مثيرة ومدعاة للقلق ، وذكرتها بذكريات كثيرة .

أخرج الفطائر ، قطعت شارون واحدة وأعطتها للصبى قائلة :

– خذ يا «نيل» ، انها فطيرة .

كان صوتها مهدئا كما لو أنهما يتآمران معا .

ونظر إليهما مقطبا ، وكل منهما يأكل فطيرته ويشرب القهوة واللبن . بينما راح يحتسى قهوته هو دون أية متعة .

لم يخلع معطفه ، فقد كان الجو باردا جدا فى الغرفة . ومن ناحية أخرى لم يشأ أن يجازف وتتسخ بدلته الجديدة . ألقى السلة الورقية على الأرض وأزاح ما فوق القفص ، وجلس عليه وعيناه مصوبتان نحو الفتاة والصبى .

وعندما فرغا من الأكل ، جذبت شارون «نيل» على ركبتيها . وكان الصبى يتنفس بصعوبة . وأساء الصوت الثعلب وأثار أعصابه ، ولم تبد شارون نحوه أى اهتمام ، بل راحت تدعك ظهر الصبى فى رفق ، وتقول له أن يحاول أن ينام ، نظر إليها وهى تقبل «نيل» على جبينه ، وتضغط برأس الصبى على كتفها .

كانت امرأة ودودا ، تبدى حنوا على الطفل . وحينما سيتخلص من الصبى فقد تكون عطوفة نحوه ، تغير تعبير عينيه ، ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة بينما كان يتصور الطريقة التى يمكن أن تبدى بها رقتها نحوه ، غمرته موجة

غامضة من فروغ الصبر ، ورأى شارون تنظر إليه وتطبق بذراعيها على الصبى . كان يود أن يحس بذراعيها حوله هو .

أبدى حركة نحو الفراش ، واصطدمت قدمه بجهاز التسجيل .. الكاسيت الذى يجب أن يرسله لبيترسون . لم يحن الوقت بعد للتخلص من الصبى ، عاد فجلس وقد أحس بخيبة الأمل وتملكه الاستياء ، وقال لشارون : ستقومين بتسجيل لأجل بيترسون يا شارون .

- تسجيل ؟

نم صوت شارون المتسارع عن قلقها . قبل ذلك بلحظة كانت متأكدة بأنه يستعد لايذائهما وذلك من تغيير فى نظرته وفى عينيه . ركزت فكرها . هل هناك فرصة أو وسيلة ؟ منذ أن قال لها «نيل»إن ذلك الرجل قتل أمه ، وقد راحت تفكر فى الخروج من هذا المأزق ، فغدا يكون الوقت قد فات بالنسبة لتومبسون وبالنسبة لـ «نيل» . كانت تجهل فى أية ساعة ينوى رنيار أن يأتى للبحث عنها ، ذلك إذا أتى، فهو ماكر ولابد أنه أدرك أنهم سيعرفونها من لحظة لأخرى . عذبتها ذكرى مجهوداتها لإنقاذ رونالد . كان أمرا يدعو إلى السخرية . وقد كانت أمه على حق ، فهى ، بإصرارها على ذنبه ساهمت فى إدانته ، لم تعد هناك أهمية إلا انقاذ «نيل» وإنقاذ رونالد ، ولا يهم ما يحدث لها ، فهى تستحق ذلك . وهى التى كانت تقول لستيف إنه يتصرف كما لو أنه إله .

كان الثعلب يحمل مسدسه فى جيب معطفه . إذا دفعته إلى معانقتها فقد تستطيع الحصول عليه .

ولكن ، إذا استطاعت ، فهل تجد الشجاعة لكى تقتله .

خفضت عينيها على «نيل» ، وفكرت فى المحكوم عليه فى زنزانته ، نعم ، يمكنها أن تقتل ذلك الرجل .

نظرت إليه وهو يعالج المسجل بمهارة ، ويولج فيه كاسيت من النوع المألوف . لن يهتدوا إليه أبدا .. وأدنى القفص من الفراش وقال :

– ها هو يا شارون .. اقرئى .

وكان قد كتب الرسالة .

«ستيف .. ادفع الفدية إذا أردت أن ترانا . يجب أن تكون النقود من فئة عشرة وعشرين وخمسين دولارا .. اثنين وثمانين ألفا . تدبر أمرك لكى تحصل عليها ، ولا تضع عليهاأية علامات . الموعد فى كشك التليفون الموجود على ناصيتى الشارع التاسع والخمسين وشارع لكسنجتون ، فى الساعة الثانية صباحا، فى سيارتك ، بمفردك . لا تتصل بالشرطة».

رفعت عينيها نحوه وقالت : هل يمكن أن أضيف شيئا ، لقد تشاجرنا وتخاصمنا ، ربما لا يريد أن يدفع من أجلى إذا لم أقدم له اعتذارات ، فهو عنيد كما تعرف ، وربما لا يدفع إلا نصف المبلغ من أجل «نيل» فهو يعرف أننى لا أحبه، لكننا سنحتاج إلى كل الموقف . أليس كذلك ؟

– ماذا تريدين أن تضيفى ؟

هل يمكر بها أم تراه قد صدقها ؟

– الاعتذار فحسب .

حاولت أن تبتسم ، انزلت نيل من على ركبتيها وبسطت ذراعيها ولمست يد الثعلب .

- لا تقدمى على أية خدعة .

- ولماذا أخدعك ؟ .. ماذا تريد أن يقول «نيل» ؟

- إنه يريد أن يعود إلى البيت فحسب . لا شئ آخر .

ووضع اصبعه على مفتاح التشغيل وقال : تكلمى عندما أضغط على المفتاح.

بلعت ريقها . وقرأت الرسالة فى بطء ، محاولة اكتساب الوقت والتفكير فيما ستفعله بعد ذلك . وفرغت من القراءة . لا تتصل بالشرطة وترددت . وحدجها .

- ستيف ..

كان لابد لها من أن تندفع فقالت : ستيف ، سيحدثك «نيل» الآن ولكننى أخطأت فى البداية وأرجو أن تغفر لى . وحدثت تكة .. همت بأن تقول إننى أخطأت خطأ كبيرا ، لكنه قال :

- هذا يكفى يا شارون .. كفى اعتذارات .

وأشار إلى «نيل» فوضعت ذراعها حول الصبى وقالت : تكلم الآن مع أبيك يا «نيل» .

ضاعف المجهود الذى بذله الصبى لكى يتكلم من صفير تنفسه : بابا .. أنا على ما يرام .. وشارون تعنى بى ، ولكن أمى ما كانت لتحب أن تعرف أننى هنا يا بابا .

توقف التسجيل . حاول «نيل» أن يرسل رسالة إلى أبيه وأن يربط اختطافه بموت أمه .

أعاد الرجل الشريط إلى بدايته . وابتسم لشارون وقال : هذا جميل جدا . لو أنني مكان بيترسون فسأدفع لكي استردك .

- حسنا . يسرني أنك راض .

كان يحاول أن يغريها عمدا ؟

شدها نيل من كمها وقال : شارون .. أريد ..

قال الثعلب في صوت محايد تماما : هل تريد أن تمضي إلى دورة المياه أيها الصغير ؟ ليس هذا بمستغرب فقد مضى وقت طويل .

وسار نحو الصبي وحمله بين ذراعيه ودخل دورة المياه معه وأغلق الباب ، وتجمدت شارون مكانها . ولكنه سرعان ما خرج وهو يحمل الصبي تحت ذراعه ، لاحظت أنه يدير رأسه كما لو أنه يخشى أن يراه «نيل» من خلال العصابة ، وتركه يقع فواق الفراش . وقال الصبي وهو يرتجف : شارون .

داعبت ظهره قائلة : أنا هنا .

- شارون .. أتريدين ..

وأشار المختطف نحو دورة المياه فقالت : نعم .

أمسكها من ذراعها وساندها حتى داخل دورة المياه الكريهة الرائحة . كانت الحبال تمزق ساقيها وكعبيها وتجعلها تكشر من فرط الألم . وقال :

- بالداخل ترباس ، يمكنك أن تضعيه والا فسوف يظل الباب مفتوحا . ولكن من الأوفق أن تسرعي .

وداعب خدها وأردف · لأنك إذا تأخرت كثيرا وغضبت فيمكن أن أقتل الصبي .

وتراجع إلى الخلف وسحب الباب نحوه .

اسرعت بوضع الترباس ، ونظرت حولها ، ومرت بيديها فى ظلام الغرفة على الجدران والحوض .. عساها أن تجد شيئا .. قطعة ماسورة أو شيئا حادا . وتحسست الأرض .

- اسرعى يا شارون .

- أجل .

وفيما هى تفتح الباب أحست بالأكرة تدور فى يدها فحاولت أن تديرها دورة كاملة ، فإنها إذا تمكنت من خلعها يمكنها أن تخفيها فى جيب جونلتها ، إذا اتفق وكان طرفها حادا .. ولكنها لم تستطع خلعها .

- اخرجى من عندك .

كان صوته برما فأسرعت وفتحت الباب ، وخرجت وهى تحاول أن تقفز وتعثرت وتشبثت بالباب المعدنى ، واقترب منها فطوقت رقبته بيديها عامدة وهى تتغلب على كراهيتها وقبلته على خده وفى شفتيه ، وضغط الرجل عليها بذراعيه ، فراح قلبها يخفق بشدة . رباه أتوسل إليك .

دست يديها حول كتفيه وبطول ظهره . وترققت اصابعها ، مداعبة على عنقه. ومدت يدها اليمنى ودستها فى جيب المعطف وأحسب بلمسة الصلب .

دفعها عنه فى عنف ، فوقعت على الأرض وقد التوت ساقاها ، واخترق كعبها الأيمن ألم فظيع . وصاح : أنت كالأخريات .

وسيطر عليها بطول قامته ، ورأته من أسفل من خلال موجات الألم التى ملأتها بالغثيان ، بدا الوجه المنحنى فوقها كأنه قد تجرد من جسده ، والعرق الذى

تحت عينيه ينبض وبانت بقع حمراء على ملامح وجهه البارزة، ولم تكن عيناه غير حفرتين سوداوين رفيعتين تتميزان غضبا وصاح : أيتها العاهرة .

رفعها فى غلظة وألقاها فوق الفراش ، ولوى ذراعيها خلف ظهرها ، وطوقها الألم بسحابة سوداء : قدمى .. أكان هذا صوتها حقا ؟

قال «نيل» فى رعب : شارون .. شارون .. ماذا حدث ؟

بذلت جهدا جبارا ، وكتمت آهة وقالت : لقد وقعت :

- تتظاهرين .. كجميع الأخريات .. بل إنك أسوأ .. تحاولين خداعى . كنت أعرف أنك تكذبين وأنك تدبرين أمرا .. كنت أعرف ذلك .

وضغطت يدان على عنقها .. رباه .. النجدة .

- كلا .

تخفف الضغط ، وارتدت رأسها إلى الخلف .. «شارون .. شارون» كان «نيل» يبكى مرعوبا وهو يكاد يختنق .

استردت أنفاسها وأدنت وجهها من وجهه . كان جفناها ثقيلين وحاولت أن تفتحهما ، كان الثعلب منحنيا فوق الحوض يرش وجهه بالماء . وكان الماء باردا . وراحت تراقبه مرعوبة . إنه يحاول أن يسترد هدوءه .. أوشك أن يقتلها ، فلماذا توقف ؟ .. ربما خشى أن يحتاج إليها .

عضت شفتيها من فرط الألم . لم تكن هناك أية وسيلة للفرار .. وغدا عندما يحصل على النقود سيقتلها ويقتل «نيل» وسيموت رونالد تومبسون بسبب جريمة لم يرتكبها ، فهى و«نيل» الوحيدان اللذان يمكنهما إثبات براءته .

وتورم كاحلها الذى يضغط عليه جلد حذائها . وانغرست الحبال فى لحمها .. رباه .. رحماك .

رأته يجفف وجهه بمنديله . وعاد إليهما . وأوثق يدى نيل بدقة من جديد ، وأعاد الكمامتين فوق فميهما . وأوصل السلك بالباب . وقال : أنا خارج يا شارون، سأعود غدا وستكون المرة الأخيرة .

لم يتوقع الرحيل مبكرا هكذا ، لكنه أدرك أنه إذا بقى أطول من ذلك فسيقتلها، وقد يكون بحاجة إليها ، فربما يطلبون دليلا آخر على انها لا تزال هى والصبى على قيد الحياة ، وكان لابد له من الحصول على النقود ، ولا يمكنه المجازفة بقتلها الآن .

كان هناك قطار قادم من مونت فرنون فى الساعة الحادية عشرة، ولم يبق أمامه إلا أن ينتظر بضع دقائق .. ووقف أمام مدخل النفق . وكان الظلام سائدا فى ذلك المكان .

صوت دبيب أقدام فالتصق بالجدار ، وألقى نظرة خلسة . كانت خطوات حارس، ألقى نظرة فاحصة وأخذ يروح ويجئ وهو يفحص مفاتيح النور والصنابير، ونظر إلى السلم الذى يؤدى إلى الغرفة ثم عاد فى هدوء إلى رصيف مونت فرنون .

غرق فى عرق بارد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه . تحول الخطر، أحس بذلك كان يجب أن يفرغ من الأمر الآن وأن يختفى . دوى صوت فرملة ، وتسلل فى حرص بين شبكة المراوح والقنوات وبلغ الرصيف واختلط بالمسافرين الذين هبطوا من القطار وهو يشعر بالارتياح . كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة . لم يشأ أن يمضى إلى غرفته بالفندق . عبر الشارع الثانى والاربعين ودخل

سينما، وشاهد، مفتونا، أثناء أربع ساعات ثلاثة أفلام أثارته كل الإثارة . وفى الساعة الرابعة وخمس دقائق استقل قطار كارلى .

وما إن جلس فى إحدى العربات حتى رأى ستيف بيترسون . رفع عينيه مصادفة فى اللحظة التى مر فيها هذا الأخير بالممر ، وحمد الله على أنه كان يخفى وجهه خلف جريدة ، وهو احتياط اتخذه تجنبا من أن يعرفه ويجلس بجواره . كان ستيف يحمل حقيبة كبيرة .

كانت النقود بها . إنه واثق من ذلك . وستكون هذا المساء ملكا له كلها تلاشى إحساسه بالكدر وخرج من المحطة يغمره الأمل واعتدل مزاجه بعد أن تأكد أن ستيف استقل سيارة ، واجتاز المبانى الثمانية التى تفصل بينه وبين بيته ، وهو عبارة عن جراج حقير فى آخر زقاق مسدود وفوقه لافته عليها هذه الكلمات أ. ر. تاجيرت ، تأجير وإصلاح سيارات .

أسرع إلى الداخل . لم تكن هناك أية رسالة تحت الباب . حسنا ، لم يطلبه أحد ، لو أن أحدا جاء لما استغرب غيابه فهو ينتقل في أغلب الأوقات لإصلاح السيارات عند أصحابها .

كانت سيارته هناك على أهبة الانطلاق ، وكان قد زودها بالوقود من المضخة القائمة فى ركن الجراج . كانت فكرة تدل على العبقرية إذ أقام هذه المضخة بالجراج فهى طريقة عملية للعملاء ، إذ كان يروق لهم أن يجدوا خزاناتهم مملوءة ، وعملية بالنسبة له أيضا لجولاته الطويلة الليلية .. هل تعطلت سيارتك بسبب نفاد البنزين يا سيدتى . إن لدىّ منه صفيحة فى صندوق سيارتى لحسن الحظ ، فإن السيارات مهمتى

كان قد ركب على السيارة لوحة معدنية قديمة خاصة بعميل فى حالة ما إذا سجل متطفل رقم السيارة هذه الليلة .

لقد قطع التيار عن الهاتف اللاسلكى ووضعه فى علبة على المقعد الأمامى .

تخلص من كل اللوحات المعدنية التى تكونت لديه خلال السنوات الست الأخيرة ، ومن نسخ مفاتيح السيارات التى اصطنعها وألقاها فى مزبلة عمومية .

بقيت على الرفوف بعض المعدات وقطع الغيار ، وعجلات مكومة فى أحد الأركان ، وسيعرف العجوز مونتجومرسى كيف ينتفع بها ، ومهما يكن فإنه سيدمر كل شئ ، فهناك كثير من القاذورات لابد له من التخلص منها .

لن يعود إلى هذا الجحر أبدا ، وهذا أفضل فهو لم يشتغل تقريبا فى الشهرين الأخيرين . كان عصبيا جدا ، ولحسن الحظ شغلته عملية سيارة آل فوجلر وخلصته من ورطته .

وهكذا انتهى من كل شئ .

دخل الغرفة الصغيرة القذرة فى آخر المحل ، وأخذ حقيبة قديمة معوجة من تحت الفراش الضيق ، وألقى عفريتة العمل الملوثة بالشحم فوق الفراش ، فلا داعى لأخذها ، فبكل النقود التى ستكون معه لن يحتاج إليها بعد .

وأخرج المسجل الصغير من جيب معطفه وأصغى مرة أخرى إلى تسجيل شارون و«نيل» ، فتش فى الكاسيتات التى معه واختار منها واحدا وضعه فى المسجل لم يكن بحاجة إلا إلى البداية» .

وضع شريط شارون و«نيل» وأداره حتى اللحظة التى توقف فيها صوت

«نيل» ثم ضغط على مفتاح التسجيل وضغط على مفتاح التشغيل فى المسجل الآخر .

لم تقتض منه العملية غير دقيقة واحدة ، ثم أصغى مرة أخرى إلى الشريط المعدل الذى يعده لبيترسون . حسنا . حسنا جدا . لف الشريط فى قطعة من الورق ربطها بشريط لاصق وكتب بالقلم الأحمر رسالة على اللفافة .

أما الأشرطة الأخرى والمسجلان فقد وجدا مكانهما فى الحقيبة بين ثيابه وأغلق الحقيبة بالمفتاح ومضى إلى سيارته .

فتح باب الجراج وصعد إلى السيارة وأمسك بعجلة القيادة ، وبينما كان المحرك يدور ببطء ارتسمت ابتسامة متأملة وسرية على شفتيه وقال يحدث نفسه ، والآن ، سأمضى إلى الكنيسة ثم اتناول كأسا من البيرة .

(٢٩)

قال ستيف مخاطبا هوج : لا أعتقد ذلك . وأنت تضع حياة شارون و«نيل» فى خطر إذا ظننت أن الأمر خدعة .

كان قد عاد إلى نيويورك وراح يمشى جيئة وذهابا فى الصالون ويداه مضمومتان فى جيبه . ونظر هوج إليه فى مزيج من الرثاء والسخط ، كان الشاب المسكين يغالب نفسه بقوة خارقة ، ولكنه شاخ عشر سنوات فى عشر ساعات ، بل كان يمكن روية تجعدات قلق حول عينيه منذ الصباح .

قال هوج فى صوت قاطع : سيد بيترسون ، أؤكد لك أننا بدأنا نعتقد أنه اختطاف حقيقى ، ربما يكون مرتبطا بمحاولة اغتصاب رحمة المحافظ نحو رونالد تومبسون

– وأنا أؤكد لك أنكم مخطئون . أليس هناك أى نبأ من جليندا ؟

– كلا للأسف .

– ولا أى شريط أو كاسيت من قبل الثعلب ؟

– آسف .

– لا يبقى إذن إلا أن ننتظر .

– نعم . ويجب أن تتوقع الرحيل إلى نيويورك فى نحو منتصف الليل .

– ألم يذكر فى المكالمة الساعة الثانية ؟

– ظروف وسائل الانتقال سيئة جدا يا سيد بيترسون .

– هل تظن أن الثعلب قد يخشى لقائى وألا يستطيع الهرب ؟

هز هوج رأسه وقال : أنا مثلك لا أدرى . أننا وضعنا جهاز التنصت على تليفون كشك الشارع التاسع والخمسين ، ولكننى أظن أنه سيوجهك إلى كشك آخر كما فعل أول مرة ، ولا يمكننا المجازفة بوضع مكبر للصوت فى سيارتك لأنه يمكن أن نتوقع أن يصعد إلى سيارتك ويركب معك وسيراقب بعض رجال الشرطة المجاورة تنقلاتك وسنغطى المنطقة كلها بسيارات مزودة بالراديو ، ولن تبعد عن نظرهم ، وسيصدرون الأوامر إلى سيارات أخرى بأن تتبعك . لا تقلق . لا يمكن لأى شئ أن يدل على أننا نتبعك، وسيتيح لنا جهاز الإرسال ، فى الحقيبة ، أن نبقى على مقربة منك .

أطلت دورا برأسها فى الصالون وقالت : معذرة ، وكان صوتها قد تغير فإن برود هوج قد راعها . لم تحب طريقته فى تحديقه بها هى وبيل ، وليس بيل شريرا لميله للخمر ، وقد هدها ضغط الأيام الأخيرة وسوف

يحصل بيترسون على عودة نيل وشارون فى صحة جيدة ، وكان لابد من الاعتقاد بذلك ، فهو رجل طيب ولا يجب أن يحتمل أكثر مما احتمله فى السنتين الأخيرتين .

وبعد ذلك تستطيع هى وبيل الرحيل إلى فلوريدا ، فقد كبرت فى السن بحيث لم تعد تستطيع الاهتمام بالبيت ، و«نيل» بحاجة إلى امرأة شابة .. شابة يتحدث معها ، وكانت تعرف أنها تحنو عليه كثيرا وليس من الخير عمل مأساة من طفل يشخر كل مرة .

«نيل» ، لقد كان صبيا صغيرا جدا ، وسعيدا عندما كانت أمه على قيد الحياة . لم تقع له أبدا أزمات ربو . ربما أصيب بالزكام مرة أو مرتين فحسب . وقد كانت عيناه الواسعتان السمراوان تومضان ولكن ليس بهذه الطريقة الشاردة التى تومضان بها الآن ، سوف يتزوج بيترسون قريبا ، إن لم يكن بشارون فعلى الأقل بفتاة تجعل من هذا البيت بيتا سعيدا .

أدركت دورا أن ستيف يلقى إليها نظرة استفهام وأنها يجب أن تحدثه ، لم تغمض لها عين طوال الليل . ماذا جاءت تقول بالذات ؟ آه ، نعم ، أعرف أنك لست جائعا كثيرا ولكن ألا تريد شريحة من اللحم يا سيد تايلور . ؟

– ليس بالنسبة لى يا دورا . شكرا .

قال هوج · أعدى شريحتين لنا معا ، إذا أردت يا سيدة لوفتس .

وألقى يده على ذراع ستيف وقال · اسمع أنت لم تأكل شيئا منذ أمس ، وستبقى على قدميك طوال الليل ، وستكون بحاجة إلى كل قواك لكى تستطيع قيادة السيارة واتباع التعليمات .

– أنت على حق .

وما إن جلسا إلى المائدة حتى دق جرس الباب الخارجى فاندفع هوج قائلا · أنا ذاهب .

كان ستيف ممسكا بالمنشفة التى سيضعها فوق ركبتيه . أهو الدليل المطلوب؟ هل سيسمع صوت «نيل» وصوت شارون ؟

عاد هوج يتبعه شاب اسم الشعر كان ستيف يعرفه جيدا إنه كورنر محامى روناالد تومبسون .. اشعث الشعر ويبدو شديد الانفعال ، معطفه غير مزرر وبدلته كأنه نام مرتديا كل ثيابه .

لم يعتذر بوب لمقاطعته طعامهما وقال · سيد بيترسون .. أريد أن أحدثك بخصوص ابنك .

قال ستيف : ابنى ؟

وأحس بنظرة التحذير التى رماه بها هوج ، فضغط على قبضته تحت المائدة وقال : وماذا هناك ؟

–.إننى دافعت عن روناالد تومبسون يا سيد يترسون ، وقد أسأت الدفاع عنه.

قال ستيف · أنت لست مخطئا إذا كان تومبسون قد أدين لم يكن ينظر الى الشاب وإنما احتفظ بعينيه محدقتين فى شريحة اللحم ، يتأمل الودك الذى بدآ يظهر ويتجمد فى جوانبها ، وابعدها عنه .. وإذا كان هوج على حق .. إذا كان الاختطاف خدعة .

– دون لم يقتل زوجتك ياسيد بيترسون ، لقد أدين لأن أكثر المحلفين خطر لهم أنه قتل الفتاة كارفولى والسيدة ويس .

– كانت له سوابق ؟

– مسألة تافهة .. مجرد حادث .

– لقد هاجم فتاة قبل ذلك وحاول أن يقتلها .

– كان فى الخامسة عشرة من عمره وكان ذلك أثناء حفلة راقصة خاصة . اشترك فى مسابقة لشرب البيرة ، ومن هو الشاب الذى لم يفعل ذلك فى الجامعة. كان ثملا ، إعطاه أحدهم كوكايين ، ولم يكن يدرى ما يفعل ، وهو لا يذكر أنه مد يده على تلك الفتاة ونحن نعرف ماذا يفعل الشراب والمخدر بالرءوس . كان من سوء حظه أنه سبب لنفسه مشاكل فى أول مرة يسكر فيها فى حياته ، وهو لم يقرب الشراب بعد ذلك أبداً إن لم يكن كأسا من البيرة طوال العامين الماضيين ومن سوء حظه أنه دخل بيتك بعد مقتل زوجتك مباشرة اختلج صوت بوب وتدفقت الكلمات منه :

– يا سيد بيترسون ، لقد فحصت نسخة المحضر ، وأمس جعلت رون يكرر ويعيد أكثر من مرة كل ما استطاع أن يفعله بين اللحظة التى تكلم فيها مع زوجتك فى سوق تيمبرلى واللحظة التى عثروا فيها على الجثة ، وقد ادركت عندئذ الغلطة التى ارتكبتها لقد قال ابنك إنه كان يهبط الدرج عندما سمع أمه تختنق ، وأنه رأى رجلا يخنقها ، ثم رأى وجه الرجل بعد ذلك .

– وجه رون تومبسون

– كلا ، كلا ألا تفهم . انظر إلى صورة المحضر .

وألقى بوب حافظته فوق المائدة وأخرج بعض الأوراق القضائية وتصفحها مسرعا ، توقف عند صفحة في الوسط وقال : هاهي ، لقد سأل وكيل النيابة «نيل» لماذا هو واثق هكذا من أنه رون فأجاب «نيل» لقد سطع الضوء عندئذ تأكدت .. وهذا ما فاتني . وعندما كرر رون أقواله أمس قال إنه دق الجرس ، وإنه انتظر دقيقتين قبل أن يدق للمرة الثانية ، ولم يذكر «نيل» كلمة واحدة عن ذلك ..

قاطعه هوج قائلا هذا لا يثبت شيئا . كان «نيل» يلهو بقطاراته في الدور العلوى ، ولعله كان مستغرقا في لعبه . وكانت القطارات تصدر صوتا .

– كلا كلا ، لأنه قال : سطع النور .. هذه وجهة نظرى يا سيد بيترسون : دق رون جرس الباب الخارجي وانتظر ، ودق مرة ثانية ثم دار بالبيت وأعطى بذلك الفرصة للقاتل للهرب ولهذا كان الباب الخلفي مفتوحا .

«لقد أضاء رون نور المطبخ .. ألا تفهم أن السبب في أن «نيل» رأى وجه رون جيدا هو أن النور كان صادرا من المطبخ .. صبى صغير يهبط السلم جريا ويرى رجلا يحاول أن يقتل أمه . كان الصالون مظلما ونور المدخل وحده هو المضاء ، وجعلته الصدمة يغمى عليه ، والراشدون يفعلون نفس الشئ . ويعود إلى وعيه ويرى لأن النور الصادر من المطبخ يضئ الصالون .. يرى شخصا منحنيا فوق أمه . شخصا يمسكها من عنقها . كان رون يحاول أن يفك عقده الإيشارب لكنه لم يستطع ذلك ، فقد كانت مشدودة جدا ، وأدرك أنها ماتت وأدرك معنى ذلك بالنسبة له ، وعندئذ استولى عليه الذعر وهرب .

وهل يمكن لقاتل أن يترك شاهدا كـ «نيل» ، أو السيدة بيرى على قيد الحياة

وهو يعلم أنها عميلة بسوق تيمبرلى وأنها ستعرفه بكل تأكيد ، وما من قاتل يترك خلفه شهودا يتعرفون عليه يا سيد بيترسون .

هز هوج رأسه وقال · هذا لا يثبت شيئا . ما هذه إلا مجرد افتراضات وليس فى كل هذا أثر لأى دليل .

توسل بوب قائلا : ولكن يمكن لـ «نيل» أن يمدنا بالدليل هل تقبل أن يتعرض ابنك للتنويم المغناطيسى يا سيد بيترسون ؟ إننى تحدثت إلى اطباء كثيرين اليوم بالذات وهم يؤكدون أنه إذا كان قد أنمحى شئ من ذاكرته فإن التنويم المغناطيسى يمكن أن يكتشفه .

قال ستيف : هذا مستحيل .

وعض على شفتيه وأوشك أن يقول : لا يمكن تنويم طفل مختطف . وصاح يقول . اخرج من هنا .

- كلا . لن أخرج .

تردد بوب كورنر ، ثم فتش فى حافظته من جديد وقال · يؤسفنى أن أريك هذا يا سيد بيترسون . لم تكن هذه نيتى . إننى فحصتها . وهى إحدى الصور التى التقطت بعد الجريمة .

صاح هوج : هل أنت مجنون ؟

وأمسك بالصور وهو يصيح · أين وجدتها بحق السماء هذه أدلة رسمية ؟

- لا يهم كيف وجدتها انظر إلى هذه هل ترى . إنها للمطبخ ، والمصباح عار، ومعنى هذا أن النور كان قويا .

وفتح بوب باب المطبخ فجأة . دافعا دورا لوفتس وبيل لوفتس إلى الوراء

وكانا واقفين خلف الباب ، ومن غير أن يعيرهما أى التفات سحب معقدا تحت مصباح السقف وصعد فوقه ، وفك الغطاء الزجاجى فسطع النور فى الغرفة أكثر من ذى قبل ، وعاد إلى غرفة الطعام وأطفأ النور وأضاء نور المدخل واطفأ اخيرا نور الصالة .

– انظر إلى الصالة . إن كل شئ واضح فيها جدا . انتظرا .

وعاد إلى المطبخ وأطفأ النور ، ونظر ستيف وهوج إليه مشدوهين كان ستيف قد وضع يده فوق صورة جسد نينا .

قال بوب فى اصرار .. انظرا عندما يكون نور المطبخ مطفأ يكاد الصالون يكون مظلما ، فضعا نفسيكما مكان صبى يهبط السلم ، أرجو أن تقفا فى عتبة الباب وأن تنظرا إلى الصالون . ماذا أمكن لـ «نيل» أن يراه .. لا أكثر من شبح رجل .. شخص يهاجم أمه فيغمى عليه ، لم يسمع أبدا جرس الباب ، وما إن يدق رون جرس الباب للمرة الثانية حتى يكون القاتل قد اختفى لقد انقذ رون ابنك بكل الاحتمالات عندما جاء إلى بيتك فى ذلك اليوم .

تساءل ستيف : أيمكن هذا ؟ .. أيمكن أن يكون ذلك الشاب بريئا . كان يقف بالباب وبصره إلى الصالون . ماذا رأى «نيل» أيمكن أن يكون قد أغمى عليه لبضع ثوان ؟

دخل هوج الصالون فى خطوات كبيرة وأضاء مصباحا وقال فى هدوء ليس هذا كافيا . إن هذا إلا تخمين .. مجرد تخمين ، وليس هناك ثمة ظل يؤيد افتراضك .

– إن «نيل» هو الوحيد الذى يستطيع أن يقدم لنا دليلا إنه أملنا الوحيد أتوسل إليك يا سيد ببترسون . دعنا نستجوبه . إننى التقيت بالدكتور ميخاتيل

لين، وهو مستعد أن يأتى الليلة لاستجواب «نيل» إنه طبيب بمستشفى مونت سنياى . اتوسل إليك يا سيد بيترسون . امنح رون هذه الفرصة .

نظر ستيف إلى هوج ، ورأى حركة النفى التى اتى بها من رأسه . إنه إذا قال إن نيل اختطف فسينتهز المحامى هذه الذريعة للإيحاء بأن الاختطاف مرتبط بمقتل نينا ، ومعنى هذا دعاية ، ويمكن أن يعنى أيضا نهاية كل أمل فى العثور على «نيل» وشارون على قيد الحياة .

قال : إن ابنى غائب ، فقد تلقيت تهديدات بسبب موقفى من حكم الاعدام ، ولا أريد أن أكشف لأحد المكان الموجود فيه .

– لا تريد أن تكشف لأحد المكان الموجود فيه ؟ هناك برئ فى التاسعة عشرة من عمره سيموت صباح غد لقاء جريمة لم يرتكبها يا سيد بيترسون .

قال ستيف فى صوت قاطع : لا أستطيع آن أفعل شيئاً من أجلك اخرج من هنا وخذ معك هذه الصور اللعينة .

أدرك بوب أنه ليس هناك أى أمل ، فاجتاز غرفة الطعام والتقط الصور والأوراق ووضعها فى الحافظة وهم بأن يغلقها ولكنه لم يلبث أن عدل واخرج منها نسخ الاعترافات التى أدلى بها رون بالأمس وألقاها فوق المائدة .

– اقرأها يا سيد بيترسون. اقرأها وقل لى إذا وجدت فيها أقوال قاتل لقد حكم على رون بالإعدام لأن منطقة فيرفيلد روعت بمقتل كارفولى وويس وبمقتل زوجتك كذلك ولكن وقعت جريمتان أخريان فى الاسابيع الأخيرة ، وأنت تعرف ذلك. أنا مستعد أن أقسم أن جذور هذه الجرائم الأربع واحدة، ومازلت مقتنعا بأن مقتل زوجتك له علاقة بها بطريقة أو بأخرى، فقد خنقت كل منهن سواء بإيشاربها

او حزامها والفارق الوحيد هو أن القاتل اختار دخول بيتك . ولكن كل هؤلاء النساء الخمس متن بنفس الطريقة .

وانصرف صافقا الباب خلفه. ونظر ستيف الى هو ج وقال ساخرا :

– ونظريتك انت القائمة على أن الاختطاف مرتبط بإعدام الغد .

تظاهر هوج بالشك وقال : كل ما نعرفه أن كورنر ليس مشتركا فى المؤامرة ولكننا لم نقل ابدا إن له يدا فيها .

– ألا يمكن أن يكون على حق بخصوص موت نينا . ؟

– انه يتشبث بكل مايجده. وكل هذا ليس الا تخمينات وافتراضات انه محام يحاول أن ينقذ عميلا .

لو أن «نيل» كان هنا لسمحت لذلك الطبيب أن يتكلم معه وأن ينومه مغناطيسيا إذا اقتضى الأمر. إن «نيل» يرى كوابيس كثيرة منذ تلك الليلة وقد حدثنى عن ذلك في الاسبوع الماضى .

– وماذا قال ؟

– قال إنه يخاف وانه لا يستطيع أن ينسى. وقد راجعت طبيبا نفسيا وهو يرى أن الأمر يمكن أن يكون نوعا من الكبت. صارحنى ياهوج هل أنت مقتنع بأن رونالد تومبسون قتل زوجتى ؟

هز هوج كتفيه وقال : عندما تجتمع الادلة هكذا فمن المستحيل استخلاص نتيجة أخرى .

– لم ترد على سؤالى .

– رددت عليه بالطريقة الوحيدة الممكنة . هذه الشريحة طعمها غير مستساغ الآن ولكن تعال لنأخذ شيئا آخر .

دخلا غرفة الطعام وتناول ستيف فطيرة وفنجانا من القهوة . وكانت اعترافات رون تحت مرفقه فأخذ الاعتراف الأول وراح يقرأ: كنت اوشك على فقد عملى ،

ولكننى فهمت السيد تيمبرلى ، فهو بحاجة لشخص يعمل عنده اطول وقت ممكن ، وكنت اعلم أن انضمامى الى فريق كرة القدم سيساعدنى على دخول الجامعة وربما فى الحصول على منحة، لهذا لم استطع البقاء عنده. وسمعت السيدة بيترسون حديث تيمبرلى ، فقالت انها آسفة من أجلى ، وإننى انقل مشترياتها دائما إلى عربتها ، وسألتنى عما أنوى أن افعل فقلت اننى استطيع ان اشتغل فى طلاء البيوت اثناء الصيف . ومشينا نحو سيارتها ، وقالت لى انها انتقلت الى بيت حديث، وأن هناك اعمال طلاء ونقش كثيرة داخل البيت وخارجه ، وطلبت منى ان امضى لرؤيتها. ووضعت مشترياتها فى صندوق السيارة، وقلت لها إن هذا يوم سعدى وإن هذا ماقالته امى بالذات وإن سوء الحظ ينتهى دائما الى حسن حظ ثم تمازحنا فقالت إن هذا يوم سعدها هى الأخرى ، لأن هناك مكانا فى صندوق العربة لكل المشتريات التى قمت بها واردفت أنها لا تحب التسوق لذا قامت بشراء كل تلك الكميات دفعه واحدة . كانت الساعة قد بلغت الرابعة ، ثم ..

قطع ستيف قراءته.. يوم سعد نينا.. واقصى عنه الاوراق.

صلصل جرس التليفون فهب ستيف وهوج ، واسرع ستيف الى تليفون المطبخ وامسك هوج بسماعة تليفون المكتب : ستيف بيترسون كان الصوت حذرا رباه، ارجو أن تكون اخبارا طيبة .

– ياسيد بيترسون أنا الأب كيندى بكنيسة سانت مونيكا. اخشى أن شيئا غريبا قد وقع لى .

احس ستيف بغصه فى حلقه، وبذل جهدا لكى يتكلم. ماالخبر أيها الأب ؟

– عندما ذهبت الى المذبح لقداس صلاة المساء منذ عشرين دقيقة وجدت لفافة صغيرة بجوار باب الهيكل. سأقرأ لك ماهو مكتوب عليها .

تسلم هذه اللفافة للسيد بيترسون فورا. انها مسألة حياة او موت وعليها رقم تليفونك فهل تظن انها مزحة .

سمع ستيف حشرجه صوته وغمر العرق يديه · كلا ليست مزحة بل لعل الأمر جد خطير . سآتى لكى آخذها فورا ، وإذا سمحت أيها الأب لا تتحدث عنها مع أى أحد .

– بالتأكيد يا سيد بيترسون . سأنتظرك .

وعندما عاد ستيف الى بيته بعد نصف ساعة كان هوج ينتظره مع المسجل. وانحنيا فى اكتئاب فوق الجهاز بينما كان الشريط يدور .

مرت لحظة لم يسمع فيها غير صرير مكتوم .. نوع من الصفير ثم صوت شارون . وامتقع ستيف ، وأمسك هوج بذراعه «الرسالة» كانت تكرر الرسالة التى لقنها المختطف اياها لستيف . ماذا ارادت القول وهى تضيف انها اخطأت ، ما المفروض أن يغفره لها . وتوقفت فجأة كما لو قوطعت «نيل» كان هذا هو الصفير الذى سببه الربو لـ «نيل» وجعله يختنق ، سمع ستيف صوت ابنه اللاهث .. كانت شارون تعنى به .. ولكن لماذا يذكر امه ولماذا الآن ؟

شدد الضغط على قبضتيه حتى ابيضت اصابعه، ورفعها الى فمه لكى يكبح النحيب الذى يهز صدره .

قال هوج حسنا سنصغى اليه مرة أخرى .

ولكن قبل أن يضغط على مفتاح الايقاف هتف صوت دافىء ومرحب قائلا .

أوه ، ما اكرمك اذا اتيت تفضل .

أجفل ستيف وافلتت منه صرخة قلق. فصاح هوج ماالخبر ؟

صاح ستيف · رباه .. رباه .. هذه زوجتى .. هذه نينا .

(٣٠)

ركن هانك لامونت سيارته أمام البار.

كان الثلج يسقط من جديد فى ندفات متتابعة وهبات من الريح تدفعها على الزجاج الأمامى .

وضاقت عيناه الواسعتان الزرقاوان البريئتا المظهر وهو يفحص داخل البار فى النور الخافت الذى ينبعث منه .

كان الجو رديئا، وقد احتجز الناس فى بيوتهم وقد راق له ذلك لأنه سيستطيع أن يتكلم مع صاحب البار، وكان هذا الأخير معروفا بحبه للثرثرة.

هبط من السيارة، وكان الجو شديد البرودة يا لها من ليلة رديئة !

وتعقب سيارة بيترسون بعد قليل لم يكن بالمهمة المريحة فستكون السيارات قليلة فى الطريق بلا شك، بحيث يمكن ملاحظتها بسهولة .

فتح الباب ودخل البار، كان الجو دافئا بالداخل وملأت خاشيمه رائحة البيرة اللذيذة والطعام. وطرف بعينه كى يطرد الثلج وألقى الى الصالة بنظرة فاحصة ، لم يكن هناك غير اربعة رجال، وتقدم فى خطوات هادئه واعتلى مقعدا مرتفعا وطلب كأسا من البيرة .

واحتساه وهو يدور ببصره يمينا وشمالا . كان اثنان من الرواد يشاهدان مباراة هوكى فى التليفزيون. وفى وسط البار هناك رجل قصير القامة انيق المظهر لم تبق برأسه غير بضع شعيرات وخطها المشيب ، يحتسى كأسا من المارتينى وفوجىء بشخص ينظر اليه ويقول : آلست من رأيى ياسيدى انه من الجنون أن يقطع المرء خمسة عشر كيلو مترا بالسيارة فى مثل هذا الجو. وأن من الحرص أن يستقل سيارة آجرة ؟ وفكر لحظة ثم اردف يقول : خصوصا اذا كان هذا المرء مصابا بالزكام .

وافقه هانك قائلا : انك على حق تماما فالطرق مريعة.

ازدرد جرعة من البيرة وسأله البارمان وهو يجفف بعض الكئوس .

– هل انت من بيتربورو ؟ ألم يسبق لك أن أتيت إلى هنا ؟

– كلا انما انا عابر سبيل. أردت أن اتوقف قليلا وتذكرت زميلى القديم بيل لوفتس قال لى انه يأتى هنا أحيانا فى مثل هذا الوقت .

اعترف البارمان قائلا ان بيل يأتى هنا كل ليلة فعلا ولكنك لست محظوظا فهو لم يأت هنا بالأمس لأنه خرج مع زوجته للعشاء احتفالا بعيد زواجها وتناولا العشاء في الخارج، ودخلا السينما وكنا نظن أنه سيهملها الليلة ويأتى لتناول كأس من البيرة ولكنه لم يظهر. وأن من الغريب انه ليس هنا الليلة ما لم تكن زوجته قد تشاجرت معه واذا كان هذا ماحدث فسوف نعرف بالتأكيد أليس كذلك آرتى ؟

رفع الشارب المنفرد عينيه عن كأسه وقال : إن مايدخل اذنى اليمنى يخرج من اذنى اليسرى ، فمن الذى يهتم بهذه السفاسف ؟

ضحك هانك وقال : فيم ينفع البار اذن إذا لم يكن ذلك للثرثرة ؟ أطفأ الرجلان اللذان يشاهدان مباراة الهوكى التليفزيون وقال احدهما : مباراة رديئة .

وقال زميله : هو ذلك .

قال البارمان وهو يشير برأسه إلى هانك : صديق لبيل لوفتس .

قدم اكبر الرجلين نفسه قائلا : ليس وانكنز .

كذب هانك وقال : وانا بيتر ليرنر .

وقال اصغر الرجلين ٠ وأنا جو رينولدز .. اين تعمل يابيت ؟

– في محل للادوات الصحية بنيو هبشاير ، وآنا ماض، الى نيويورك للبحث عن قطع غيار . ما رأيكم فى أن آقدم لكم كآسا ؟

مـرت سـاعـة عـرف هانك اثناءها أن جـو وليس يشـتـغـلان فى مـحل للبـيع بالتخفيض وأن آرتى يصلح السيارات اما الاصلع ويدعى آلان كروجر فيعمل فى وكالة للدعاية .

لم يكن عدد كبير من المعتادين قد أتى الليلة بسبب سوء الاحوال الجوية : بيل فينللى مثلا ودون برانينجام . أما شارلى بينشر فكان يأتى فى هذه الساعة بيد أنه منضم هو وزوجته الى فرقة المسرح الصغير ويقومان ببروفة مسرحية جديدة .

أقبلت سيارة اجرة، كروجر سيصطحب ليس وانكنز وجو وطلبوا حسابهم وتأهب آرتى للرحيل، ابعد البارمان نقوده وقال : على حساب المحل الليلة ، فسوف نفتقدك .

قال ليس : هذا صحيح . حظ موفق دعنا نعرف اخبارك .

- شكرا . إذا لم يفلح الأمر معى فسوف أعود وألتحق بعمل عند جوب فهو يلاحقنى لكى اعمل معه .

- قال ليس : هذا أمر عادى . فجوب يقدر الميكانيكى القدير .

سأله هانك : واين تمضى ؟

- الى روك ايلاند ، قال جو : مما يؤسف له انك لا تستطيع توديع «بيل».

اطلق آرتى ضحكة بذيئة وقال : روك أيلاند ليست الاريزونا . حسنا من الأوفق أن أمضى لكى أنام لكى لا أتأخر فى الصباح.

اتجه آلان كروجر نحو الباب متباطئا وهو يقول : اريزونا بلاد الصحراء الزاهية. وخرج الرجال الاربعة معا، وهبت من خلال الباب لفحة باردة من الهواء .

ولاحظ هانك رحيل آرتى فقال : أهذا الشاب صديق لبيل لوفتس ؟

هز البارمان رأسه وقال . كل من له اذنان صديق لبيل عندما يفرط فى الشراب وانت تعرف هذا والناس يقولون ان زوجة بيل تثير ضجره طوال اليوم ويأتى هو فى الليل ويثير ضجر الآخرين .

قال هانك : آه . تناول كأسا على حسابى .

– شكرا . انا لا أشرب اثناء ساعات العمل . ولكن لا يوجد الآن احد وإنها لليلة تثير الخوف فى النفوس. وهذا مايشعر به الجميع وهذا الفتى تومبسون .. تعلم ان امه تقيم بعد بضع شوارع من هنا .

ضاقت عينا هانك وقال : هذا ما يحدث عندما يقتل احدهم الناس .

هز البارمان رأسه : لا يمكن لأحد أن يتصور أن يقتل هذا الفتى احدا .

صحيح انه فقد رشده ذات مرة ، وربما كان هذا صحيحا على كل حال فهم يقولون ان هناك قتلة اشرارا يبدون كما لو كانوا اناسا عاديين .

– سمعت هذا ايضا .

– ان «بيل» وزوجته يقيمان فى بيت تلك المرأة التى قتلت .. نينا بيترسون .

– نعم أعرف ذلك .

– لقد هزهما الحادث جدا . كانت دورا لوفتس تعمل لدى آل بيترسون منذ بضع سنوات ويقول بيل إن الصبى لم يبرأ من الصدمة بعد ، وإنه يبكى طوال الوقت ، ويرى كوابيس .

– هذا من سوء حظه .

– يود بيل وزوجته الرحيل الى فلوريدا . وهما ينتظران منذ وقت طويل على أمل ان يتزوج والد الصبى من جديد . ويقول بيل انه يخرج مع صحفية فتاة جميلة كان يجب أن تذهب الى بيت بيترسون الليلة الماضية .

– آه ، نعم .

– والصبى بارد جدا فى معاملته لها ، لا شك أنه يخشى ان تحل محل والدته وهكذا الاولاد .

– هذا صحيح .

- والأب رئيس تحرير مجلة «الحوادث» وهى المجلة التى صدرت منذ سنتين وقد سمعت انه استثمر فيها كل امواله وانه رهن بيته لكن المجلة بدأت تنتشر وتلقى رواجا كبيرا. حسنا اظن أننى سأغلق المحل ، فمن المؤكد ان مامن أحد سيأتى الليلة . هل تريد كأسا اخرى .

فكر هانك . كان بحاجة الى معلومات ولم يكن امامه وقت ليضيعه ، فألقى كأسه واخذ حافظته واخرج منها شارة وقال · المخابرات الفيدرالية.

بعد ساعة كان قد عاد الى بيت بيترسون، وبعد أن استشار هوج اتصل بالمباحث الفيدرالية بمانهاتن، وبعد أن تأكد ان باب المكتب مغلق تماما تكلم فى التليفون وقال : كان هوج على حق. ان بيل ثرثار كبير والجميع فى حانة ميل تافرن يعرفون منذ اسبوعين انه يجب ان يخرج الليلة الماضية مع زوجته وان لدى بيترسون اجتماعا سيتأخر فيه وان شارون كان يجب أن تأتى .

وقد اعطانى البارمان قائمة بعشرة اشخاص يتكلمون دائما مع بيل .

وبعضهم كان هناك الليلة ولكن يبدو أنه ليس هناك مايعيب ايا منهم غير انكم يمكنكم التحقق من شارلى بينشر، فهو وزوجته يعملان فى المسرح وقد يمكن لاحدهما أن يقلد صوتا سمعه منذ سنتين. وهناك شاب اخر يدعى آرتى تاجيرت، سيرحل غدا الى روك ايلاند، ويبدو مسالما وهناك بائعان احدهما يدعى ليس وانكنز والآخر جو رينولدز ولا داعى لإضاعة الوقت بشأنهما، وإليكم بقية الاسماء..

وعندما فرغ من قائمته اردف· وهناك شيء آخر روى بيل لوفتس للجميع قصة الوديعة منذ اقل من شهر . كان قد سمع بيترسون يتحدث عنها مع محاميه ، ومعنى ذلك آن كل المترددين على البار يعلمون بآمرها والله وحده يعلم من يعلم غيرهم . سانى مع الكاسيت. هل اتصلت بجون أوينز ؟

وأعاد السماعة ومضى نحو الصالون وهو يفكر كان هوج تايلور وستيف يتحدثان في هدوء ولبس ستيف معطفه. وكان الوقت قد اوشك على انتصاف الليل، ساعة الذهاب الى موعده مع رينار .

(٣١)

كانت لاللي تشعر بغضب شديد من الدخلاء بحيث روت كل القصة لروزى عندما التقت بها في صالة الانتظار وقالت، انها غرفتي انا، وندمت على ذلك على الفور اذ بماذا يمكنها ان تعتذر اذا ارادت روزى ان تشاركها الغرفة . لن تتركها تفعل ذلك .

لم تكن بحاجة الى الانزعاج لأن روزى قالت مشدوهة اتعنين انك تنامين تحت في سنج سنج ؟ لن تحمليني على الذهاب معك ولو قدمت لي كل كنوز الدنيا فانني اخاف كل الخوف من القطط .

طبعا ، لم تفكر لاللي في ذلك . كانت روزى تخاف من القطط وانها لتعبر الشارع عندما تلتقي بقطة في الرصيف الذى تمشى فيه .

وقالت لاللي : حسنا انك تعرفينني فانني احبها ، فهي كائنات صغيرة جائعة. واردفت مبالغة.. ويوجد منها في هذا النفق اكثر مما في اى مكان آخر .

وارتجفت روزى في حين استطردت لاللي : واعتقد أن هذين الشخصين قد أقاما فيها وسأعمل على أن ترحل الفتاة عندما ينصرف .

كانت روزى مستغرقة في أفكارها ، وقالت : لنفترض انك مخطئة وانه قد يكون هناك . لقد قلت انه يبدو شريرا .

- بل أكثر من شرير . ربما تستطيعين مساعدتي في مراقبته .

كانت روزى تعبد المؤامرات ، فابتسمت ابتسامة عريضة كشفت عن اسنانها الصفراء والمكسورة وقالت : بالطبع .

فرغتا من قهوتهما ، وجمعتا بقايا الفطائر فى عناية كبيرة فى سلتى مئونتهما واتجهتا نحو الطابق السفلى، وقالت لاللى فى انزعاج :

– قد يأخذ هذا منا بعض الوقت .

– لا أهمية لهذا فيما عدا أن أولندورف يقوم بالحراسة اليوم . .

كان أولندورف أشد الحراس ضراوة ، ولاسبيل للاعتماد عليه لكى يدع المتسكعين فى المحطة. كان يقضى كل وقته فى مطاردتهم، وفى مراقبتهم اذا حاولوا التسول او اذا تخلصوا من بقايا الطعام .

ووقفتا بجوار فترينة احدى المكتبات فى شىء من الخوف ومر الوقت وهما واقفتان بدون حراك .

ستقول له إن صديقة لها قادمة من نيويورك، وانها وعدتها ان تنتظرها فى هذا المكان .

لكن الحارس تجاهلهما . وبدأت لاللى تشعر بالألم فى ساقيها وهمت بأن تقترح على روزى أن يتخليا عن مراقبتهما عندما دخل بعض المسافرين الى رصيف مونت فرنون، وكان احدهم أسمر الشعر يسير بطريقة اوتوماتيكية فامسكت بذراع روزى وهتفت : انه هو انظرى . انه يمضى نحو السلالم . انه يرتدى معطفا بنى اللون وبنطلونا اخضر .

رمشت روزى بعينيها وقالت : نعم . إننى أراه .

– وقالت لاللى متهللة : يمكننى ان اهبط الآن .

ترددت روزى وقالت · ليس واولندورف فى الانحاء انه ينظر الى هذه الناحية بالذات .

– لم يكن هناك ما يمكن ان يثنى لاللى عن غرضها ، فانتظرت حتى رأت اولندورف ينصرف لتناول الغداء وتسللت الى الرصيف وازدحم قطار الساعة

الثانية عشرة وعشر دقائق . وكانت تعرف ان احدا لن يلحظها ، فاختفت فى الناحية الاخرى من الخط ، وهبطت السلم بأسرع ماامكنتها ساقاها الملوعتان بالروماتيزم ، ولم تشعر حقا بأنها فى حالة جيدة كان أقسى شتاء عرفته وآلمها التهاب المفاصل فى ظهرها وفى باطن قدميها . كان كل جسدها يؤلمها ولم تكن بها غير رغبة واحدة وهى الاستلقاء فى فراشها . سوف تطرد الفتاة فى ظرف دقيقتين. ستقول لها ان الشرطة تعرف امرك ياصغيرتى وستأتى للقبض عليك فاهربى وحذرى عشيقك .

تقدمت وهى تجر رجليها امام المولدات الكهربائية وقنوات المجارى ، وبدا النفق المظلم الصامت فى آخرها .

رفعت عينيها نحو باب غرفتها وابتسمت . مازالت أمامها ثمانى خطوات لكى تصل الى السلم واسندت حقيبتها تحت ابطها واخرجت المفتاح من سترتها وبيدها الاخرى تشبثت بدرابزين السلم وبدأت ترتقيه.

– أين تذهبين يالاللى ؟

كان الصوت جافا . فاطلقت لاللى صرخة فزع واوشكت ان تقع على ظهرها لكنها استعادت توازنها ، ولكى تكسب وقتا استدارت فى بطء قبل أن تواجه وجه اولندورف المتوعد. اذن فقد كان يراقبها ، كما كانت روزى تخشى ، وحاول ان يخدعها بتظاهره انه ماض لتناول طعام الغداء، واسرعت فدست المفتاح فى حقيبتها خلسة .

– سألتك اين تمضين هكذا يالاللى ؟

كانت المولدات الكهربائية تدوى بجوارها، وانطلق قطار وهو يهدر من رصيف فوق رأسها ووقفت وقد عجزت عن الكلام .

وفجأة ، انبعثت من ركن مظلم خشخشة حادة ومواء ضار وجاءها الالهام على

الفور.. القطط فأشارت بيد مضطربة الى الهياكل الهاربة وقالت : انظر اليها انها جائعة وقد اتيتها بشىء تأكله وكنت اوشك على تقديمه اليها .

أخرجت من حقيبتها المنشفة الممزقة والملوءة بفتات الطعام.

ألقى الحارس نظرة مشمئزة الى الخرقة القديمة الملوثة بالشحم، وقال فى صوت بارد : اننى اسف لها القى اليها بما معك واغربى من هنا .

وتجاوزتها نظرته وصعد السلالم ووقف مفكرا عند باب الغرفة . وخفق قلب لاللى بشدة، والتقطت حقيبتها وتقدمت نحو القطط والقت اليها ببعض الفتات ونظرت اليها وهى تنقض عليها وقالت تحاول تهدئته :

- أرأيت كم هى جائعة الديك قطط فى بيتك ياسيد اولندورف ؟

وتظاهرت بالانصراف وهى تتمنى ان يتبعها ، فانه إذا دخل الغرفة مستخدما طفاشته، واذا وجد فيها الفتاة فلابد انهم سيستبدلون القفل مالم يسدون الباب .

تردد . وهز كتفيه وعزم ان يتبعها وهو يقول : كان لدينا بعض منها ولكن زوجتى لم تعد تريد قططا بعد أن فقدت القطة التى كانت تحبها .

وعادت الى صالة الانتظار وقلبها لايزال يخفق بشدة. هاهى ذى مرة اخرى لم تستطع الذهاب الى غرفتها يجب ان تنتظر حتى المساء الى أن يعود أولندورف الى بيته وشكرت القطط لقيامها بكل تلك الضجة وفتشت فى صندوق القمامة واخذت منها بعض المجلات والجرائد القديمة .

(٣٢)

كان «نيل» يعرف أن شارون تتألم وانها لم تضحك عليه عندما قالت له انها وقعت ، ولا ريب أن الرجل دفعها، اراد أن يتكلم ولكن الكمامة كانت مشدودة فوق فمه بحيث لم يستطع كانت مشدودة أكثر من ذى قبل . اراد أن يقول لشارون إنه يجدها شجاعة لأنها حاولت أن تهاجم الرجل كان «نيل» قد خشى ان يهاجمه

عندما آذى أمه، ولكن حتى شارون لم تكن من القوة لكى تتغلب عليه .

قالت شارون انها حاولت ان تأخذ مسدس الرجل. كانت قد قالت له : لا تخف اذا سمعتنى أقول له اننى سأتركك فأنا لن اتركك ابدا .

ولكن إذا استطعت أن آخذ المسدس، فقد نجبره على إخراجنا.

لقد اخطأنا معا ونحن الوحيدان اللذان نستطيع انقاذ رونالد تومبسون .

بدا صوت شارون مبحوحا وهى تتكلم مثله . لكنه افلح ان يقول لها ان ساندى أخبره انه كان يجب ان يدافع عن امه ، وانه يحلم بذلك اليوم، وأن ساندى اخبره ان آل لوفتس سيصطحبونه معهم الى فلوريدا وأن الاطفال يسألونه ان كان يريد ان يعدم رونالد تومبسون على الكرسى الكهربائى .

وحتى وهو يجد مشقة فى التكلم من خلال الكمامة كان يتنفس بطريقة افضل . يفهم ماتريد شارن ان تقول له. سيقتلون رونالد تومبسون لاتهامه بقتل امه مع انه لم يفعل ذلك ، ولكن «نيل» قال انه هو ، ولم يشأ أن يكذب ، وهذا ما حاول ان يقوله لأبيه فى الرسالة .

والآن يجب أن يثابر على التنفس ببطء شديد من انفه وألا يبكى او يخاف لأن ذلك كان يمنعه من التنفس .

كان الجو بارداً وساقاه تؤلمانه جدا . ومع ذلك فان شيئا فيه توقف عن ايلامه فسوف تجد شارون وسيلة لاخراجهما والافلات من الرجل ويمكنهما أن يقولا كل شيء بخصوص رونالد ، أو ربما يأتى ابوه عندئذ للبحث عنهما . كان «نيل» واثقا من ذلك .

أحس بنفس شارون على خده. كان يجثم برأسه على عنقها يصدر منها أحيانا صوت غريب كأن شيئا يؤلمها . لكنه احس بأنه أحسن وهو جاثم فوق صدرها مثلما كان يحدث وهو صغير ويستيقظ فى منتصف الليل مع كابوس ويسرع الى

فراش امه وابيه. وكانت امه تضمه الى صدرها وتقول له في صوت نائم «لاتتحرك ثم ينام على صدرها » .

ستهتم شارون وابوه به وازداد التصاقا بشارون أراد أن يقول لها ألا لا تقلق من أجله . سيأخذ أنفاسا طويلة وبطيئة من أنفه . كانت ذراعاه تؤلمانه ، حاول ألا يفكر فيهما . كان يجب ان يفكر فى شىء بهيج. فى الغرفة فى الطابق العلوى وفى طاقم القطارات التى ستعطيها شارون له .

(٣٣)

- بحق السماء ياعزيزتى ، دعك من هذا الأمر .

نظر روجر عاجزا وهى تهز رأسها . كانت قنينة الحبوب فوق المائدة قد فرغت تقريبا ، وكانت مملوءة صباح اليوم .

- كلا سوف اتذكر . أعرف أننى سأتذكر اسمع ياروجر، فلنحاول.. سأقول لك كل مافعلت فى الشهر الماضى.. اننى تذكرت يوما بعد يوم، ولكن ربما قد نسيت شيئا ..

كان يعرف انه لا فائدة من الاحتجاج، فجذب مقعدا بجوار الفراش . كان يشعر بألم فى رأسه . كان الطبيب قد عاد وغضب وهو يرى حالة الثورة التى تعيشها جليندا ، ولم يستطيعا أن يقولا له سبب شدة انفعالها هذا .

أراد الطبيب ان يعطيها حقنة، ولكن روجر يعرف أنها لن تغفر له ذلك أبدا وتذكر امتقاع وجهها وزرقة شفتيها ، اننا نبذل المستحيل يابيرى، فهى بين الحياة والموت. ومن المهم أن تبلغ اولادك .

ولكنها تغلبت على مرضها، وتوسل روجر : رحماك ياربى لو أنها تعرف فساعدها لكى تتذكر . إذا مات «نيل» وشارون وترى جليندا بعد ذلك انه كان فى مقدورها ان تتذكر فسوف تموت هى الأخرى .

بماذا يشعر ستيف فى هذه اللحظة بالذات ؟ سيتعين عليه ان يمضى الى نيويورك ومعه الفدية .

وأم رونالد تومبسون .. فيم تفكر ؟ هل تشعر بنفس الألم ؟.. نعم، بكل تأكيد .

ورونالد تومبسون ؟ لم يسع روجر اثناء المحاكمة أن يمنع نفسه من التفكير الى أى حد كان يشبه شيب ودوج وهما فى نفس السن كان ولداه طالبين وهما فى التاسعة عشرة فى جامعة ميتشيجان ، فهناك يجب أن يكون الاولاد وهم فى سن التاسعة عشرة وليس فى زنزانة محكوم عليه بالاعدام .

روجر... كان صوت جلنيدا هادئا بصورة رائعة.. ماذا لو أقمنا لوحة لكل يوم.. تسع ساعات او عشر ساعات.. شىء كهذا .. قد يساعدنا ذلك فى أن اتذكر مانسيت . هناك بلوكنوت فوق مكتبى .

جاءها بالبلوكنوت فقالت : حسنا . اننى متأكدة من أمس ومن يوم الأحد فدعنا لا نضيع دقيقة مع هذين اليومين .. ولنبدأ بيوم السبت .

(٣٤)

– أليست هناك أية مشاكل يا سيد بيترسون ؟ هل أنت واثق ان كل شىء على مايرام؟

كان هوج وستيف فى المدخل ، وكان ستيف يمسك فى يده بالحقيبة الثقيلة المحتوية على النقود .

– أعتقد ذلك .

كان صوت ستيف هادئا تبدد التعب خلال الساعات الاخيرة وخدر شديد هدأ الألم والقلق ، وأحس بأنه جدير بأن يفكر فى وضوح .

– حسنا . كرر مرة أخرى .

كشف هوج الاعراض عند ستيف كان فى آخر المطاف ، شديد الاضطراب

دون شك ، ولكن بلبلته قصة الكاسيت وتقليد صوت زوجته . وقد صدق الشاب المسكين كل الصدق انها هى ... ماهذه الطريقة الغريبة والملتوية التى تربط الاختطاف بموت نينا . وكان هوج قد كشف نقطتين أخريين : طلب شارون من ستيف ان يغفر لها وقول «نيل» ان شارون تعنى به .. أليس هذا دليلا على انها قصة مدبرة ؟

– ولكن أتراها قصة مدبرة حقا ؟

ربما يتمكن جون اوينز من مساعدتهما . وجده حيث يجب ان ينضم هوج اليه فى القيادة العامة للمباحث الفيدراليه بنيويورك

وكرر ستيف التعليمات التى صدرت اليه : سأمضى مباشرة الى كشك التليفون بالشارع التاسع والخمسين ، واذا وصلت مبكرا فسأنتظر فى العربة . وقبل الثانية بقليل سأخرج الى الكشك ، وأرجو بعد ذلك أن يحدث اتصال مباشر واسلم الحقيبة . وبعد ان افارقه امضى الى المباحث الفيدرالية وانتظرك . هناك ، لإخراج الكاميرات من العربة وتحميض الأفلام .

– هو ذلك . سنتعقبك عن بعد ، وسيطلعنا جهاز الارسال على تحركاتك وأحد رجالنا ينتظرك سيتبعك فى الطريق السريع لكى يتأكد انك لن تتعطل ولن تتأخر ياسيد بيترسون .

ومد هوج يده إليه وقال · اتمنى لك التوفيق .

التوفيق ! استغرب ستيف الكلمة كما لو انه يسمعها لأول مرة وقال بل إننى أفكر بالأحرى فى لعنة ويكسفورد .. هل تعرفها ؟

– لاآظن

– لا أتذكرها تماما . ولكنها كالتالى تقريبا : فليبن الثعلب وجاره فى بيتك وليختف النور من عينيك ولا ترى أبدا من تحب ، وليكن احلى شراب لك أمر

كئوس الاحزان .. ليس هذا كل شيء ولكنه موجز له تقريبا . وينطبق على مانحن فيه من ظروف ، أليس كذلك ؟

ابتعد ستيف بدون ان ينتظر الرد . ورأى هوج سيارته تخرج من الطرقة فليكن الله في عون هذا المسكين ستيف . وهز رأسه ليطرد احساسا بالشؤم وارتدى معطفه . لم تكن في الطرقة ولا عربة من سيارات المباحث الفيدرالية كان جميع رجال الشرطة في الغابة الشاسعة التي تحيط ببيت ستيف . وركنوا سياراتهم في الطريق الذي خطط عندما اقيمت المجاري ، وكانت غير ظاهرة للعيان .

ربما يهتدي جون أوينز إلى شيء من كاسيت المختطف ، فهو شرطي قديم بالمباحث الفيدرالية ، فقد بصره منذ عشرين سنة ، وقوى سمعه بطريقة دقيقة بحيث كان يستطيع تفسير خلفية التسجيلات بدقة مدهشة ، وكانوا يلجأون اليه دائما كلما يأتيهم مثل هذا الدليل ، ثم يخضع الكاسيت بعد ذلك ، كما هي العادة لتجارب المعمل ، ولكن ذلك يقتضي اياما .

وكان هوج قد سأل ستيف عن نينا دون ابداء أي سبب.. كانت من اسرة بورجوازية كبيرة من فيلادلفيا ، نشأت في مدرسة داخلية بسويسرا هي كلية برين ماور ، ويقضي ابواها كل وقتهما في املاكهما بمونت كارلو . وتذكر هوج انه التقى بهما مرة في جنازة ابنتهما ... اقبلا بالطائرة لحضور الجنازة ولم يخاطبا ستيف بكلمة واحدة .. زوجان غبيان باردان ولكن هذه المعلومات ستكفي اوينز لكي يعرف اذا كان الصوت هو صوت نينا حقا . ولم يكن هوج يشك في النهاية .

عبر الطريق السريع الذي يكسوه الرمل ، ورغم ان الثلج لايزال يسقط فقد كان ستيف يقود بسهولة عما يتوقع . خشي ان يؤجل المختطف موعده اذا كان الطريق محفوفا بالخطر . ولكنه كان واثقا الآن من أنه سيلتقي به بطريقة او بأخرى .

تساءل لماذا سأله هوج عن ماضى نينا . لم يطلب الا بضع معلومات اساسية. في اية كلية تلقت دروسها يا سيد بيترسون ؟ واين نشأت ؟ .. فى كلية «برين ماور» التقيا وهما طالبان .. وكان ذلك فى مدينة برنستاون ، وكان حبا من اول نظرة ، وهو أمر غريب ولكنه حقيقى .

صدمهما ستيف ، فقد كانا يريدان لابنتهما زوجا من وسطهما ... رجلا من اسرة كبيرة غنية . متخرجا فى كلية خاصة وليس طالبا فقيرا يقوم بالخدمة فى احدى حانات ناسو لكى يسدد رسوم دراسته ، متخرجا فى مدرسة كريستوفر كولومبس فى برونكس رباه ! لقد احتدما عندما كانت نينا تخرج مع ستيف وقال لنينا : كيف حدث ان تكونى ابنتهما ، كانت غريبة الاطوار وفائقة الذكاء وبسيطة وتزوجا بعد حصولهما على شهادتيهما ثم رحل لأداء الخدمة العسكرية وارسلوه الى فيتنام . ولم ير احدهما الآخر طوال سنتين ، وانتهى بأن حصل على تصريح ومضت للقائه فى هاواى ماكان اجملها وهى تهبط درجات الطائرة وتسرع بين ذراعيه .

وما أن سرح من الجيش حتى حصل على الدكتوراه في الصحافة من كولومبيا ، ثم التحق بجريدة التايم واقاما فى كونكتيكت ، وانتظرت «نيل» .

اشترى لها سيارة بعد مولد « نيل » وكأنه يقدم لها سيارة رولز ، وكان ابوها هو الذى لديه سيارة رولز بالطبع .

باع سيارة نينا بعد الجنازة بأسبوع . لم يعد يحتمل رؤيتها بجوار سيارته بالخارج . وفى الليلة التى وجدها فيها ميتة اراد ان يفحص السيارة « استهتارك سيقتلك » ولكن الاطار كان قد اصلح وركب فى العجلة الأمامية .. وكانت العجلة الاحتياطية فى الصندوق اذا لم تكن قد اهتمت بتغيير الاطار فى ذلك اليوم فان

معنى ذلك يكون انها لم تعلق اهمية كبيرة على استيائه . وهتف يقول : نينا ... نينا ... سامحيني .

اعادت اليه شارون طعم الحياة ، فبفضلها تبدد الضنى والألم شيئا فشيئا ، كما يذوب الجليد في الربيع . وكانت الاسابيع الستة الاخيرة حلوة جدا وآمن بالسعادة من جديد .

ومع ذلك ...

كان اول لقاء لهما في ذلك البرنامج التليفزيوني . وفي نهاية الحديث خرجا من الاستوديو، ووقفا يثرثران امام المبنى . لم يكن قد اهتم بعد موت نينا بأية امرأة حتى ولو من بعيد ، ولكنه في ذلك الصباح أحس برغبته في احتجاز شارون كانوا ينتظرونه في اجتماع ولم يستطع أن يعرض عليها تناول الغداء معه واندفع يقول : اسمعي انني على عجل هذا الصباح ، ولكن مارأيك اذا تناولنا العشاء معا ؟

قبلت شارون بسرعة كما لو كانت تنتظر هذا العرض . وبدا له ان اليوم لايريد ان ينتهي قبل ان يطرق بابها . كان جدلهما حول عقوبة الاعدام اكثر ايديولوجية عنها شخصية . ولم تنقلب ضده الا عندما ادركت انها لم تعد تستطيع انقاذ رونالد تومبسون .

انه ينطلق الان في طريق كروس كاونتي السريع . وكانت يداه تقودان وحدهما وتختاران الطريق الذي يجب اتباعه دون وعي منه .

شارون .. كان يطيب له أن يتحدث معها وهما يتناولان العشاء وأثناء كأس أخيرة في بيتها كانت تفهم المشاكل التي يتعرض لها اصدار مجلة جديدة .. الصراع للحصول على الاعلانات ومضاعفة الانتشار ، وكان يمزح ويقول انه موضوع حديث يصلح فوق الوسادة .

كان قد ترك التايم وأصدر مجلة « الحوادث » قبيل شهور من موت نينا ، انها ضربة حظ . كان يكسب جيدا في التايم ، لكن الامر بالنسبة له مسألة كرامة .

سيتعاون في خلق مجلة جديدة في البلد وسيغدو ثريا ، فهو حجة في شئون رئاسة التحرير ، وسيثبت جدارته لوالد نينا ويجبره على ان يزدرد كلماته .

عتب عليه والدا نينا موتها .

– لو أنها أقامت في بيت كما يجب أن يكون .. بيت عليه حراسة قوية وبه الكفاية من الخدم لما حدث لها شيء . أرادا ان يأخذا نيل معهما الى اوربا ... «نيل» مع هذين الاثنين .

« نيل » الصغير المسكين . ماأشبه الأب بالابن .. ماتت ام ستيف عندما كان في الثالثة من عمره . لم يتذكرها ، ولم يتزوج أبوه مرة اخرى . وكانت هذه غلطة ، فقد شب ستيف وكبر من غير ام ... وتذكر ... كان في السابعة من عمره واقبلت مدرسة اخرى غير مدرستهم وجعلتهم يرسمون بطاقات لعيد الأم .

وفي آخر النهار رأت ان ستيف لم يرسم شيئا في بطاقته فقالت له لماذا لم ترسم شيئا . ان امك سيسعدها ان تتلقى بطاقتك يوم الأحد .

مزق البطاقة وهرب من الفصل .

لم يشأ أن يحدث هذا لـ «نيل» أراد له ان يعيش في بيت سعيد .. بيت به اخوة وأخوات . لم يشأ ان يعيش كأبيه الذى بقى وحيدا طوال حياته ، لا شاغل له الا ستيف ويفخر في مكتب البريد بأن له ابناً في مدرسة برنستاون .

رجل وحيد في بيت منعزل ، وذات صباح لم يستيقظ . واذا لم يروه في مكتبه مضوا الى بيته ، واقبلوا للبحث عن ستيف في الفصل .

ولعل هذا هو السبب في اتخاذه موقفه من حكم الاعدام هذه السنوات الأخيرة ، لأنه يعرف كيف يعيش المسنون والفقراء ، وكيف هم محرومون ، لأنه كان يشعر بالمرض لمجرد فكرة ان أحدهم يمكن ان يقتله المجرمون بوحشية .

كانت الحقيبة على المقعد الامامى بجواره . اكد له هوج ان من المستحيل كشف جهاز الارسال . وكان مسرورا لأنه تركهم يجهزون سيارته .

وفى الساعة الواحدة والنصف خرج ستيف من دائرة وست سايد الى الشارع السادس والخمسين وركن سيارته أمام كشك التليفون خرج من السيارة وانتظر امام الكشك ، غير مكترث بالرطوبة ولا بالهواء البارد .

صلصل الجرس فى الثانية تماما . وأشار له نفس الهمس المبحوح ان يمضى على الفور الى التليفون العمومى بالشارع السادس والتسعين على ناحية شارع لكستيمون .

وفى الثانية و ١٥ دقيقة رن جرس هذا الأخير وتلقى ستيف الأمر بان يجتاز جسر تريبورو وينطلق فى الطريق السريع بجراند سنترال نحو باب الخروج بحى بروكلين كوينز وان ينطلق حتى شارع روزفلت وينعطف الى اليسار ويتوقف عند أول مبنى وأن يطفىء الأنوار الكاشفة ، وينتظر : « لاتنس النقود . وتعال وحدك .

كتب ستيف التعليمات واعادها وهو محموم . أنهى المختطف المكالمة .

وفى الثانية و٣٥ دقيقة خرج من بروكلين كوينز الى شارع روزفلت ، وكانت هناك سيارة ليموزين مركونة وسط البيوت فى الناحية الأخرى من الشارع، وفيما هو يتجاوزها ادار المحرك فى بطء ، على أمل أن تتمكن الكاميرات الخفية من كشف طراز السيارة ولوحتها المعدنية ثم توقف بطول الرصيف وانتظر .

كان الشارع مظلما ، والقضبان والسلاسل تحمى ابواب البيوت ونوافذ المحلات القديمة والخط الحديدى الجوى يخفى انوار الشارع والثلج يعوق بقية الرؤية .

– هل يسمح جهاز الارسال لرجال المباحث الفيدرالية باتباع اثره . ولكن اذا توقف عن العمل . انه لم يلحظ آية سيارة خلفه ، لكنه تذكر أنهم قالوا إنهم لايريدون البقاء قريبا جدا .

دق بعضهم على باب السائق فأدار ستيف رأسه وحلقه جاف .

وأشارت له يد مرتدية قفازا أن يخفض الزجاج فأدار مفتاح الاتصال وضغط على مفتاح الزجاج الكهربائى .

– لاتنظر إلىّ بابيترسون .

ولكنه كان قد رأى معطفا بنياً ورأسا يغطيه جورب ، ووقع شيء على ركبتيه . كيس كبير من القماش .. كيس أزرق ، وأحس بتوتر فى معدته ، فان الرجل لم يكن فى نيته أن يطلب منه الحقيبة وبها جهاز الارسال .

– افتح الحقيبة وضع النقود فى الكيس .. أسرع .

حاول ستيف ان يكسب الوقت : وكيف أعرف إن كنت سأرى « نيل » وشارون سالمين معافين ؟

– املأ الكيس . كان بالصوت رنة حادة تدل على أن الرجل بالغ العصبية ، فاذا ارتاع وهرب بالنقود .. فإنه كان جديرا بأن يقتل « نيل » وشارون .

اخذ ستيف رزم الاوراق المالية من الحقيبة ووضعها فى الكيس .

– أغلقه .

شد ستيف على الحبل وعقد العقدة.

– ناولنى إياه .

نظر ستيف امامه : وابنى وشارون ؟

دخلت يدان ترتديان قفازين من النافذة وأمسكتا بالكيس . القفازان حاول ان يتبينهما .. متوتران .. تقليد من الجلد الرخيص غامق اللون .. مقاس كبير . كانت حافة المعطف بالية وقال الصوت ، مسرعا ومضطربا :

– اسمع يابيترسون ، لاتنصرف قبل ربع ساعة . تذكر .. ربع ساعة . اذا لم

يكن هناك من يتبعنى ، واذا كانت النقود كاملة فسوف تعرف اين تجد نيل وشارون فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم .

الحادية عشرة والنصف .. وقت اعدام رونالد تومبسون بالذات . انفجر ستيف:

هل لك علاقة بموت زوجتى ؟

لم يسمع ردا . وانتظر وادار رأسه فى حرص . كان الرجل قد هرب ، وانطلقت سيارة فى الناحية الاخرى من الشارع .

كانت الساعة تشير الى الثانية و ٣٨ دقيقة . لم يدم الموعد اكثر من ثلاث دقائق . هل هناك من يراقبه ؟ هل هناك رجل على سطح بيت على استعداد للاشارة اذا تحرك ؟ لن تتمكن المباحث الفيدرالية ان تعرف الآن اين تمضى النقود . واذا هو انصرف مبكرا ..

كلا :

دار ستيف نصف دورة فى الساعة الثانية و ٥٢دقيقة ، وانطلق نحو مانهاتن . وفى الثالثة وعشر دقائق كان فى الادارة العامة للمباحث الفيدرالية، واسرع رجال شرطة قساة الوجوه الى سيارته وراحوا يفكون الكشافات وسمع هوج وهو مقطب الوجه تفسيرات ستيف وهما يصعدان الى الطابق الثالث، وهناك قدموا له رجلا ابيض الشعر لا تخفى نظارته ذكاءه. وقال هوج :

– لقد فحص جون الكاسيت وقال انه نظرا إلى نوع الصوت وبعض الصدى، فان «نيل» وشارون موجودان فى غرفة باردة وشاغرة تقريب تتكون من ثلاثة امتار عرضا وسبعة امتار طولا قد تكون قبو محطة بضائع ، فهناك صوت قريب ومستمر لقطارات تدخل وتنطلق .

كان ستيف مشدوها. واستطرد الضرير. استطيع ان اكون اكثر دقة فيما بعد

وليس هناك سر فى ذلك، اذ يكفى ان نستمع بنفس الاتساع الذى نستخدمه فى دراسة عينة تحت الميكروسكوب .

غرفة باردة، شاغرة تقريبا، محطة بضائع .. ألقى ستيف نظرة اتهام إلى هوج وقال : ما قولك عن نظريتك التى تقوم على أساس أن شارون دبرت كل شىء ؟ .

اعترف هوج ببساطة ؟ لا أدرى .

قال جون اوينز : يا سيد بيترسون ، بخصوص الصوت الأخير فى الكاسيت وبدا انه يتردد اتكون اللغة الفرنسية اللغة الاصلية لزوجتك بدلا من الانجليزية ؟ .. كلا كلا بالتأكيد لقد تربت فى فلادليفيا قبل أن تمضى إلى مدرسة داخلية وهى فى العاشرة من عمرها. لماذا ؟

– هناك لهجة فى هذا الصوت تدل الخبير على أن الانجليزية ليست لغتها الاصلية .

– لحظة .. قالت لى نينا انه كان لديها مربية فرنسية ، وانها وهى صغيرة كانت تجيد الفرنسية عن الانجليزية .

– هذا ما كنت اقول بالذات هذا الصوت اذن ليس تقليدا ولا زيفا انك كنت على حق حين تعرفت على صوت زوجتك .

قال هوج : حسنا لقد أخطأت فى هذه النقطة . ولكن جون يقول ان العبارة الأخيرة قد أضيفت الى الكاسيت بعد تسجيل صوتى شارون ونيل. فكر ياسيد بيترسون ، ان الذى دبر هذه المسألة يعرف الكثير عنك وعن حياتك الخاصة.

ألم تشترك آبدا فى سهرة عند اناس يهوون السينما حيث استطاع احدهم أن يسجل أقوال زوجتك ويستخلص منها هذه الكلمات بالذات ؟

لم يستطع ستيف ان يتذكر .. وقطب حاجبيه.. نادى الجولف.. عندما جددوه

واعادوا ديكوراته منذ اربع سنوات اخرجوا فيلما لحفلة خيرية، وكانت نينا الراوية، وكانت تمضي من غرفة إلى أخرى تشرح ماحققوه.

قال هوج : أخيرا اننا نتقدم.. أيمكن أن تكون قد نطقت بهذه الكلمات في نص من هذا الفيلم ؟

– هذا ممكن .

دق جرس التليفون ، واسرع هوج اليه وذكر اسمه واصغى فى اهتمام ثم قال: حسنا استمر في ذلك .

وأعاد السماعة فجأة وبدا كقناص ينظر الى أثر جديد: بدأت الأمور تتضح ياسيد بيترسون لقد التقطت صورة واضحة للسيارة ولوحتها المعدنية ونحن نبحث عنها.

انه أول أمل ضعيف يقدمونه اليه . لماذا اذن هذه العقدة في حلقه والتي تكاد تخنقه . كان الأمر يبدو سهلا أكثر من اللازم. كان لديه استشعار بأن ذلك لن يفلح .

مد جون اوينز يده في اتجاه ستيف وقال : ياسيد بيترسون ، مجرد سؤال. لدى احساس بأن الامر يتعلق بزوجتك. انها تتكلم وهي تفتح بابا هل تعرف مثلا بابا يصدر منه صرير وهو ينفتح هكذا ؟

تبادل هوج وستيف النظر، وقال ستيف مبلبلا: هذه مزحة تأخر الوقت على مثل هذه الملاحظة ..

ورد هوج نيابة عنه : نعم ياجون .. هذا هو صوت باب مطبخ السيد بيترسون بالذات عندما ينفتح .

(٣٥)

غادر آرتي «ميل فيرن» وهو يشعر بقلق أصم ، مبددا شعور اليقين الذى أحس به حتى ذلك الوقت .

كان يأمل ان يلتقي ببيل لوفتس فى البار، ولم يكن من العسير عليه أن يجعله يتكلم .. اوه الصغير نيل ؟ أين ذهب ؟ وكيف حال بيترسون ؟ هل بقى وحده ؟ .

كان قد افترض ان بيترسون لن يكشف لآل لوفتس اختفاء «نيل» وشارون ، وافترض ايضا أن بيترسون كان يعرف ان آل لوفتس يعجزون عن الاحتفاظ بالاسرار .

ومعنى عدم وجود بيل اذن ان بيترسون ابلغ الشرطة.. كلا ، ليس الشرطة وانما المباحث الفيدرالية .

والرجل الذى زعم انه بيتر ليرنر والذى ألقى كل تلك الاسئلة كان عميلا للمباحث الفيدرالية وان آرتى ليقسم على ذلك .

اطلق السيارة الخضراء الداكنة فى طريق جنوب ميريت السريع وبلل القلق جبينه وابطيه ويديه بالعرق.

توارت اثنتا عشرة سنة كانوا يشددون الضغط عليه فى قيادة المباحث الفيدرالية بمانهاتن. لقد رآك بائع الجرائد يا آرتى وأنت تمضى مع الفتاة ، فأين ذهبت بها ؟

- اوصلتها الى سيارة اجرة . كانت تقول انها على موعد مع شاب .

- أى شاب .

- وأنى لى أن أعرف لقد حملت حقيبتها وهذا كل شىء.

لم يستطيعوا اثبات اى شىء، ولكنهم راحوا يبحثون.. والفتيات الأخريات يا آرتى .. ؟ تأمل هذه الصور انك تتسكع دائما حول موقف الاتوبيسات . كم فتاة حملت حقائبهن ؟

- لا أفهم ماتعنيه .

كانوا سيكشفون الحقيقة، واصبح الأمر خطرا، فغادر نيويورك واقام فى

الكونكتيكت ، ووجد عملا فى احدى محطات الخدمة ومنذ ست سنوات اخذ الجراج فى كارلى .

الاريزونا .. كانت غلطة وأى غلطة ! لماذا قال ان روك ايلاند ليست الاريزونا ؟ إن الرجل الذى يدعو نفسه بيت ليرنر لم يلحظ ذلك ولكنها كانت غلطة .

ليس لديهم اى شىء ضده، ما لم ينبشوا الماضى ومالم يعودوا الى الوقت الذى استجوبوه فيه عن فتاة تكساس. قال لها تعالى معى الى القرية لدى اصدقاء فنانون كثيرون هناك سيتخذون منك موديلا .

ولكنهم لم يجدوا اى دليل ، شأنهم فى ذلك اليوم لا شىء .. لم يأت بأية غلطة. وكان واثقا من ذلك .

سألته : اتقيم فى هذا الجحر ؟

كان طريق هتشنسون السريع يلى طريق ميريت وتبع علامات الطريق التى تشير الى جسر «ثروجس نك » كانت لديه خطة رائعة كان من الخطر سرقة سيارة، فهناك مجازفة ان يعود صاحبها بعد عشر دقائق وان يبلغ الشرطة قبل أن يقطع عشرين كيلو مترا، لا يجب سرقة سيارة الا اذا كان واثقا ان صاحبها ليس فى الجوار، وانه مضى الى السينما لمشاهدة فيلم قديم أو أنه مضى لكى يستقل طائرة .

كانت اشارات المرور تلمع فوق جسر «ثروجس نك» وكان الجو باردا والريح عاصفة ، ولكن كان كل شىء على مايرام وكان سائقا ماهرا وفى تلك الليلة لزم الرعاديد بيوتهم ، وهذا مايسهل عليه مهمته فيما بعد .

وفى الحادية عشرة وعشرين دقيقة دخل الموقف رقم ٥ بمطار لاجارديا ، وهو موقف له اسعار خاصة للانتظار الطويل .

اخذ تذكرة من الموزع وعبر الموقف فى بطء وهو حريص ان يبتعد عن انظار

الحارس الواقف امام باب الخروج وبجوار كشك تحصيل الرسوم. ووجد مكانا فى الممر رقم ٩ بين سيارتين وكانت سيارته بينهما صغيرة وغير ظاهرة للعيان .

واعتمد بظهره على المقعد وانتظر . مرت اربعون دقيقة. ودخلت سيارتان الموقف، احداهما لونها احمر فاقع والاخرى سيارة نقل صغيرة، وكل منها من السهل ان تستلفت اليها الانظار وسره ان سائق كل منهما تجاهل المكان الشاغر بجواره وركن كل منهما سيارته بعيدا، فى الممر الأخير، على اليسار .

ودخلت سيارة اخرى فى بطء سيارة بونتياك لونها ازرق غامق توقفت امامه بثلاثة صفوف . وانطفأت الكشافات وراقب سائقها وهو يخرج ويدور بالسيارة ويأخذ من الصندوق حقيقة كبيرة. كان هذا الرجل منطلقا الى رحلة تستغرق بعض الوقت .

استرخى فى مكانه ، وقمة رأسه فى مستوى الزجاج الامامى ورأى الرجل يغلق الصندوق ويحمل حقيبته ويمضى نحو موقف حافلة المطار ويستقلها ولم تلبث الحافلة ان ابتعدت نحو المطار .

وفى بطء وهدوء خرج من سيارته ، ولم يكن هناك اى ضوء من أى مصباح . وفى خطوات سريعة كان بجوار البونتياك ، وفتح المفتاح الثانى الذى جربه الباب وصعد الى السيارة .

كان الجو دافئا بداخلها. أدار المفتاح فدار المحرك بدون صوت وتحقق من أن الخزان مملوء الى ثلاثة ارباعه .

حسنا !!

لم يكن امامه الا أن ينتظر فسوف يشك الحارس اذا أعاد اليه تذكرة تمنحه حق الوقوف ساعتين . ولكن كان لديه كل الوقت وكان يريد أن يفكر ، واضطجع فى مقعده الى الخلف واطبق عينيه وحلقت صورة نينا امامه .

رآها كما كانت اول ليلة التقى فيها بها .

كان يجول فى الشوارع وهو مدرك أنه لا يجب ان يكون فى الخارج هكذا، بعد جان كارفولى والسيدة ويس بقليل ولكنه عجز عن البقاء فى بيته ورآها .

كانت سيارته الصغيرة مركونة بجانب الطريق رقم ٧، فى مكان هادىء منعزل ووجه نور كشافيه نحو المرأة ، الشعر أسمر واليدان رقيقتان تتخبطان مع الرافعة والعينان الكستنائيتان الوجلتان عندما رأته يقترب فى بطء ويركن سيارته بجوارها.

ولا شك انها تذكرت كل مايروونه عن جرائم قاتل الطريق السريع .

- هل يمكنني ان اساعدك ياسيدتى ؟ ان الامر ليس سهلا عليك، وهذا عملى انا فأنا صاحب جراج .

اختفى القلق وقالت، هذا رائع لا أخفى عليك اننى كنت قلقة بعض الشىء فهذا ليس مكانا لكى تنفجر فيه احدى العجلات .

لم يلق اليها إلا نظرة واحدة. لم يهتم الا بالعربة كما لو أنه لا وجود لها هى، وكما لو أنها طفلة فى التاسعة من عمرها : انك دست على قطعة من الزجاج ، والامر ليس خطيرا. وبسرعة وبدون جهد استبدل العجلة فى اقل من ثلاث دقائق ولم تكن هناك سيارة فى الانحاء .. ووقف .

وقالت وهى تنحنى قليلا إلى الأمام ومحفظتها مفتوحة : بكم ادين لك ؟ وراح صدرها يرتفع وينخفض تحت المعطف الفرو. كان كل ما فيها يدل على انها من وسط راق ، ولم تكن نضرة كجان كارفولى او عجوزا ساحرة مهانة كمدام ويس . وانما امرأة جميلة... ممتنة جدا. ومد يده ينوى ان يلمس صدرها .

سقط النور اولا على الشجرة فى الناحية الاخرى من الطريق وتأرجح. وأضاءهما معا كشافا سيارة شرطة وعندئذ اسرع يقول :

– ثلاثة دولارات لا ستبدال العجلة. واستطيع ان اصلح لك الاطار والكاوتشوك المشقوق اذا اردت.. وكان قد وضع يده في جيبه وقال اسمى آرتي تاجيرت وعندى جراج في كارلى في شارع مونرو على بعد كيلو مترين من بار «ميل تافرن» تقدمت عربة الشرطة واقتربت منهما. وهبط منها ضابط وقال لها :

– هل الأمر على مايرام ياسيدتى ؟

وألقى الى آرتى نظرة غريبة متشككة .

– اوه ، على اتم مايرام ياسيدى الشرطى، من حسن الحظ ان مستر تاجيرت يقيم على مقربة من بيتى ، وكان يمر في نفس اللحظة التى انفجر فيها اطار العربة .

كانت تتكلم كما لو كانت تعرفه، لحسن حظه هو. وقال الشرطى: من حسن حظك أنك وقعت على صديق . ليس من الأمان ابدا ان تتعطل سيارة امرأة وحيدة في مثل هذه الاوقات .

وصعد الشرطى الى سيارته ولكنه راح يراقبهما : هل تستطيع ان تصلح اطار العجلة ؟ انا نينا بيترسون ونقيم فى دريفتوودلين .

– بكل تأكيد وبكل سرور .

وصعد الى عربته فى غير اكتراث وبصورة طبيعية كما لو أن الأمر لم يتعلق الا بإصلاح تافه لا أهمية له ولم يبد أنه يريد ان يراها من جديد.

قرأ فى عينيها انها ندمت لوصول الشرطى غير المتوقع . ولكن كان لابد له ان ينصرف قبل ان يعود الشرطى ويفكر فى جان كارفولى والسيدة ويس وقبل ان يسأله : هل من عادتك ان تخف لمساعدة النساء الوحيدات ايها السيد ؟ .

وهكذا أسرع بالابتعاد وفى صباح اليوم التالى، فى نفس اللحظة التى فكر

فيها في الاتصال بها اتصلت هي به : إن زوجي ويخني لأنني انطلقت بالعجلة الاحتياطية. وقالت له بصوتها الدافيء والودود والمرح كما لو أنهما يشتركان في دعابة : متى استطيع الحصول على اطاري .

فكر مسرعا . كانت دريفتوودلين مكانا هادئا ، والبيوت فيه متباعدة بعضها عن بعض، واذا هي اقبلت لديه فلن تكون هناك اية وسيلة لكي يكون ودودا معها ، فإن ذلك قد يكون شديد الخطر. وقال كاذبا .

– يجب أن أخرج لقضاء بعض الأعمال سأحضره لك بعد الظهر في نحو الساعة الخامسة .

فإن الجو يبدأ في الاظلام في الساعة الخامسة وقالت :

– عظيم يجب أن أركب هذا الاطار اللعين قبل أن أمضي لأعود بزوجي في السادسة والنصف .

كان في حالة من الهياج في ذلك اليوم بحيث لم يستطع أن يركز. خرج لكي يحلق شعره واشترى قميصا جديدا وعاد الى بيته ولم يشعر بأية رغبة في العمل ، فأخذ دشا وأصغى الى بعض كاسيتاته وتحقق من أن في آلة التصوير فيلما، وشعر بالسرور وهو يفكر في تحميض الفيلم وتأمل الصور وهي تظهر في وعاء التحميض .

وفي الخامسة وخمس عشرة دقيقة مضى الى دريفتوودلين وطاف في الشارع لحظة قبل أن يصمم على الوقوف ، في الغابة بجوار البيت، إذا مادعت الحاجة إلى ..

سار في الغابة بجوار الشاطيء وتذكر هدير الماء على الساحل ، صوت ودي ملأه بإحساس متقد حتى في تلك الليلة الباردة .

كانت سيارة نينا واقفة خلف البيت . وكانت المفاتيح في عجلة القيادة، ورأى

المرأة من نافذة المطبخ تفرغ اكياس المؤن، وكان مصباح المطبخ يسطع وكانت نينا جميلة جدا في صديريتها الصوف الزرقاء وبنطلون ، والإيشارب معقود حول عنقها. اسرع بتركيب الاطار وهو يراقب وجود شخص آخر في البيت كان يعرف أنه سيمارس الحب معها . وانها تريده فإن طريقتها التي قالت بها ان زوجها غضب منها كانت توحي برغبتها في انها بحاجة الى رجل عطوف. وادار المسجل وبدأ يهمس فيه خطته لكي يسعد نينا بعد أن يكشف لها نواياه .

مضى نحو الباب وطرقه في هدوء ، فاندفعت وقد بدت عليها الدهشة، لكنه مد اليها المفاتيح وهو يبتسم خلال اللوح الزجاجي. وفتحت له الباب على الفور بود ودعته بصوت اخاذ الى الدخول وهي تقول له كم هو كريم .

ثم سألته بعد ذلك بكم تدين له. فمد يده ، وكان يلبس قفازه بالطبع واطفأ نور المطبخ ووضع يديه على وجهها وقبلها وتمتم ..

– ادفعي لي بهذه الطريقة .

صفعته صفعة قوية وصاحت به وهي تقذف لكماتها : أخرج من هنا .. كأنه لم يتجمل من أجلها وكما لو أنه لم يقدم لها خدمة .

احتدم غيظا ، ما كان لها ان تستثيره هكذا . ومد يده وبه رغبة ان يؤذيها وأن ينتزع منها شرها. اراد ان يمسك ايشاربها ولكنها افلتت وراحت تجري نحو الصالون . لم تنطق بكلمة ولم تستنجد بأحد، عرف السبب فيما بعد ، فهي لم تشأ ان يعرف ان الصبي بالبيت ولكنها حاولت ان تمسك بمحرك النار من المدفأة .

راح يضحك وحدثها بصوت خافت قائلا ماسيفعله بها واخذ يديها بين يديه، واعاد المحرك مكانه ثم امسك بالإيشارب وراح يشده حول عنقها ويشدد الضغط في حين كانت تقرقر وتختنق ويداها ترتخيان كيدى الدمية. ازدادت عيناها

الواسعتان اتساعا وقد خبا منهما النور وامتلأتا اتهاما ووجهها يتحول الى اللون الازرق .

توقفت القرقرة . فاحتجزها بيد والتقط لها صورة وهو يتمنى ان يرى عينيها وهما تنطبقان عندما سمع خلفه قرقرة وصوت حشرجة .

دار نصف دورة. كان الصبى واقفا بالباب يحدق فيه بعينيه الكستنائيتين الواسعتين والمتقدتين. كان يختنق تماما كما اختنقت هى .

كأنه لم يقتلها كأنها دخلت فى جسد الصبى وانها ستعاقبه، وكما لو أنها ترتبط به واعدة بأن تنتقم .

تقدم نحو الصبى يريد أن يوقف قرقرته ويطبق عينيه ومد يديه وانحنى. هنا دق جرس الباب .

كان لابد ان يبادر بالفرار فاجتاز الباب بوثبة واحدة، واندفع نحو المطبخ وتسلل من الباب الخلفى . عبر الغابة ووثب الى سيارته وماهى الا دقائق حتى كان فى جراجه .

ومضى الى بار ميل تافرن وتناول شطيرة وزجاجة بيرة، وكان هناك عندما انتشر نبأ الجريمة فى المدينة .

استولى عليه الخوف . لو تعرف الشرطى على نينا فى صورة الجريدة ولو قال لادارة الشرطة : غريب ، لقد رأيتها فى الطريق الليلة الماضية، ورجل يدعى تاجيرت كان يصلح لها عجلتها .

قرر ان يغادر المدينة ولكنه، وهو يعد حقائبه سمع فى الاخبار ان شاهدا من الجيران اصطدم بشاب اثناء هروبه من بيت بيترسون وانه تعرف عليه بطريقة قاطعة وانه هو رونالد تومبسون. شاب من أهالى المنطقة فى السابعة عشرة من عمره. رؤى وهو يتكلم مع السيدة بيترسون قبل ارتكاب الجريمة ببضع ساعات .

وضع آلة التصوير وجهاز التسجيل ونيجاتيف الفيلم والكاسيتات فى علبة معدنية ودفنها بجوار احدى الاشجار، خلف الجراج وحدثه شىء أن ينتظره، ثم القى القبض على تومبسون وتعرف عليه الصبى .

انه الحظ.. الحظ العجيب كان الصالون مظلما ولا ريب أن الصبى لم ير وجهه وأن روناك ومبسون دخل البيت بعد ذلك على الفور .

ومع ذلك ، اراد أن يقتل الصبى الذى اقترب منه. ولا ريب ان «نيل» اغمى عليه ولكنه قد يتذكر ذات يوم .

لاحقت هذه الفكرة احلام آرتى. وراحت العينان تطاردان لياليه .

كان يستيقظ احيانا وهو غارق فى عرقه ويرتعش متصورا ان العينين تحملقان فيه وان الهواء يصدر نفس صوت القرقرة .

لم يطارد الفتيات بعد ذلك ابدا .. واكتفى بالذهاب الى الحانة كل ليلة تقريبا، وتصادق مع الرواد خاصة بيل لوفتس، وكان بيل يتكلم عن نيل كثيرا .

حتى الشهر الأخير، حتى اللحظة التى أحس فيها بأنه لم يعد يسعه إلا أن يخرج الكاسيتات وان يستمع اليها من جديد .

فى تلك الليلة سمع فى هاتفه الفتاة كالاهان تقول إن إطارا انفجر فمضى للقائها. وبعد ذلك بأسبوعين عاد عندما سمع فى هاتفه اللاسلكى السيدة امبروز تقول إنها تائهة وانه لم يعد لديها وقود تقريبا .

وأرهقت شرطة فيرفيلد نفسها مرة أخرى فى البحث عن شخص يدعونه «القاتل بالهاتف اللاسلكى» وطمأن نفسه قائلا : انت لم تترك أى أثر لكنه بعد هاتين المرتين كان يحلم كل ليلة بنينا. كانت تتهمه ، ومنذ اسبوعين اقبل بيل مع الصبى فى السيارة ونظر نيل اليه نظرة متفحصة.

عرف فى ذلك اليوم أنه يجب أن يقتل «نيل» قبل أن يغادر كارلى، وعندما راح

لوفتس يروى قصة الوديعة التى أودعها ستيف باسم الصبى، اذ رأت زوجته كشف حساب البنك فوق مكتب بريستون، عرف ايضا كيف يجد النقود التى يحتاج اليها .

كان كلما فكر فى نينا ازدادت كراهيته لبيترسون، فقد استطاع ان يلمسها دون أن تصفعه. وكان لبيترسون وزنه فى عالم الصحافة ولديه أناس يأتمرون بأمره وله صديقة . سوف يلقنه درساً .

كانت الغرفة الصغيرة فى أسفل محطة جراند سنترال قد بقيت فى ركن من ذهنه ، فهى مكان يمكنه أن يختفى فيه إذا اقتضى الأمر ، أو لكى يحمل إليها فتاة لايمكن العثور عليها .

كان يتصور أنه يفجر محطة جراند سنترال عندما كان يشتغل فى تلك الغرفة، وكان يتصور الناس مرعوبين ومذعورين عندما تنفجر القنبلة وعندما يشعرون بأن الأرض تميد تحت أقدامهم ، والسقف ينهار فوقهم ، كل هؤلاء الناس الذين يتجاهلونه عندما يبدى نحوهم الود ، ويدفعونه بل ولايهتمون به ويندفعون فوق صحافهم التى ينظفها بعد ذلك من الشحوم والصلصة وآثار الزبد.

حدث كل شيء فى وقت واحد : خطة اوجست روميل تاجيرت .. خطة الثعلب.

لو أن شارون لا يجب أن تموت فحسب ، ولو أنها أحبته . ولكن فتيات اريزونا سيرتمين تحت قدميه فسوف يكون لديه الكثير من المال .

كانت فكرة طيبة أن يقتل شارون ونيل فى نفس الوقت الذى سيتم فيه تنفيذ الاعدام فى الشاب تومبسون لأنه ينفذ فيها حكم الاعدام هى أيضا ، وتومبسون يستحق الموت لأنه تدخل فى تلك الليلة .

وجميع هؤلاء الناس فى محطة جراند سنترال ، تحت أطنان من الأنقاض التى ستنهار فوقهم .. سيعرفون معنى وقوعهم فى الشرك .

وسيكون هو حرا .

وسوف ينتهى كل شىء قريب جداً .

كشر آرتى وهو يتحقق من الوقت الذى انقضى . كان الأمر هكذا دائما عندما يفكر فى نينا ، حان الوقت لكى يمضى إلى الغرفة .

انطلق بالبونتياك إلى كشك الرسوم وقدم التذكرة التى أخذها عند دخوله بسيارته وقال المحصل : ساعتان وعشرون دقيقة المبلغ المستحق دولاران ياسيدى.

خرج من المطار وتوقف أمام كشك تليفون فى شارع كوينز وفى الساعة الثانية تماما اتصل بالكشك ، وما ان رد بيترسون حتى وجهه إلى التليفون العمومى بالشارع السادس والتسعين .

كان جائعا ، لايزال أمامه خمس عشرة دقيقة .

تناول فنجانا من القهوة وبعض التوست فى مطعم ، وعيناه لا تفارقان ساعته وفى الثانية وخمس عشرة دقيقة اتصل بكشك الشارع السادس والتسعين وذكر لستيف فى ايجاز مكان الموعد .

وبدأ هنا أخطر ما فى العملية .

فى الساعة الثانية وخمس وعشرين دقيقة انطلق فى شارع روزفلت ، كانت الشوارع مقفرة ولم يكن هناك أى أثر لسيارة من سيارات الشرطة فى الأنحاء وإلا لرآها ، لقد أصبح استاذا فى التجوال دون أن ينتبه إليه أحد .

كان قد اختار فى الأسبوع الأخير شارع روزفلت مكانا للموعد لكى يعود إلى مطار لاجارديا ، ست دقائق بالضبط وكان ذلك يتيح له الوقت الكافى للتخلص من الشرطة إذا كان منهم من يتبع بيترسون .

كانت أعمدة الخط الهوائى التى تمتد بطول شارع روزفلت تحجب الرؤية بعض

الشيء ولايرى أحد مايدور في الناحية الأخرى من الشارع ، أو في آخر البيوت . كان ذلك هو المكان المثالي للموعد .

وفي الثانية و٣٥ دقيقة توقف في شارع روزفلت أمام دائرة بروكلين كوينز على مقربة من باب الدخول.

وفي الثانية و٣٦ دقيقة رأى كشاف سيارة قادمة من دائرة بروكلين كوينز من الطريق المضاد فغطى وجهه بجورب .

كانت سيارة بيترسون المركوري . خيل إليه أثناء لحظة أن بيترسون سيصطدم به ، فقد انحرفت السيارة نحوه ، لعله يلتقط صورة جيدة للبونتياك.

توقفت سيارة بيترسون أمامه في الناحية الأخرى من الشارع وازدرد ريقه في انفعال كبير .

يجب أن يسرع بالعمل .. أخذ الكيس الأزرق ، وكان قد قرأ في المجلات الفنية أنهم يضعون جهاز ارسال في حقائب الفدية . ولم يكن يريد أن يجازف بأية مخاطرة .

كانت ملامسته للكيس الفارغ الذى لن يلبث أن يمتلىء مطمئنة . فتح باب السيارة وعبر الشارع ، انه بحاجة الى ستين ثانية لكي يفرغ من الأمر ، دق على نافذة سيارة بيترسون واشار له ان يفتح الباب وبينما الزجاج ينخفض ألقى إلى الداخل نظرة سريعة ، كان بيترسون وحده فأعطاه الكيس .

ألقت أنوار الشارع الباهتة ظلالها على السيارة وبصوته المبحوح الذى تمرن عليه أمر بيترسون ألا ينظر إليه وأن يضع المال في الكيس .

لم يجادله بيترسون وراح يراقب بعينيه من خلف القناع الأنحاء وهو مرهف الأذن ، لم يكن هناك ما يدل على وجود أحد ، كان يجب على الشرطة أن تتبع بيترسون ولكنهم أرادوا التأكد من حدوث اللقاء.

نظر إلى بيترسون وهو يضع آخر رزمة من النقود فى الكيس ، وأمره أن يغلقه وأن يناوله له من النافذة . وازنها دون أن ينسى أن يتكلم بصوت خافت جدا محذرا بيترسون بأن ينتظر خمس عشرة دقيقة وقال له إنه يمكنه أن يسترد شارون و«نيل» فى الحادية عشرة والنصف.

ـ هل لك صلة بموت زوجتى ؟

اجفل أرتى من سؤال بيترسون . إلى أى مدى بدأوا يشكون فيه يجب أن يرحل ، تصبب عرقا وبللت قطرات كبيرة بدلته تحت المعطف ، رغم البرد القارس .

عبر الشارع وصعد إلى سيارته هل يجرؤ بيترسون ويتبعه .

كلا لقد بقى دون حراك فى السيارة الداكنة والصامتة .

ضغط الثعلب على دواسة البنزين وانطلق خارج دائرة بروكلين كوينز ، وبلغ طريق جراند سنترال واختلط بالسيارات المنطلقة نحو الشرق وخرج إلى مطار لاجارديا .

وفى الثانية و٤٦ دقيقة كان يأخذ تذكرة للموقف رقم «٥» .

وبعد تسعين ثانية كانت السيارة قد أخذت مكانها الصحيح الذى أخذها منه ، والفارق الوحيد المحسوس هو قليل من البنزين وأربعة وعشرين كيلو مترا زيادة فى العداد .

خرج من العربة وأغلقها فى عناية كبيرة ونقل الحقيبة إلى سيارته ، وافلتت منه أول زفرة ارتياح بعد أن جلس فى سيارته واهتم بحمل حقيبته .

أخيرا استطاع أن يفكر ، وجه شعاع مصباحه الجيبى داخل الحقيبة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة كئيبة وأخذ أول رزمة من الأوراق المالية وبدأ يعدها .

كان المبلغ كاملاً ، اثنين وثمانين الف دولار . تناول الحقيبة الفارغة وراح يرتب فيها الرزم . كانت هذه الحقيبة هي التي سيبقيها في يده في الطائرة .

وفي الساعة السابعة خرج من الموقف واختلط بسيل سيارات الصباح القادمة من الضواحي والتي تدخل مانهاتن ، وركن سيارته في جراج بليتمور ، وصعد إلى غرفته وأخذ دشاً وحلق ذقنه وطلب إفطاراً .

(٣٦)

كان من الواضح في الساعة الواحدة صباحا أن الأثر الوحيد لمعرفة رقم اللوحة المعدنية للسيارة التي استخدمها المختطف قد توقف .

وكانت خيبة أملهم الأولى هي العلم بأن السيارة ملك لهنري وايت ، نائب رئيس الشركة الدولية للأغذية بوايت بلينز .

ذهب رجال المباحث الفيدرالية إلى بيت وايت وأقاموا الحراسة حول المبنى ، ولكن البونتياك لم تكن في الجراج ، وبدا البيت مغلقا تماما ونوافذه مغلقة هي الأخرى . وكان النور الوحيد الذي ينبعث من خلال الستائر المسدلة نور مؤقتة الانارة بلا ريب .

اتصلوا برجل الأمن في شركة الأغذية ، واستدعى هذا الأخير رئيس الموظفين واتصل بدوره برئيس المنتجات بوايت ، وأجاب هذا الأخير بصوت متناوم أن وايت عاد مؤخرا من اقامة ثلاثة شهور بسويسرا ، المركز الرئيسي للشركة . وأنه تناول العشاء مع اثنين من مساعديه في مطعم باستور وأنه رحل مباشرة للانضمام إلى زوجته في أحد المنتجعات مع بعض أصدقائهما .

وفي الساعة الخامسة مضى هوج وستيف إلى كارلي وكان هوج يقود وستيف ينظر إلى الطريق الذي يمتد من وستشستر ويقترب من كونكتيكت . كانت هناك عربات قليلة ، وأغلب الناس يرقدون مع زوجاته وأولادهم تحت الأغطية الدافئة

والنوافذ لا تتسرب منها أية تيارات . فهل شارون ونيل في مكان بارد معرض للتيارات فى الساعة الحالية ؟

قال دهشا : لماذا أفكر في ذلك ؟ وتذكر أنه قرأ ذات مرة ان الناس الذين تعرضوا للنكبات ينزعجون في بادىء الأمر للمشاكل الصغيرة ، فهل شارون و«نيل» على قيد الحياة ؟ هذا ما ينبغى أن ينزعج من أجله . رباه ! كن فى عونهما وانقذهما ..

وراح يسأل هوج : ماذا تفعل بالبونتياك فى كل هذا ؟

أجابه هوج : سوف نكتشف أن سيارة وايت سرقت من المكان الذى ركنها فيه.

ـ وماذا ستفعل بعد ذلك ؟

ـ سننتظر .

ـ تنتظر ماذا ؟

ـ قد يتركهما ، لقد وعد بذلك ، ومبلغ الفدية معه .

ـ لقد أخفى آثاره بكل عناية ، وفكر فى كل شىء ولا أظنك تعتقد أنه يطلق سراح شخصين يمكنهما التعرف عليه .

ـ اعترف هوج قائلاً : كلا .

ـ اليس هناك ما تفعله اذن ؟

ـ اذا لم يف بوعده فيجب أن نفجر الموقف ونطلب مساعدة الوسطاء ، فربما عرف أحد أو سمع شيئا .

ـ وروناك تومبسون ؟

ـ حسنا .

ـ لنفرض أنه يقول الحقيقة ، ولنفرض أننا لن نعرف ذلك إلا بعد الحادية عشرة والنصف .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعني هل لنا الحق في أن نرفض أن «نيل وشارون» قد اختطفا فعلا ؟

ـ لا أعتقد أن هذا قد يؤثر على قرار المحافظ الخاص بتومبسون ، فلا شيء يثبت أن الأمر يتعلق باختطاف ولكن اذا خطر للسيدة جرين أن هذا هو الأمر فلن يكون لها من غرض إلا الفراغ من تنفيذ الحكم ، فقد تعرضت للانتقاد حتى الآن لأنها منحت تومبسون مهلتين لارجاء التنفيذ والأولاد في ولاية جورجيا يجلسون فوق الكرسي الكهربائي في الدقيقة المتوقعة تماما ، ولعله لايزال هناك تفسير بسيط يفسر حصول الثعلب على كاسيت بصوت زوجتك وهو تفسير لا دخل له بموتها .

نظر ستيف حوله .. كانا يخترقان جرينوتيش .. لقد رافقته شارون إلى حفلة ساهرة مع براد روبرتسون أثناء الإجازات . كانت ترتدى جونلة من المخمل الأسود وجاكيت من الديباج وكانت رائعة ، وقال له براد : اذا كان لديك أى احساس ياستيف فلابد ان ترتبط بهذه الفتاة .

ـ ألا تجازف الدعاية بترويع المختطف ؟

وكان يعرف الرد على الرغم من اضطراره إلى السؤال فقد قال له هوج فى صوت متهدج : أظن ذلك . فيم تفكر سيد بيترسون ؟

كان السؤال واضحا ومباشرا ، أحس ستيف بالجفاف في شفتيه وقال يحدث نفسه ، ليس هذا إلا استشعارا ولا علاقة له بالطبع ، واذا بدأت بهذا فلن أستطيع أن أتوقف ، وقد يكون هذا ثمن حياة نيل وشارون .

وتردد وهو ممتقع اللون وفى حالة يرثى لها ، كالغواص أمام الوثبة التى ستلقى به فى تيار لايمكن التحقق منه . وفكر فى رونالد تومبسون أثناء المحاكمة

ووجه الفتى المذعور والصلب : ليس أنا ، كانت ميتة عندما دخلت البيت ، سلوا الصبى .

- ما شعورك لو أنه كان ابنك ؟

وفكر .. انه ابنى الوحيد ياسيدة تومبسون .

واندفع يقول : هوج . تذكر ما قاله بوب كورنر . انه يفكر ان مقتل السيدات الأربع الأخريات مرتبط بمقتل نينا .

- سمعته . وقلت لك رأيى ، إنه يتشبث بكل ما يجده .

- وإذا قلت لك إن كورنر قد يكون على حق وان هناك علاقة ربما بين نينا والأخريات .

- ماذا تقول ؟

- تذكر أن كورنر قال إن الشيء الوحيد الذى لا يفهمه أن الأخريات كان لهن مشاكل مع سياراتهن وان نينا خنقت فى البيت وليس فى مكان ما بالطريق .

- استمر .

- فى الليلة التى سبقت الجريمة انفجر احد إطارات سيارة نينا ، وكان لدى اجتماع متأخر فى نيويورك ، ولم أصل إلى البيت إلا بعد منتصف الليل . كانت نائمة ولكن عندما أوصلتنى إلى المحطة فى صباح اليوم التالى لاحظت أنها تنطلق بالعجلة الاحتياطية .

- استمر .

- تذكر الأوراق التى تركها كورنر . كان تومبسون يمزح مع نينا عن فكرة ذكرتها بخصوص أكياس المؤن التى دخلت فى صندوق السيارة .

- ماذا تعنى ؟

- كان صندوق سيارتها صغيرا ، وإذا كان هناك زيادة فهذا لا يعنى إلا شيئا

واحدا وهو أن العجلة الاحتياطية لم تكن موجودة بالصندوق ، كانت الساعة قد بلغت الرابعة ويجب أن تعود إلى البيت وكانت دورا تقوم بالخدمة فى ذلك اليوم وقالت ان نينا عادت قبيل الخامسة بقليل .

ـ اذن فقد عادت إلى البيت مباشرة مع نيل ؟

ـ نعم . وقد صعد ليلهو بقطاراته . وافرغت نينا العربة . هل تتذكر كل تلك الأكياس فوق المائدة . نحن نعرف أنها ماتت بعد ذلك بدقائق ، وقد ذهبت لرؤية سيارتها فى تلك الليلة وكانت العجلة الاحتياطية فى الصندوق والإطار السليم كان بالعجلة الأمامية .

ـ هل تعنى أن أحدا أحضر الاطار وركبه ثم قتل نينا بعد ذلك ؟

ـ ومتى أمكنه تركيب الإطار اذا لم يكن فى تلك اللحظة واذا كان الأمر كذلك فان تومبسون برىء بل لعله كان السبب فى فرار القاتل عندما دق جرس الباب ، حاول بالله أن تعلم ان كان يتذكر أنه رأى العجلة فى الصندوق عندما أفرغ الأكياس ، كان يمكننى أن أدرك أن لهذا الاطار أهمية عندما تحققت منه فى تلك الليلة ، ولكننى غضبت من نفسى لأننى قسوت على نينا فى آخر مرة رأيتها فيها .

ضغط هوج بكل قوته على جهاز السرعة فارتفع العداد إلى مائة وعشرة ثم إلى مائة وثلاثين وأحدثت السيارة صريرا فى الطرقة فى اللحظة التى بزغت فيها أول خيوط الفجر وشقت سواد الليل . واندفع هوج إلى التليفون وقبل أن يخلع معطفه اتصل بسجن سومرز وطلب أن يتحدث مع المدير : كلا سأظل على الخط وتحول إلى ستيف وقال : بقى المدير طوال الليل فى مكتبه فى حالة إذا ما طلبه المحافظ ، وقد حلقوا شعر الفتى .

ـ رباه ! .

وفى الساعة السادسة هبطت دورا بخطى ثقيلة وقد شاخت وهدها التعب ، وراحت تعد القهوة .

وفى السادسة والنصف اتصل هوج بادارة المباحث الفيدرالية بنيويورك ، لم يكن لديهم جديد . وقد استقل هنرى وايت الطائرة فى الساعة الواحدة إلى سان فالى ، ووصلوا إلى المطار متأخرين ولم يتمكنوا من الاتصال به ، فقد اقبل بعضهم لاصطحابه فى سيارة خاصة . وتحققوا فى الفنادق ولم يؤد البحث عن البونتياك إلى نتيجة .

وفى السابعة و٣٥ دقيقة جاءت سيارة بوب كورنر كالاعصار وركنها فى الطرقة ودق الجرس فى عنف ، ودفع دورا عن طريقه وسأل : لماذا استجوبوا رونالد تومبسون عن العجلة الاحتياطية ؟

ألقى هوج نظرة إلى ستيف فهز هذا رأسه وشرح له الأمر فى إيجاز .

اصفر وجه بوب : كيف ؟ .. هل تعنى أن ابنك وشارون اختطفا ياسيد بيترسون ؟ .. وأنك لم تقل شيئا .. عندما تعرف السيدة جراى ذلك ستضطر إلى تأجيل التنفيذ ، فليس أمامها خيار آخر .

قال هوج : دعك من هذا الأمل .

ـ ياسيد بيترسون ، اننى آسف من أجلك ، ولكن لم يكن لك الحق فى إخفاء ذلك عنى فى الليلة الماضية .. رباه ! ألا يمكن الاتصال بالمدعى العام قبل الثامنة ؟

ـ بقيت عشرون دقيقة تقريبا . ..

ـ عشرون دقيقة .. إنه وقت طويل إذا لم يكن باقيا أمامك غير ثلاث ساعات وخمسين دقيقة لكى تبقى على قيد الحياة ياسيد تايلور .

استطاع هوج الاتصال بالمدعى العام فى الساعة الثامنة ، وتكلم معه نصف ساعة .. نعم ياأستاذ ، أعرف أن المحافظ قد أجل التنفيذ مرتين وان المجلس

ـ حتى إذا أكد أن الصندوق كان فارغا فليس هذا بدليل ، فالأمر كله لا يعدو أن يكون مجرد تخمين ، ربما عاد شخص ما بالإطار وركبه ثم انصرف . وهذا لاينقذ تومبسون من مصيره .

قال ستيف : وكل منا يعتقد أن تومبسون برىء .

وأردف فى ملل : طالما عرفت ذلك ومن سويداء قلبى عرفت ذلك دائما ولم أصدقه أبدا .

قال هوج : نعم ، أنا معك .

واستطرد : شكرا جزيلا . وأعاد السماعة وقال : ان تومبسون يقسم أن العجلة الاحتياطية لم تكن فى الصندوق عندما وضع به الأكياس .

قال ستيف متوسلا : اتصل بمدام جرين قل لها ذلك وارجوها ان تؤجل التنفيذ ، دعنى أتحدث إليها اذا لزم الأمر .

ادار هوج رقم مكتب المحافظ ثم عاد يقول : ليس هذا بدليل ، وانما هى حلقة من المصادفات ، ولا أعتقد أنها ستوافق على تأجيل التنفيذ بسبب ذلك وعندما تعرف أن شارون ونيل اختطفا ويجب ان نقول لها ذلك ستعتقد أنها خدعة جديدة .

ولم يمكنهما الاتصال بمدام جرين وكانت قد عرضت كل طلبات تأجيل تنفيذ حكم الاعدام لقرار المدعى العام ولن يكون هذا الأخير فى مكتبه قبل الساعة الثامنة ، كلا ، لايمكن أن تذكر لك رقم تليفونه الخاص .

لم يكن هناك مايمكن عمله سوى الانتظار ، وبقى ستيف وهوج صامتين فى المكتب ، بينما بدا نور ضعيف شاحب يتسلل من النافذة . وراح ستيف يبتهل إلى الله ، وهو عاجز عن التفكير فى شىء آخر .. رباه .. إنهم صغار جدا .

الأعلى قد أيد الحكم بالاجماع .. كلا ياأستاذ .. ليس لدينا دليل .. إنما هو لا يعدو مجرد تخمين . الكاسيت ؟ .. نعم ، نعم ياأستاذ ، سأكون شاكرا إذا اتصلتم بالمحافظ .. هل أستطيع أن أعطيك مستر بيترسون .. حسنا .. إننى باق على الخط .

وضع هوج يده على السماعة وقال : سيتصل بالمحافظ ولكن لا أظنه سيوصيه بمنح مهلة أخرى .

مرت ثلاث دقائق طويلة . ولم يتبادل ستيف وبوب النظر . ثم قال هوج : نعم .. إننى مصغ .. ولكن ..

وكان لايزال يحتج عندما سمع ستيف صوت انقطاع الحرارة وترك هوج السماعة من يده وقال فى وضوح : سيتم تنفيذ الحكم .

(٣٧)

كانت تتألم ، وكان من العسير عليها أن تفكر مع هذا الألم الذى يجتاحها .. لو تستطيع أن تفتح سوستة حذائها ! .. لم يعد كاحلها غير كتلة متقدة من اللحم تتورم داخل الجلد بسبب الحبل المشدود .

كان يجب أن تحاول الصراخ عندما كانوا يجتازون المحطة ، فقد كان من الأفضل أن تجازف .. كم الساعة الآن ؟ لم يعد للوقت وجود . كان ذلك مساء الاثنين أو الثلاثاء هل اليوم الثلاثاء أم الأربعاء ؟

كيف يخرجان من هذه الغرفة ؟

نيل .. أصغت إلى تنفسه الصارخ بجوارها ، كان يثابر على التنفس فى بطء كما قالت له وسمعت آهة تفلت من بين شفتيها هى بالذات وحاولت أن تكبتها .

أحست بنيل ينزلق بجوارها ، محاولا أن يشجعها ، سيكون «نيل» مثل ستيف عندما يكبر بلاشك ، هذا إذا كبر .

ستيف .. كيف كان يمكن أن تبدو حياتها مع ستيف ، وكيف كان يمكن أن تقضى حياتها مع «نيل» .. ستيف الذى سبق أن تألم كل هذا الألم .

كان كل شىء سهلاً جدا بالنسبة لها . كان أبوها يقول : ولدت شارون فى روما ، وولد بات فى مصر ، وتينا فى هونج كونج ، وكانت أمها تقول : ان لنا أصدقاء فى العالم أجمع . وحتى عندما عرفوا أنها ماتت لم يكونوا وحدهم ولكن عندما يفقد ستيف «نيل» فلن يكون معه أحد .

ستيف الذى تساءل : كيف حدث أنك مازلت عزباء ؟ .. لأنها مسئولية أن تحب أحدا .

ونيل ؟ نيل الذى يخشى أن يصطحبه آل لوفتس معهما وأن تأخذ منه ستيف.

كان يجب أن تنقذه من هذا الموقف .

دعكت معصميها مرة أخرى على الحائط الخشن ولكن الحبال كانت مشدودة جدا فانغرزت فى اللحم .. لم تستطع أن تلمس الحائط .

أكرة دورة المياه .. اذا عاد الثعلب وتركها تدخل دورة المياه فلعلها تستطيع أن تخلعها بشىء من القوة . .

ماذا سيفعل عندما يحصل على النقود ؟ أحست بأنها تنساق مع التيار .. الوقت .. كم من الوقت .. إن الوقت يمر .. هل الوقت الآن نهار أم ليل .. صوت القطارات الأصم .. تعال وابحث عنا ياستيف . إن الغلطة غلطتك ياآنسة مارتن ، هذه هى المسألة ياآنسة مارتن ، فلايوجد من هو أشد عمى من ذلك الذى لايريد أن يرى .. إننى أحبك ياشارون .. وقد افتقدتك كثيرا .. اليدان الكبيرتان الرقيقتان على وجهها ...

يدان كبيرتان رقيقتان على وجهها ، فتحت شارون عينيها . كان الثعلب منحنيا فوقها ويداه تجرى على وجهها وعنقها برقة فظيعة ، أزاح الكمامة وقبلها . كانت شفتاه متقدتين وفمها رخوا . حاولت أن تدير رأسها وكان ذلك جهدا كبيرا .

تمتم ، انتهى كل شىء ياشارون .. المبلغ معى وسأرحل .

حاولت أن تركز بصرها وظهرت ملامحه غامضة وعيناه عكرتان واشتد وجيب صدغيها وضاقت شفتاها وقالت فى صعوبة :

ـ ماذا ستفعل بنا ؟

ـ سأترككما هنا وسأذكر لبيترسون اين يمكنه أن يجدكما .

كان يكذب ، كما سبق عندما جعلها تسير ومكر بها ، كلا بل هى التى حاولت أن تمكر به ، وقد طرحها أرضاً .

ـ هل ستقتلنا ؟

ـ هو ذلك ياشارون .

ـ لقد قتلت أم نيل .

ـ هذا صحيح ياشارون آه . كدت أنسى .

وابتعد عنها وانحنى وبسط شيئا وقال : سأعلق هذه الصورة مع الأخريات .. وعلق شيئا فوق رأسها . كانت عينا نيل تنظران اليها ..جسد منهار .. جسد بايشارب حول عنقه ، ومزقت صرخة حلقها تطرد الالم والدوار . وصفا ذهنها فجأة ، وحدقت فى الصورة وفى العينين البراقتين المجنونتين للرجل الذى يمسكها .. علقها بجوار الصور الأخريات ، فوق الفراش ، بعناية فائقة ، وبحركات رتيبة ودقيقة .

نظرت اليه مرعوبة . هل سيقتلها الآن ويخنقها كما خنق هؤلاء النساء ؟

– سأضبط المنبه من أجلكما .

– المنبه ؟

– نعم . ستنفجر القنبلة فى الساعة الحادية عشرة والنصف لن تشعرى بشىء ياشارون . ستختفين بكل بساطة ، وسيختفى «نيل» . وسيختفى رونالد تومبسون .

وفتح الحقيبة بكل عناية ، ورأته يخرج المنبه ويضبطه على ساعته ، ويضع

العقارب على الثامنة والنصف . وكان ذلك صباح يوم الأربعاء . وضبط الجرس على الحادية عشرة والنصف . وراح الآن يربط الأسلاك بالمنبه .

ثلاث ساعات .

ورفع الحقيبة بحرص ووضعها فوق الحوض بجوار الباب وميناء المنبه أمامها بالذات ، فى الناحية الأخرى من الغرفة . ولمعت العقارب والأرقام .

- هل تريدين شيئا قبل أن أرحل ياشارون ؟ كوب ماء ؟ هل تحبين أن أقبلك قبلة الوداع .

- هل أستطيع .. هل تسمح لى بالمضى إلى دورة المياه ؟

- بالتأكيد ياشارون .. واقترب منها وفك يديها وساعدها على النهوض ، وتخاذلت ساقاها تحتها وجعلها الألم ترتعش .. وعتمت اقنعة سوداء عينيها .. كلا .. كلا .. كلا .. لايمكن أن يغمى عليها .

تركها فى الغرفة المظلمة وتشبثت بأكرة الباب ولوتها مرة ومرتين ثم ثلاث مرات وهى تبتهل إلى الله ألا يسمع الصوت .. فرقعة صغيرة وانكسرت الأكرة .

مرت شارون بيدها على الطرف المنزوع وأحست بالحافة المشرشرة للمعدن المكسور . ودست الأكرة فى جيب جونلتها الكبير .. وعندما فتحت ، كانت إحدى يديها فى جيبها وبذلك اذا أحس بشىء وهو يعيدها إلى الفراش فسيظن أنه قبضتها .

وأفلح الأمر ، وتعجل لتسرعه فى الانصراف ، فدفعها فوق الفراش واوثق يديها من جديد ، واستطاعت أن تحتفظ بهما متباعدتين بعض الشىء وكان ضغط الحبال أقل عن ذى قبل ، وأعاد الكمامة إلى فمها ، وانحنى فوقها وقال : كان يمكنني أن أحبك ياشارون كما اعتقد انه كان يمكنك أن تحبيني.

وبحركة سريعة سحب العصابة عن عينى الصبى .. رمش «نيل» وقد تورم جفناه واتسعت حدقتاه ونظر الرجل إليه وانزلق بصره من الصورة المعلقة لصق الحائط إلى وجه نيل .

ـ حسنا ..

ورتبت الأوراق حسب توقيتها الزمنى ، وضبط روجر المنبه على الساعة السابعة ، وناما وقد هدهما التعب ثلاث ساعات نوما مضطربا .

وفى الساعة السابعة هبط روجر لاعداد الشاى . ووضعت جليندا قرصا مهدئا تحت لسانها ومضت إلى دورة المياه وغسلت وجهها وعادت إلى الفراش .

أقبلت ماريان فى الساعة التاسعة ، وصعدت فى التاسعة والربع لكى ترى جليندا ، وقالت لها : يؤسفنى أنك لست فى صحة جيدة ياسيدة بيرى .

ـ شكرا لك .

ـ لن أزعجك اذا وافقت فسوف أرتب الغرف فى الطابق الأرضى ، فأنت تحبين أن يكون البيت نظيفاً .

ـ نعم .. هذا صحيح .. شكرا .

ـ أردت أن أقول لك إننى مسرورة لأننى معك .. أنا لم أتخل عنك بسبب مشكلة السيارة .

ـ حدثتى زوجى عن ذلك .. ورفعت جليندا قلمها بكل عزم على استعداد لكى تكتب فى حين استطردت السيدة ماريان تقول :

ـ ويا له من نحس ، وبالذات بعد أن صرفت أربعمائة دولار لإصلاحها . ومن الطبيعى أنه لم يكن يجب أن ننفق كل هذا المبلغ من أجل سيارة قديمة ، ولكن آرتى ميكانيكى ممتاز وقد قال لى زوجى إنه كان لابد من إصلاحها . حسنا أرى أنك مشغولة ولا يجب أن أثرثر ، هل تريدين إفطارك الصغير ؟

ـ كلا .. شكرا لك ياسيدة فوجلر .

اقفلت هذه الأخيرة الباب خلفها .. وبعد بضع دقائق عاد روجر وقال · اتصلت بالمكتب وقلت إننى مصاب بزكام .

ـ انتظر ياروجر .

فجأة ترك رأس الصبى وتحول وأطفأ النور ، كما فعل تماما عندما غادر الغرفة فى المرة الأولى.

وراحت شارون تحدق بعينيها فى ميناء المنبه .. كانت الساعة قد بلغت الثامنة و٣٦ دقيقة .

(٣٨)

كانت الأوراق المنزوعة منتثرة فوق فراش جليندا ، وقالت : لنبدأ من جديد .. كلا لم أمض فى الرابع عشر إلى الدكتور وإنما توقفت فى المكتبة دون هذا ياروجر .

- سآخذ ورقة أخرى ، فقد امتلأت هذه .. مع من تكلمت فى غرفة انتظار الطبيب.

واستعاد بعناية كبيرة كل نقطة مرا بها فى الشهر السابق .. ولم يوح أى شىء إلى جليندا بذكرى الرجل الذى يدعو نفسه الثعلب .. وفى الساعة الرابعة صباحا اقنعت روجر بأن يتصل بالمباحث الفيدرالية وان يطلب التحدث إلى هوج .. وذكر له هوج كيف تم الموعد .

- قال ان المختطف وعد أن يطلق سراح شارون ونيل فى الساعة الحادية عشرة والنصف .

- وهم لا يصدقونه .. أليس كذلك ؟

- كلا .. لا أعتقد .

- بلى .. إنه رجل أعرفه ، لعله رجل من الحى ، وربما التقى به نيل .. لن يطلق سراح «نيل».

- جليندا .. لم نعد نستطيع نحن معا وأصبحنا عاجزين عن التفكير .. فلنحاول أن ننام قليلا فربما تواتينا فكرة .. ربما يشتغل عقلك الباطن أثناء النوم ، وأنت تعرفين ذلك تماما .

وضغطت جليندا على مفتاح المسجل وملأت العبارة المألوفة أذنيها «أن يكون في كشك التليفون بمحطة إسو ..» واوقفت الجهاز وقالت : روجر .. متى أصلحت سيارتي ؟

- منذ ما يقرب من شهر على ما أظن ، مضى بك بيل لوفتس إلى الجراج الذى أوصى به .

- أجل .. وأوصلتني أنت عند ذهابك إلى المكتب عندما تم إصلاحها .. آرتي .. كان هذا اسمه أليس كذلك ؟

- نعم ، أظن ذلك . لماذا ؟

- لأن السيارة كانت جاهزة عندما وصلت ، ولكنه كان يملأ الخزان بالبنزين وقد تحدثت إليه وأنا واقفة بجوار المضخة لاحظت شارته وعليها : ا . ر . تاجيرت وسألته إذا كانت الألف تعني أرثر لأنني سمعت بيل يدعوه بآرتي .

وارتفع صوت جليندا : روجر ..

وامسكت يديه : روجر قال لي إن الناس هنا اعتادوا أن ينادوه باسم آرتي بسبب الاشارة وان اسمه الحقيقي هو اوجست روميل تاجيرت وقلت له : روميل .. أليس هذا اسم الجنرال الألماني المشهور .. وأجاب : نعم ، كان روميل يلقب بثعلب الصحراء .. روجر .. اقسم لك أن هذا الميكانيكي هو الثعلب وأنه هو الذى اختطف نيل وشارون .

وكانت الساعة عندئذ التاسعة و٣١ دقيقة.

(٣٩)

توجهت إلى غرفتها ، فقد كان اولندورف غائباً اليوم والحارس الآخر لم يكن يزعجها ابدا ، ولم تكن لاللي قد نامت طوال الليل وستصاب بالمرض وكان التهاب المفاصل كابوسا ، ولكن كان الأمر أكثر من ذلك . كان هناك شيء يضايقها وكانت تشعر بذلك . أرادت أن تصل إلى غرفتها وان تتمدد فوق الفراش وتطبق عينيها .

كان لابد لها من ذلك .

واختلطت بفلول مسافرى قطار الساعة الثامنة والدقيقة الأربعين المنطلق إلى مونت فرنون ، وتسللت إلى الدرج . وكان معها الكثير من الجرائد في سلتها لكى تحتمى من البرد . ولم تتوقف إلا لكى تتناول فنجانا من القهوة ، لم تكن بها غير رغبة واحدة .. أن تكون فى غرفتها .

لن تهتم إذا كان الرجل موجودا ، يجب أن تجازف واستقبلتها أصوات المولد والمراوح . كان المكان مظلما كالعادة ، وكان هذا أمرا يناسبها ولم يصدر من حذائها الكبير القماشى أى صوت وهى تمضى فى حرص نحو السلم .

سمعت صوتا أصم لباب يفتح فى بطء .. بابها ، وتوترت وانكمشت فى الظل خلف المولد .

خطوات صامتة بطيئة .. هبطت الدرب المعدنى .. نفس الرجل ، وازدادت انكماشا بالحائط .. هل تواجهه ! كلا .. كلا .. دفعتها كل غريزتها إلى الاختفاء ، نظرت إليه وهو يقف وينصت .. ما ان يختفى حتى تكون فى غرفتها واذا كانت الفتاة لاتزال هناك ستدفع بها إلى الخارج .

حاولت أصابعها المتجمدة الامساك بحركة خرقاء بمفتاحها فى جيبها وصدر من المفتاح صوت معدنى عندما وقع عند قدميها .

حبست لاللى أنفاسها .. هل سمع ؟ لم تجرؤ أن تدير رأسها ، ولكن الخطوات ابتعدت نهائيا ولم تعد تسمع أحدا يقترب وانتظرت عشر دقائق .. عشر دقائق طويلة محاولة أن تهدىء نبضات قلبها ثم وفى بطء وبألم شديد انحنت وراحت تتحسس بحثا عن المفتاح . كان المكان مظلما ولم يكن نظرها جيدا ، وأحست بشكل المفتاح وتنهدت فى ارتياح .

شكت على الوقوف عندما لمس ظهرها شىء بارد واختنقت عندما لمس ذلك الشىء جسدها . لمسها وانغرز بشدة بحيث أحست بوخزة الألم وبانبثاق الدم

الدافىء وهى تقع على ركبتيها وتنهار إلى الأمام وارتطم جبينها بالأرض ورسم ذراعها الأيسر قوس دائرة . وبينما كانت تغرق فى اللاوعى أطبقت يدها على مفتاح غرفتها .

(٤٠)

فى الساعة التاسعة والنصف اتصل شرطى من المباحث الفيدرالية بهوج تايلور فى بيت ستيف وقال : نعتقد أننا توصلنا إلى شيء .

- وما هو ؟

- هذا الأرتى .. الميكانيكى آرتى تاجيرت .

- حسناً ..

- هناك رجل باسم تاجيرت ضبطناه يحوم فى محطة الأتوبيسات منذ اثنتى عشرة سنة .. اشتبهنا فيه فى حادث اختفاء فتاة فى السادسة عشرة من عمرها . وقد استجوب بخصوص اختفاء فتيات أخريات ، وأوصافه تنطبق على الأوصاف التى أدليت إلينا بها .

- هذا عمل طيب . ماذا لديكم ضده غير ذلك ؟

- اننا نبحث ان كان يقيم ، فقد زاول أعمالا كثيرة فى نيويورك .. عامل بنزين فى الحى الغربى وخادما فى بار فى الشارع الثامن وغاسل أطباق فى بار اويستر .

- ركز الابحاث عن بيته وابحث إن كانت له أسرة .

وضع هوج السماعة وقال : ياسيد بيترسون .. لعلنا اهتدينا إلى أثر جديد .. صاحب جراج يختلف دائما إلى بار ميل تافرن واشتبه فيه فى حالات اختفاء فتيات كثيرات منذ اثنتى عشرة سنة .. رجل يدعى آرتى تاجيرت .

قال ستيف فى صوت مرتفع : صاحب جراج .. صاحب جراج .

- تماما . اعرف فيم تفكر .. إنها فرصة هزيلة ، ولكن اذا كان أحد قد أصلح

سيارة زوجتك فى ذلك اليوم ، فهل يمكن أن تكون قد اعطته شيكا .. هل تحتفظ بكعوب شيكاتك عن شهر يناير منذ سنتين ؟

نعم سأمضى وأرى .

ـ تذكر اننا نفحص كل الآثار الجديدة وليس لدينا أى دليل ضد آرتى فيما عدا أنه استجوب منذ عدة سنوات .

ـ إننى أفهم ..

ومضى ستيف إلى مكتبه .. ودق جرس التليفون ، كان المتحدث روجر بيرى ، وكان يصرخ فى التليفون ان جليندا تؤكد أن الثعلب هو صاحب جراج يدعى آرتى تاجيرت .

أعاد هوج السماعة فى صوت جاف وهم ان يتصل بنيويورك عندما دق الجرس من جديد فصاح : نعم .. وتغيرت لهجته على الفور وبدا مستغرقا .. كيف هذا ؟ لاتقطع المكالمة وأعد ما قلت .

رأى ستيف عينى هوج تضيقان ، وعندما أخرج هذا الأخير قلما ناوله بلوكنوت متجاهلا الجهد الذى يبذله الآخر لكى يخفى عنه مايكتبه وحدق فى البلوكنوت عاكفا على قراءة الكلمات التى يكتبها هوج :

«شكرا من أجل النقود .. المبلغ كامل وأنت قد وفيت بوعدك وسأفى أنا بوعدى . «نيل» وشارون على قيد الحياة .. سيموتان فى الساعة الحادية عشرة والنصف فى انفجار فى نيويورك يمكنك أن تستخرج جسديهما من بين أنقاض الانفجار» .

قال هوج : أعد مرة أخرى لكى اثق من أننى فهمت .

وأردف بعد لحظة : شكرا .. سنتصل بك بعد قليل .

ووضع السماعة وقال ستيف :

ـ من الذى تلقى هذه المكالمة ؟

واعتراه خدر رخيم شل قدرته على التفكير وانتظر هوج دقيقة طويلة قبل أن يرد وكان صوته مرهقا جدا :

ـ ادارة شئون الجنائز بكارلى ، تلك التى تولت دفن زوجتك .

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة و٣٥ دقيقة .

(٤١)

لو أن تلك الساحرة العجوز لم تقم بكل تلك الجلبة .. كان أرتى كله عرق ، وكانت رائحة بدلته الجديدة سيئة جدا .. تماما كما فى كل مرة.

واذا لم يكن قد سمعها ؟ .. انها بالتأكيد هى التى اقامت فى هذه الغرفة ، وهى التى أتت فيها بالفراش ، ومعنى هذا ان معها مفتاحا ، ولو لم يسمعها لدخلت ولوجدتهما ، ولكانوا يجدون الوقت لاحضار الخبراء لإيقاف مفعول القنبلة .

اجتاز المحطة مسرعا ، وعبر الرواق المؤدى إلى بليتمور ، وأخرج السيارة من جراج الفندق ، كان قد وضع بها الحقيبة والراديو وانطلق الى ايست سايد درايف، نحو جسر تريبورو ، وهو أسرع طريق إلى مطار لاجارديا . كان على عجل لمغادرة نيويورك ، وستنطلق الطائرة إلى فونيكس فى العاشرة والنصف .

وعاد إلى الموقف الذى لم يغادره إلا منذ بضع ساعات واذا فكر أنه نفذ الخطة بكل دقة للحصول على الفدية ، أحس بالهدوء .. ركن السيارة بعيدا عن كشك الرسوم ، هناك يتوقف الناس لركوب حافلة مطار واشنطن ، وكانت هذه الناحية مزدحمة دائما وكان قد محا رقم الموتور ، أما لوحة المرور فلن تقودهم إليه لأنه حصل عليها من سيارة قديمة منذ خمس سنوات ، ومهما يكن فسيمضى شهر تقريبا قبل أن يلحظ أحد أنها مركونة منذ وقت طويل .

وأخرج الحقيبتين من الصندوق .. الخفيفة التى تحتوى على ثيابه والكاسيتات والثقيلة المحتوية على النقود والهاتف اللاسلكى ولم يعد هناك مايربطه بالسيارة .

تقدم نحو موقف الأتوبيس . ووصلت حافلة المطار وركبها ، نظر إليه المسافرون فى غير اكتراث وأحس بأنه مستبعد لأنه لم يكن مرتديا كما يليق ، جلس بجوار فتاة فى نحو الخامسة عشرة .. فتاة جذابة جدا لم يسعه إلا أن

يلحظ تكشيرة النفور التى رمته بها والطريقة التى تحولت بها عنه .. هذه البغى . كانت ابعد من ان تشك أنه رجل ذكى وثرى .

وقفت الحافلة فى نهاية الخطوط الداخلية وسار نحو الباب المخصص لدخول المسافرين ، هناك موظف يسجل الحقائب . لم يكن يريد أن ينتقل ومعه الحقائب .. أخرج تذكرته وكانت باسم روميل .. روميل ثعلب الصحراء ، كان هذا هو الاسم الذى ينوى أن يستخدمه فى الاريزونا .

ـ هل تسجل هذه الحقائب الثلاث أيها السيد ؟

ـ كلا سأحتفظ بهذه معى .

وأشار إلى الحقيبة التى بها النقود .

ـ آسف أيها السيد .. أخشى أنك لن تستطيع الصعود إلى الطائرة ومعك حقيبة بهذا الحجم .

ـ بل لابد لى من ذلك .

حاول أن يخفف من حدته : إن بها أوراقا يجب أن أراجعها .هز الموظف كتفيه وقال : حسنا أيها السيد .. أظن أن المضيفة يمكنها أن تضعها فى دولاب بالمقصورة إذا كان هذا ضروريا .

كانت الساعة التاسعة و٢٨ دقيقة .. أحس بالجوع ، ولكنه يجب أن يتكلم فى التليفون واختار تليفونا فى أبعد ركن بمحطة المطار وسطر ما أراد أن يقول حتى لايخطىء . وتصور ماسيحدث عندما يتلقى بيترسون هذه الرسالة .

حصل على المكالمة مع ادارة شئون الجنائز سريعا . قال بصوت خافت : سوف يتصلون بك لدفن بعض الجثث .

ـ حسنا ياسيدى .. من الذى يتكلم ؟

ـ هل أنت مستعد لتلقى رسالة ؟

ـ بكل تاكيد ..

تغير صوت الثعلب وغدا أشد قسوة : أكتب ثم اقرأ على ماسوف امليه واحرص على ان تفهم جيدا .. وبدأ يملى وهو يستمتع بلهاث الآخر المضطرب ، والآن اقرأ ماكتبت .. واطاعه صوت مرتعش ثم تأوه قائلا رباه ارجوك .

واعاد الثعلب السماعة وهو يبتسم . ودخل كافيتريا المطار وطلب بعض التوست وعصير برتقال وقهوة ، وراح يأكل فى بطء وهو ينظر الى الناس الذين يتعجلون حوله .

بدأ يشعر بالهدوء واذ تذكر المكالمة التليفونية مع ادارة شئون الجنائز راح يضحك .. ضحكة لم يستطع كبحها . خطر له فى البداية ان يخطرهم ان قنبلة ستنفجر فى مدينة نيويورك ثم غير مدينة نيويورك الى ولاية نيويورك ، وتصور رجال الشرطة وقد أصبحوا خرافا .. سوف يهز ذلك اقدامهم .

اريزونا .. ارض الصحراء الزاهية .

كان النظر فى عينى الصبى ضروريا ، فليس عليه أن يهرب منهما بعد الآن وتصور جراند سنترال فى الساعة الحادية عشرة والنصف ستنفجر القنبلة وسينهار السقف كله فوق شارون و«نيل» .. أطنان وأطنان من الأسمنت .

من السهل صنع قنبلة عن إصلاح سيارة . فما عليك إلا أن تقرأ ما كتب عن الموضوع ، سيرى العالم أجمع الآن من هو الثعلب ولاشك أنهم سيكتبون عنه كما كتبوا عن روميل .

فرغ من قهوته ومسح فمه بكف يده ، رأى من الزجاج الناس يحملون حقائبهم ويسرعون إلى بوابة السفر وتذكر انفجار مطار لاجارديا فى عيد الميلاد منذ سنتين، أحدث ذعرا حقيقياً وأغلقوا المطار .. رأى ذلك فى التليفزيون .

رأى نفسه مسبقا فى باريفونيكس هذا المساء سيشاهد الأخبار فى التليفزيون عن انفجار جراند سنترال ، سيتكلمون عنه على جميع شاشات العالم ، ولكن سيكون ذلك أفضل بكثير اذا كان لدى الشرطة فكرة غامضة عن المكان الذى يبدأون فيه أبحاثهم ، فإن الناس الذين يضعون القنابل فى المكاتب يتصرفون

هكذا .. يذكرون عبر التليفون قائمة طويلة عن كل الأماكن التى استطاعوا أن يضعوا فيها قنبلة ولا يدرى الشرطة عندئذ مايفعلون ويضطرون إلى إخلاء كل الأماكن التى ذكرها لهم .

كان لايزال فى مقدوره أن يفعل شيئا فى هذا الصدد ولكن ماذا يقول لهم .

نظر أمامه ، كان المطار كثير الحركة .. الناس يجيئون ويذهبون ومع ذلك فإن مطار لاجارديا كان أقل أهمية من مطار كيندى .. فالجميع دائماً متعجلون ، لا يهتم أحد بأى أحد ولا يحفل الناس إلا بالمكان الذى يمضون إليه فحسب ، ولا ينظرون إليك أبدا ولايبتسمون أبدا .

شيئا فشيئا خطرت له فكرة .. لنفرض أن يخطر رجال الشرطة ، ولنفرض أن يقول لهم إن شارون ونيل والقنبلة فى أحد المراكز الكبيرة للمواصلات بمدينة نيويورك .. معنى ذلك أن يخلوا جميع المطارات ومحطتى الاتوبيسات ومحطة بنسلفانيا ، كما يخلون جراند سنترال ، وسيبدأون أبحاثهم تحت المقاعد وفى صالات الانتظار وفى مخازن الأمانات ، ولن يعرفوا من أين يبدأون ، وسيضطر كل هؤلاء الناس ، كل هؤلاء القذرين إلى الفرار وإلى ان تفوتهم قطاراتهم وطائراتهم واتوبيساتهم .

لن يجدوا شارون ونيل ابدا ، فالوحيدة التى كانت تعرف هذا المكان هى تلك الساحرة العجوز ، وقد اهتم بها ، وهو وحده يستطيع أن يصد مداخل ومخارج أكبر مدينة فى العالم بمكالمة تليفونية واحدة ..

كان السيد بيترسون يظن أنه فرس رهان بمجلته «الحوادث» ، هو ووديعته وصديقته الصغيرة ، وانفجر الثعلب ضاحكا . ونظر إليه الزوجان اللذان يجلسان إلى المائدة التى بجواره مشدوهين .

ادارة شئون الجنائز مرة أخرى ، فمن غيرها يمكن أن يتأكد أن الأمر ليس مزحة .

وجد ما يرجوه ، فابتسم وتوقع رد الفعل الذى سيحدثه . وطلب فنجان قهوة آخر ، وفى العاشرة و١٢ دقيقة خرج من الكافيتريا وهو يمسك حقيبته فى يده بكل قوة ، وانتظر طواعية ما يكفى من الوقت لكى يمضى بين الأواخر لتسجيل حقائب اليد فى الدائرة العاشرة . سيكونون متعجلين ولن يهتم أحد بحقيبته فإن شركات الطيران حريصة على الالتزام بمواعيدها .

وفى العاشرة والربع تسلل إلى كشك تليفون بجوار باب الدخول رقم ٩ ووضع قطعة النقد المطلوبة وأدار الرقم وعندما رفعوا السماعة فى آخر الخط همس برسالة ثم أعاد السماعة وتوجه إلى مكتب التسجيل ومر من الرقابة بدون مشاكل .

وكانت اشارة «رحيل عاجل» تومض عندما اجتاز الصالة واتجه نحو العبارة التى تؤدى إلى الطائرة .

كانت الساعة العاشرة و١٦ دقيقة .

(٤٢)

كانت ثيابها مبتلة ورائحتها رديئة .. دم ستموت .. الموت .. سوف تموت ، كانت لاالى تعرف ذلك .. أحست بذلك من خلال الوميض الخاطف المتذبذب بذهنها، لقد قتلها شخص .. الرجل الذى استولى على غرفتها استل منها حياتها .

الغرفة .. غرفتها ، أرادت أن تموت فيها .. أرادت أن تكون فيها ، فهو لن يعود ، فسوف يتملكه الخوف ، قد لا يعثر عليها أحد ابدا .. ستكون دفينة فى البيت الوحيد الذى امتلكته فى حياتها .. ستنام فيه إلى الأبد ، وسط ضجيج القطارات المريح . اتضحت افكارها . ولكن لن يتبقى لها فى الحياة الكثير . كانت تعرف ذلك ، يجب أن تصل إلى غرفتها .

أحست بالمفتاح فى يدها .. حاولت أن تقف ، كان شىء فيها يتجرجر .. كانت السكين لاتزال مغروزة فى ظهرها ، لم تستطع أن تمسكها ، وبدأت تتحرك .

كان لابد لها أن تستدير نصف دورة وهي تزحف .. وقعت وهي تولى ظهرها لغرفتها ، وبذلت جهدا كبيرا لكى تجر نفسها .. كان الأمر فظيعا ورهيبا ، وفى بطء زحفت حتى وجدت نفسها فى الناحية الجيدة . كان لايزال أمامها خمسة أمتار علي الأقل حتى تصل أسفل السلم وبعد ذلك الدرجات ، فهل تستطيع الوصول إليها ؟ هزت لاللى رأسها لكى تطرد الضباب الأسود .. أحست بالدم يسيل من فمها وحاولت أن تبصقه .

أمسكت المفتاح باليد اليمنى وقدمت يدها اليسرى وجرت ركبتها اليمنى إلى الأمام وركبتها اليسرى ثم يدها اليمنى .. سوف تفلح ، ومهما يكن فسوف تصل إلى أعلى الدرجات .

رأت نفسها تفتح الباب وتغلقه ، وتزحف فى الداخل وترفع رأسها فوق الفراش وتتمدد ، وتطبق عينيها وتنتظر .

سيأتى الموت إلى غرفتها كصديق .. صديق ذى يدين حانيتين وباردتين .

(٤٣)

فكر ستيف : انهما ماتا ، فعندما يحكم على المرء بالموت فإنه يصبح فى عداد الموتى ، ستأتى أم رونالد تومبسون بعد ظهر اليوم لتأخذ جثة ابنها ، وبعد ظهر اليوم ستمضى ادارة شئون الجنائز إلى مكان الانفجار لكى تجمع جسدى شارون ونيل فى مكان ما من نيويورك منقبين بين الأنقاض .

كان واقفا أمام النافذة وجمع غفير من الصحفيين ومصورى التليفزيون أمام البيت .. قال :

ـ ما أسرع أن تنتشر الأخبار ، وصقور الصحافة والوسطاء يستولون على الأنباء الطيبة .

وكان برادلى قد اتصل بالتليفون منذ قليل : ماذا يجب أن نفعل ياستيف ؟

ـ لاشىء .. لاشىء .. استعلم فقط عن سيارة فولكسفاجن لونها أخضر

يسوقها رجل فى الثامنة والثلاثين .. لا ريب أنه لكى يساعدنا قد غير لوحة المرور .. باق أمامنا ساعة وعشرون دقيقة .. ساعة وعشرون دقيقة .

وكان قد سأل هوج قائلاً : ماذا فعلوا بخصوص القنبلة ؟

ـ طلبنا من جميع المدن الرئيسية بولاية نيويورك أن تكون فى حالة تأهب ولانستطيع أن نفعل أكثر من ذلك .. ولاية نيويورك .. هل تعرف كم مساحتها من الكيلو مترات ياسيد بيترسون .. مازالت هناك فرصة أن يكون الأمر غارة كاذبة .. أعنى أن مكالمة ادارة شئون الجنائز قد تكون مجرد تهديد .

ـ كلا .. كلا .. لقد فات الوقت بالنسبة لهما . لقد أقام بيل ودورا هنا بسبب موت نينا . اقبلا اكراما لى وللاهتمام بـ «نيل» ، وتسبب بيل لوفتس بثرثرته فى اختطاف نيل وشارون .. وموتهما .. دائرة الموت ، كلا أتوسل إليك يارب أن يبقيا على قيد الحياة ، وأعنا فى العثور عليهما .

وتحول إلى النافذة فى عصبية ، كان هانك لامونت قد دخل مع بيل وجعله يكرر قصته ، وكان ستيف قد عرفها عن ظهر قلب .

ـ سيد لوفتس ، إنك تحدثت كثيرا مع هذا الآرتى ، فحاول أن تتذكر .. ألم يذكر لك أبدا أنه يريد أن يمضى إلى مكان معين ؟ .. هل تكلم عن بلد كالمكسيك أو ألاسكا ؟

هز بيل رأسه ، كان كل هذا يتجاوز إدراكه .. كان يعرف أنهم يشتبهون فى ان آرتى اختطف شارون ونيل .. آرتى شاب هادىء جدا وميكانيكى بارع .. كان قد مضى إليه منذ أسبوعين فى السيارة وبرفقته نيل وتذكر تماما ذلك اليوم ، لأن نيل أصيب بأزمة ربو فى تلك الليلة .. وحاول يائسا أن يتذكر ماذا قال أرتى فى تلك الليلة .. ولكنه كان رجلا لا يتكلم كثيرا ويبدو أنه لا يهتم إلا بالقصص التى يرويها له بيل .

كان هانك غاضبا من نفسه ، فقد مضى إلى بار «ميل تافيرن» وطلب بيرة

لذلك الشاب ، بل انه قال لإدارة المباحث إنه لا داعي للاستعلام عنه ، وكان لابد للوفتس أن يتذكر كما يقول هوج ، فإن كل رجل يترك آثارا وقد رأى ذلك الشاب يخرج من ميل تافرن ، وهو هانك ، لم يشتبه فيه .. قطب حاجبيه .. كانت هناك تلك الدعابة التي نطق بها آرتي وهو خارج .. ماذا قال ؟

قال بيل : وهو شاب لا غبار عليه ، هادىء كما قلت لك ولا يهتم إلا بأعماله .. كان يلقى أسئلة ولكنه كان يبدو ودودا ومهتما فحسب .

قاطعه هانك : انتظر ..

ـ ماذا ؟

تحول هوج نحو المخبر الشاب وقال : هل وجدت شيئا ؟

ـ ربما .. عندما غادر آرتي البار مع الآخرين قالوا له شيئا .. مما يؤسف له أنك لاتستطيع توديع بيل قبل أن ترحل إلى روك آيلاند .

ـ آه .. معنى هذا أن آرتي سيرحل إلى روك آيلاند ؟

ـ هنا المسألة بالذات . لقد قال شيئا آخر .. وداعبه نفس الشاب المدعو كروجر الذي يعمل في الدعاية .. داعبه عن الصحراء الزاهية .

سأله هوج : لماذا ؟

ـ عندما قالوا إنه من المؤسف أن لوفتس غير موجود لكي يودعه ، أجاب آرتي سوف أعود فروك آيلاند ليست كالاريزونا .. ولعل ذلك أفلت منه .

قال هوج : سنعرف هذا حالاً .

واندفع نحو التليفون .

دخل روجر إلى الغرفة ، وألقى يده فوق كتف ستيف وأصغى معه الى هوج الذي كان يصرخ في التليفون ، واضعا كل ثقل المباحث الفيدرالية على هذا الأثر الجديد . ووضع السماعة آخيرا وقال :

– اذا كان في طريقه الى الاريزونا فسوف نلقى القبض عليه يا سيد بيترسون استطيع ان اؤكد لك ذلك .

– متى؟

كان لوجه روجر لون نفس ذلك الصباح الشاحب .. لا تبق هنا ياستيف تريد جليندا أن تأتى الينا ، أرجوك .

هز ستيف رأسه واسرع هوج يقول :

– سنأتى نحن معا .. هانك، ستقوم بالمناوبة هنا .

فكر ستيف : حسنا . ومضى نحو الباب العمومى .

– كلا سنخرج من الباب الخلفى ونجتاز الغابة وبذلك نتجنب الصحفيين

ارتسمت شبه ابتسامة على شفتى بيترسون وقال ولكن لا رغبة لى فى ان اتجنبهم بالذات .

وفتح الباب ، وحطمت جماعة الصحفيين حاجز الشرطة واندفعت نحوه . وارتفعت الميكروفونات أمامه ، وحاولت كاميرات التليفزيون أن تلتقط أحسن زاوية لوجهه المتعب .

– سيد بيترسون ... هل لديك أنباء أخرى ؟

– كلا .

– هل تظن أن المختطف سينفذ تهديده ويقتل ابنك وشارون مارتن ؟

– لدينا كل الاسباب للاعتقاد بأنه يمكن ان ينفذ مثل هذا العمل العنيف.

– اتظن ان الانفجار المتوقع أن يقع فى نفس اللحظة التى سينفذ فيها حكم الإعدام على رونالد تومبسون مجرد مصادفة ؟

– كلا لا ظن انها مصادفة، بل اظن ان الثعلب متورط فى قتل زوجتى ، وحاولت ان ابلغ مدام جرين بذلك ولكنها رفضت ان تتحدث الى واننى أتوجه اليها الآن علنا بآن تؤجل تنفيذ اعدام تومبسون، فكل الظروف تقول ان هذا الفتى برىء، وانا شخصيا اعتقد ذلك.

– سيد بيترسون ، هل غير القلق الهائل الذى تعانيه بخصوص ابنك والآنسة

شارون رأيك فى حكم الاعدام ؟ عندما يلقى القبض على المختطف هل تريد ان يعدم ؟

ابعد ستيف الميكروفونات عن وجهه وقال :

- سأرد على سؤالك .. دعونى اتكلم اذا سمحتم (وسكت الصحفيون) نظر ستيف الى الكاميرات مباشرة وقال: نعم لقد غيرت رأيى اقول هذا وانا اعلم ان هناك فرصة ضعيفة فى العثور على ابنى وشارون على قيد الجياة ولكن حتى اذا ألقى القبض على المختطف بعد فوات الاوان فاننى عرفت شيئا خلال اليومين الأخيرين.. عرفت ان ما من احد له الحق في تحديد ساعة موت اى احد من اخوانه. واظن ان هذا الحق ليس الاملكا لله وحده . (تحطم صوته) واطلب منكم فحسب ان تصلوا من اجل نجاة نيل وشارون ورونالد .

وسالت الدموع من عينيه وهو يقول : دعونى أمر

ابتعد الصحفيون فى صمت واسرع روجر وهوج خلفه عندما اندفع نحو الشارع.

كانت جليندا تنتظرهم ، ففتحت لهم الباب واخذت ستيف بين ذراعيها وقالت : هيا ياستيف ابك.. هيا.

وبكى : لا استطيع ان اتركهما يموتان . لا استطيع ان افقدهما . وتركته يبكى بين ذراعيها. وهز النحيب كتفيه وقالت يائسة :

لو اننى استطعت ان اتذكر قبل اليوم . رباه!! لقد تأخرت فى مساعدته.

وأحست بجسده يهتز وهو يحاول ان يتمالك نفسه .

اننى آسف يا جليندا لقد رأيت الكثير ، ثم انك لست فى صحة جيدة اجابت : بل اننى فى خير حال . سواء راق لك ذلك ياستيف ام لا فسوف تتناول فنجانا من الشاى وبعض التوست فانت لم تنم ولم تأكل منذ يومين .

ومضوا جميعا ، مكتئبين ، الى غرفة الطعام.

وقال هوج فى هدوء مستر بيترسون، تذكر ان صور نيل وشارون ستظهر فى الطبعات الخاصة لجرائد الصباح.. وانها ستظهر على جميع شاشات التليفزيون.. ولعل أحدا قد رآهما أو لاحظ شيئا.

قال ستيف فى مرارة:

– لا أظنك تعتقد ان الذى اختطفهما سيعرضهما على الجمهور.

– ربما لاحظ أحد نشاطا مشبوها او سمع احدهم احدى هذه المكالمات التليفونية او سمع اناسا يتكلمون فى احد البارات .

وضعت ماريان الماء فى البراد . وكان الباب الفاصل بين غرفتى المطبخ والطعام مفتوحا . وكانت تستطيع ان تسمع الحديث . هذا المسكين بيترسون.. ليس بمستغرب ان يكون فظا هكذا عندما حدثته . كان مضنى بسبب اختفاء ابنه الصغير وقد أزعجته اكثر وهى تحدثه عن نيل وهذا يثبت تماما انه لا يمكن الحكم على الناس بالمظاهر فانت لا تعرف ما يعانيه الآخرون من اشجان واحزان .

ربما اذا تناول شيئا من الشاى ... وقالت فى هدوء :

– سيد بيترسون .. دعنى اقدم لك فنجانا من الشاى.

وامسكت بالفنجان وبدأت تصب الشاى بيدها الأخرى .

انزل ستيف يديه عن وجهه فى بطء وفى اللحظة التالية طار البراد من فوق المائدة وانساب منه خيط ذهبى اللون وساخن فى السكرية وأغرق مفارش المائدة النظيفة.

وقف كل من جليندا وروجر وهوج مشدوهين ، ونظروا الى ستيف الذى امسك بذراع ماريان المرعوبة وهو يصيح :

– اين وجدت هذا الخاتم .. اين وجدته ؟

(٤٤)

عانقت كيت تومبسون ابنها في سجن ولاية سومرز لآخر مرة وتأملت دون ان تراها قمة رأسه المحلوق والثقوب في جانبي بنطلونه ، واحتفظت بعينيها جافتين وهي تحس بذراعي الفتى القويتين حولها وادنت وجهها من وجهه وقالت : كن شجاعا يا عزيزي.

لا تقلقي ... قال بوب إنه سيأتي لاصطحابك .

غادرته . سيبقى بوب حتى النهاية . وكانت تعرف أن الأمر سيكون سهلا جدا اذا انصرفت الآن .. سهلا جدا بالنسبة له.

وخرجت من السجن وسلكت الطريق الطويل البارد الذي تعصف به الرياح والمؤدي الى المدينة ومرت سيارة من سيارات الشرطة :

- دعيني اوصلك يا سيدتي.

- شكرا.

وصعدت الى السيارة بوقار.

- هل تمضين الى الموتيل ياسيدة تومبسون؟

- كلا اتركني عند كنيسة سان برنار اذا سمحت !

كان قداس الصباح قد انتهى والكنيسة شاغرة . فركعت أمام تمثال العذراء ، وابتهلت اليها قائلة ·

- كوني معه حتى آخر لحظة ، وانزعي الحقد من قلبي ، انت التي ضحيت بابنك البريء .. ساعديني اذا كان ولابد ان أضحي بابني .

(٤٥)

عصف الاضطراب بماريان ، وحاولت أن تتكلم ، ولكنها لم تستطع النطق

بكلمة ... جف فمها واحتبس صوتها ، واحرق الشاى يدها وآلمها اصبعها الذى انتزع منه بيترسون الخاتم .

نظروا اليها كما لو كانوا يكرهونها ، واشتد ضغط يد بيترسون على معصمها وصاح من جديد : اين وجدت هذا الخاتم ؟

قالت مترددة انني.. لقد عثرت عليه .

أبعد هوج ستيف عن ماريان وقال فى ازدراء شديد عثرت عليه ؟

– نعم فى سيارتى !

ضحك هوج مستهزئا وتحول الى ستيف، هل أنت واثق ان هذا الخاتم هو الذى اهديته لشارون مارتن؟

– كل الثقة . انني اشتريته من قرية بالمكسيك ، وهو خاتم فريد ، وبه حز صغير فى الناحية اليسرى كما ترى.

تحسس هوج الخاتم بيده وقست ملامحه وقال : أين معطفك يا مدام فوجلر .. سأصطحبك وسوف يستجوبونك أنت لست مضطرة الى الاجابة عن الاسئلة ولكن كل ما ستقولين سيؤخذ ضدك، ولك الحق..

صاح ستيف : كلا هل انت مجنون ؟ لاتقل لها انها ليست مضطرة للاجابة ، بل يجب أن ترد على الاسئلة.

تجمد وجه جليندا وتأملت ماريان فى غضب وازدراء واتهمتها قائلة:

انك تكلمت عن آرتى هذا الصباح قلت انه اصلح سيارتك ، فكيف استطعت وانت امرأة ولك اولاد ان تقدمى على هذا ؟

استدار هوج اليها وسأل · هل تكلمت عن آرتى؟

– نعم.

سألها ستيف : اين هو واين مضى بهما يا الهى ! اننى عندما رأيتك اول مرة حدثتنى عن نيل.

امسكه هوج من ذراعه وقال : ستيف .. ستيف اهدأ.

أحست ماريان بانها موشكة على الاغماء ، لقد احتفظت بالخاتم وهو ليس ملكا لها ، وهم يظنون الآن انها ضالعة فى الاختطاف! فماذا تفعل كى يصدقوها وأحست بدوار شديد لابد ان يستدعوا جيم فسوف يساعدها ، وسوف يروى لهم كيف سرقت السيارة وكيف عثرت على الخاتم فيها ، سيعرف كيف يقنعهم . ودارت الغرفة بها وتشبثت بالمائدة.

اسرع ستيف وأمسكها قبل ان تقع. ورأت عينيه كما فى ضباب، ورأت اليأس فيهما . هدأها الرثاء الذى احست به نحوه . وتشبثت به وحاولت ان تغالب دوارها، استطاعت ان تتكلم من جديد . اذ كان لابد لها ان تتكلم : لا استطيع الإضرار بأى أحد وأريد أن أساعدك لقد عثرت على هذا الخاتم فى السيارة وكانت قد سرقت يوم الاثنين ، وكان آرتى قد فرغ من اصلاحها فى ذلك اليوم بالذات .

خفض ستيف بصره الى الوجه الخائف والمضطرم ورأى عينيها تفيضان بالاخلاص ، وفجأة فهم معنى ما سمعه و قال · تقولين سيارتكم سرقت مساء يوم الاثنين؟ رباه هل مازال هناك امل فى العثور عليهما؟

صاح هوج : دعنى اهتم بالأمر يا سيدى بيترسون اذا كنت تقولين الحقيقة يا سيدة فوجلر فيمكنك مساعدتنا ماذا تعرفين عن هذا الآرتى؟

– لاشىء يذكر .. انه ميكانيكى جيد . وقد اعاد إلىّ السيارة يوم الاحد، ومضيت يوم الاثنين الى السينما فى ميدان كارلى ، وركنت السيارة فى الموقف ، وعندما خرجت فى التاسعة كانت قد اختفت.

قال هوج كان يعرف اذن حالة سيارتك ، ولكن هل كان يعرف انك ستذهبين الى السينما؟

قالت وهى تقطب حاجبيها لابد آنه عرف لأننى تحدثت عن نيتى هذه ونحن

فى الجراج ، وقال انه ملأ الخزان بالمجان لأنه تقاضى ثمنا مرتفعا نظير الاصلاح.

وتمتمت جليندا سبق أن قالت ان السيارة عريضة ولونها داكن .

قال هوج هذا أمر كبير الاهمية يا مدام فوجلر اين عثرتم على سيارتك.

- فى نيويورك : رأتها الشرطة ، وكانت واقفة فى الممنوع .

- أين ذلك ؟ هل تتذكرين المكان الذى كانت فيه ؟

فكرت ماريان ثم قالت : بجوار فندق .

- حاولى أن تتذكرى يا سيدة فوجلر . أى فندق ؟ .. يمكنك أن توفرى علينا وقتا ثمينا .

هزت ماريان رأسها وأجابت : لا أتذكر .

- وهل يتذكر زوجك ؟

- أجل ولكنه فى الخارج اليوم . يجب الاتصال بالورشة لمعرفة المكان الذى يوجد به .

- ما هو رقم لوحة سيارتك يا سيدة فوجلر ؟

ذكرت له ماريان رقم اللوحة على الفور .. أى فندق ؟ .. قال جيم شيئا بخصوص الشارع الذى وجدوا فيه السيارة . ولكن .. سيمر وقت طويل قبل أن يتمكنوا من الاتصال بجيم ويجب أن تتذكر . أى شئ بخصوص عربة قديمة فى شارع مليونيرات . هذا ما قاله جيم : قال إنهم أعطوا الشارع اسم عائلة من أصحاب الملايين . وصاحت فجأة · شارع فاندربلت .. قال روجر إن السيارة كانت أمام فندق بليتمور .

امسك هوج التليفون واتصل بالادارة العامة للمباحث الفيدرالية بنيويورك وامطرهم بالأوامر ، وقال قبل أن يعيد السماعة ·

- اتصلوا بى بأسرع ما يمكن .

وانتظروا وهم متوترون وعلى أحر من الجمر . وصلصل التليفون فانتزع هوج السماعة وقال : ماذا وجدتم ؟ (هز رأسه وصاح) حسنا ، سأذهب بالهليكوبتر . وأفلت السماعة من يده وقال : تعرف موظف الاستقبال بالفندق على صاحب الصورة .. شخص يدعى ا.ر . روميل . كانت معه سيارة فولكسفاجن خضراء اللون فى الجراج وقد رحل صباح اليوم .

صاحت جليندا : روميل روميل ثعلب الصحراء .

قال هوج : هذا صحيح . وقال ستيف : هل كان وحده؟

- كان وحده . ولكن موظف الاستقبال لاحظ أنه كان يدخل الفندق ويخرج منه فى أوقات غريبة ، وأحيانا لمدد قصيرة ، وهذا معناه أنه يحتفظ بـ «نيل » وشارون وسط المدينة ، ولاتنسوا أن چون أوينز تبين أصوات قطارات فى أشرطة الكاسيت.

قال ستيف فى صوت مرير : لم يعد لدينا أى وقت . فما الفائدة من أن نعرف كل هذا الآن ؟

- سأستقل الطائرة حتى بناية يا سيدتى ، وسيسمحون لنا بالهبوط فوق السطح ، إذا أمسكنا تاجيرت فى الوقت المناسب فسنرغمه على الكلام وإلا فإن فرصتنا الوحيدة هى فى تركيز ابحاثنا حول فندق بليتمور . هل تريد أن ترافقنى؟

لم يهتم ستيف بالرد وإنما أسرع نحو الباب .

نظرت جليندا إلى الساعة وقالت فى صوت كئيب : الساعة العاشرة والنصف.

(٤٦)

جلس الأب كيندى فى مكتبه بكنيسة سانتا مونيكا وراح يصغى إلى الأخبار فى الراديو، وهز رأسه وهو يفكر فى وجه ستيف بيترسون المضطرب عندما جاء

يبحث عن الربطة مساء أمس . لم يكن من العجيب أنه كان مضطربا بهذه الصورة.

هل يمكنهم العثور على الطفل والمرأة الشابة فى الوقت المناسب ؟ وأين سيكون هذا الانفجار . وكم غيرهما سيلقى حتفه؟

صلصل جرس التليفون فأمسك بالسماعة فى حركة مرهقة وقال :

الاب كيندى على التليفون .

– أشكرك لأنك سلمت الربطة التى تركتها فى كنيستك فى الليلة الماضية ، أنا الثعلب.

أحس الأب كيندى بالجفاف فى حلقه : لقد قالت الصحف إنه تم العثور على الكاسيت فى الكنيسة . فكيف .. ؟

– لا تلق أية اسئلة . اتصل بستيف بيترسون نيابة عنى وقل له إن القنبلة ستنفجر فى أحد المراكز الرئيسية العامة للمواصلات بنيويورك .

يمكنه أن يبدأ أبحاثه من هذه الناحية .

وأعاد سماعة التليفون.

(٤٧)

اجتاز الثعلب صالة الركوب من الباب التاسع فى بطء فى طريقه إلى الجسر الضيق الذى يؤدى إلى الطائرة . كان ينتابه أحساس شديد بالخطر أثار أعصابه جدا، وراح يدور بنظره يمينا وشمالا . ولكن ركاب طائرته لم يعيروه أى التفات ولم يهتموا إلا بحقائبهم وحافظات مستنداتهم وهم يتأهبون لتقديم جوازاتهم .

والقى نظرة إلى جوازه هو بالذات ، كان يتجاوز الظرف الذى يضم تذكرته التى قدمها الشباك ، وهو يضغط بيده الأخرى على الحقيبة القديمة السوداء .

الضجة .. هو ذلك .. صوت اناس يجرون بسرعة .. الشرطة ! وترك تذكرته

ووثب فوق الحاجز الذى يفصل بين صالة الركوب والممر . كان هناك رجلان يسرعان نحوه .. ونظر حوله فى يأس ، ولاحظ بابا للخروج على بعد نحو خمسة عشر مترا ، لم يكن هناك شك أنه يفضى إلى أرض المطار .

الحقيبة .. لم يكن فى مقدوره أن يجرى والحقيبة فى يده ، وبعد تردد يسير رماها خلفه فاصطدمت بالأرض فى عنف وانزلقت بضعة سنتيمترات ثم انفتحت وتناثرت أوراق النقد فى الممر .

صاح صوت قوى : قف والا اطلقت النار .

فتح الثعلب باب الخروج فى عنف متسببا فى انطلاق رنين حاد وصفق الباب خلفه واندفع فى أرض المطار . وكانت طائرة فونيكس فى طريقه ، فدار بها ، ورأى عربة نقل صغيرة بجوارها ومحركها دائرا والسائق يستعد لركوبها ، فأمسكه من الخلف وضربه فى عنقه فوقع الرجل وهو يئن ، ودفعه الثعلب بعيدا ووثب الى العربة وانطلق حول الطائرة فى انحراف وهو مطمئن إلى أن أحدا لن يجرؤ على اطلاق النار عليه وهو يدور بالطائرة .

سوف يطارده رجال الشرطة فى سيارة ، أو يرسلون عربات أخرى لكى تقطع عليه الطريق . وكان من الخطر أن يترك عربته ، والخطر أكثر لو أنه بقى بها . وكانت الممرات محاطة بحواجز و تنتهى إلى البحر .

وإذا سلك واحدا منها فسوف يقع فى الفخ .

كانوا يبحثون عن رجل يسوق سيارة نقل صغيرة فى أرض المطار ولا يبحثون عنه فى محطة الطيران ولاحظ عربة نقل صغيرة مشابهة لتلك التى يقودها وكان على المقعد بجواره سجل مفتوح . فالقى إليه نظرة ، إنه عبارة عن اوامر تسليم بضاعات فأمسكه وهبط من العربة وانفتح أمامه فى هذه اللحظة باب مكتوب عليه «خاص بالموظفين» فخفض رأسه فوق السجل وأمسك بالباب ومنعه من أن ينقفل

وخرجت فتاة فى زى المضيفات فى خطوات سريعة ، وألقت نظرة إلى السجل فى يد الثعلب ومرت أمامه مسرعة .

كانت خطى الثعلب أكثر ثباتا هذه المرة ، وأكثر اسراعا . واجتاز الممر الصغير ، وكان يفضى إلى مكاتب الموظفين وبعد لحظة كان يمشى فى صالة الرحيل . واندفع رجال الشرطة أمامه مسرعين نحو أرض المطار ، واجتاز المحطة دون أن يعيرهم التفاتا وخرج الى الرصيف واستدعى سيارة أجرة وسأله السائق: إلى أين ؟

- إلى محطة سنترال الكبرى .

وأخرج ورقة مالية من فئة العشرين دولارا ، وكانت كل ما بقى لديه وقال : بعد كم من الوقت يمكن أن نصل . ان طائرتى ألغيت رحلتها ويجب أن ألحق بقطار الحادية عشرة والنصف .

كان السائق شابا فى الثانية والعشرين من عمره، كله حماس، فقال : سوف نصل قبل ذلك يا سيدى فالشوارع هادئة الآن وحركة المرور سهلة .

وضغط على جهاز السرعة وهو يقول : تشبث .

اضطجع الثعلب فى مقعده والعرق البارد يغمره إنهم يعرفون الآن من هو . ولعلهم وجدوا صحيفة سوابقه . وإذا قال أحد إنه كان يعمل فيما سبق فى مطعم أويستر ، وإنه كان يقوم بغسل الأطباق والأوانى فلعلهم يفكرون فى الغرفة السفلية ويهبطون للتحقق .

كانت القنبلة متصلة بالمنبه ، ومعنى هذا أنه إذا دخل أحد الآن الغرفة فسيجد الوقت لاخراج شارون «ونيل» ، بل لعله يبطل مفعول القنبلة . كلا إنها ستنفجر . حتما إذا لمسها أحد فهى شديدة الحساسية ، ولكن فيم يفيد هذا إذا لم تكن شارون موجودة هى ونيل .

ما كان يجب أن يتكلم تلك المكالمة ، ولكنها غلطة شارون ، كان يجب أن

يخنقها بالأمس ، تذكر أحساسه عندما ضغطت يداه على عنقها وأحس بوجيب دمها تحت اصابعه . لم يلمس أبدا أيا من النساء الأخريات بيديه وإنما عقد ايشارباتهن أو احزمتهن حول اعناقهن ، ولكن هى كانت يداه تضطربان رغبة فى الضغط على عنقها ، فهى دمرت كل شئ . خدعته إذ زعمت أنها تحبه .. تلك الطريقة التى نظرت بها إليه ، حتى فى التليفزيون ، كأنها كانت تريده أن يصطحبها معه، بالأمس طوقته بذراعيها لكى تأخذ مسدسه . إنها امرأة غادرة ، أسوأ من كل النساء اللاتى فى الملاجئ ومن كل السجانات فى السجون ومن جميع اللاتى صددنه عندما حاول أن يعانقهن : توقف . لا تفعل هذا .

ما كان يجب أن يمضى بشارون إلى الغرفة . لو أنه جاء بالغلام فحسب لما حدث شئ من هذا .. أرغمته أن يفعل ذلك، وضاعت النقود الآن، ويعرفون من هو، وهو مضطر إلى الاختفاء .

لكنه سيقتلها قبل ذلك . لابد أنهم يخلون المحطات والمطارات فى هذه اللحظة ، ولن يفكروا فى الغرفة بهذه السرعة . ليست القنبلة بالنسبة لها يجب أن ترفع عينيها وأن تراه وأن تحس بيديه حول عنقها .

يجب أن يرى وجهها تحت وجهه، وأن يحس بها وهى تموت . يجب أن يكلمها وأن يقول لها ما ينوى أن يفعله بها وأن يسمعها تتوسل إليه وأن يضغط .

وأطبق عينيه وابتلع ريقه . كان حلقه جافا وسرت فى بدنه رعشة لذة .

لن يحتاج إلا الى أربع أو خمس دقائق عندما يصل إلى المحطة . إذا بلغ الغرفة فى الحادية عشرة و٢٧ دقيقة فسيكون لديه الوقت ، وسيهرب من نفق شارع بارك .

وحتى بدون جهاز تسجيله سيتذكر صوتها ، فهو يريد أن يتذكر، سيرقد وهو يتذكر صوت شارون واللحظة التى تموت فيها .

والغلام ؟ .. سيتركه هناك وستتكفل القنبلة به وبجميع رجال الشرطة

القذرين الفاسدين، وجميع الذين لم يسعفهم الوقت للخروج فى الوقت المناسب . بل إنهم لا يعرفون ما ينتظرهم .

دخلت السيارة الأجرة النفق الذى يؤدى إلى وسط المدينة . كان ذلك السائق ممتازا فقد كانت الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق وسيصلان الى الشارع الثاني والأربعين بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة ، وسيكون أمامه كل الوقت اللازم من أجل شارون .

توقفت سيارة الأجرة وسط النفق فجأة ، فخرج الثعلب من أفكاره وقال :

- ما الخبر ؟

هز السائق كتفيه وقال : إننى أسف يا سيدى . هناك سيارة نقل تعترض الطريق ويبدو أن جزءا من حمولتها قد وقع ، والطريق من الجانبين مسدود . ولكن لا أظن أن هذا سيستمر طويل .

أخذ الثعلب يغلي وقد نفد صبره من اللحاق بشارون . كانت يداه مضطرمتان كما لو أنه يلمس نارا ، خطر له أن يهبط ويقطع باقى الطريق على قدميه ولكنه عدل عن ذلك لأن رجال الشرطة سوف يوقفونه .

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة وسبع عشرة دقيقة عندما خرجا من النفق، وانطلقا نحو الشرق، وازدادت حركة المرور بطئا فى الشارع الأربعين. صاح السائق : ما هذه الفوضى . سأسلك طريق الغرب .

توقفت السيارة فى الشارع الثالث، فقد سدت السيارات الواقفة كل المفارق . كان المارة يسارعون الى الفرار نحو الشرق ، يدورون بالعربات ويثبون فوق رفارفها . قال السائق : لابد أن هناك شيئا غير عادى يا سيدى . يبدو أنهم سدوا الطريق، لعله انذار أخر بوجود قنبلة .

لم يكن هناك شك فى أنهم يخلون المحطة . وألقى الثعلب ورقة العشرين دولارا للسائق وفتح الباب وهبط .

رآهم فى الشارع الثانى والاربعين . شرطة .. شرطة فى كل مكان ، والطريق مسدود راح يستخدم منكبية لابعاد الناس . قنبلة . قنبلة . وتوقف. كان الناس يتكلمون عن قنبلة فى المحطة .. هل وجدوا شارون والغلام ؟ امسكه شرطى شاب متين البنية وهو يستعد لعبور الشارع الثالث : ارجع يا صديقى .. ممنوع المرور .

– ماذا يحدث ؟ يجب أن أعرف .

– لا شئ . هذا ما نرجوه جاءنا إنذار عبر التليفون بوجود قنبلة . ويجب أن نتخذ حيطتنا .

عبر التليفون ! مكالمته مع القسيس! انذار ؟ معنى هذا أنهم لم يكتشفوا القنبلة بعد. كل شئ على ما يرام إذن وتكهربت أصابعه وكفاه ، كما يحدث فى كل مرة يمضى فيها نحو فتاة ولا شئ يمكن أن يوقفه ، وتظاهر بأنه مهتم ، وخاطب الشرطى فى صوت رقيق : أنا جراح ويجب أن أنضم الى فريق الاسعاف ، فقد يحتاجون إلى .

– اوه ، عفوا يا دكتور . يمكنك أن تمر .

تقدم الثعلب فى الشارع الثانى والاربعين وهو يحرص بالسير بمحاذاة الجدران مخافة أن يوقفه شرطى آخر ، أو يطلب منه اثبات شخصيته ، كانت جماعات غفيرة من الناس تخرج من المكاتب والمحلات تلبية لنداءات مكبرات الصوت التى تستخدمها الشرطة اسرعوا .. لا تفزعوا .. اتجهوا إلى الشارع الثالث والاربعين أو الخامس . إن تعاونكم يمكن أن ينقذ حياتكم .

كانت الساعة الحادية عشرة والدقيقة السادسة والعشرين بالتدقيق ، عندما بلغ الثعلب المدخل العمومى للمحطة وهو يشق طريقه خلال الجمهور القلق والمذعور ، كانت الأبواب مفتوحة لتسهيل الخروج ، وكان أحد رجال الشرطة يحرس الباب الأخير فى آخر الشمال . وحاول الثعلب أن يتسلل دون أن يلحظه أحد ولكن الشرطى أمسكه بيده وهو يقول : ممنوع الدخول .

قال الثعلب فى صوت خشن . أنا عضو فى الفريق الفنى بالمحطة .

– فات الوقت . ستتوقف الابحاث بعد دقيقة .

قال الثعلب فى اصرار : لكنهم استدعونى .

– كما تريد .

واخلى الشرطى ذراعه .

وخلف الأبواب كان كشك الجرائد شاغرا ومملوءا بجرائد الصباح ورأى الثعلب العناوين الضخمة : اختطاف .. كان هو الذى فعل ذلك ، هو الثعلب .

ومر أمام الكشك وهو يجرى .. وألقى نظرة إلى القاعة الرئيسية . كان رجال البوليس يبحثون متوترين ورءوسهم مغطاة بالخوذات ، خلف الشبابيك والمكاتب ، وكان هناك أكثر من عشرة منهم فى المحطة ، ولكنه سيكون أذكى منهم جميعا .

تجمع عدد قليل من الناس بجوار مكتب الاستعلامات ، يسيطر عليهم رجل عريض المنكبين أشقر الشعر ، يدس يديه فى جيبه ويهز رأسه . كان ستيف بيترسون . حبس الثعلب انفاسه واندفع فى القاعة ، وبلغ السلم الذى يهبط إلى المستوى السفلى .

لم يكن بحاجة إلى أكثر من دقيقتين كانت يداه المضطرمتان تكهربانه .

كان يلويهما ويفكهما وهو يهبط السلم أربعا أربعا ، وعبر المستوى السفلى ركضا دون أن يوقفه أحد واختفى فى السلالم التى تؤدى إلى رصيف مونت فرنون والى الغرفة .

(٤٨)

يلغ نبأ مكالمة الثعلب التليفونية هوج وستيف والهليكوبتر تحلق بهما فوق تريبورج ، وصاح هوج فى جهاز اللاسلكى .

– أحد مراكز المواصلات العامة الرئيسية في نيويورك رباه إنه يضم مطارى ومحطتى بنسلفانيا ومحطة سنترال الكبرى . هل بدأتم فى إخلائها .

أصغى ستيف ، محنى الكتفين ، وراحت يداه تنفتحان وتنطبقان بدون انقطاع .. مطار كيندى ومطار لاجارديا ، ومحطة السكة الحديد ، وهذه الأخيرة تقع بين عدة عمارات شاهقة .. شارون و «نيل» .. رباه !

ليس هناك أى أمل .

وتحول هوج إلى الطيار وقاله له : اليست هناك طريقة للاسرا ع أكثر من ذلك ؟

أجابة الطيار : إن الرياح قوية .

تمتم هوج بين أسنانه : الرياح .. لم يكن ينقصنا إلا هذا .. إذا شب حريق أثناء الانفجار .. ونظر الى ستيف من فوق كتفيه وقال : إن الموقف سيئ والاوهام لاتفيد .. يجب أن نواجه حقيقة الخطر بوجود قنبلة .

قال ستيف وقد تحطم صوته .. وشارون و«نيل» فى مكان ما من هذه الانحاء .. من أين نبدأ أبحاثنا ؟

أجابة هوج فى برود .. يجب الاعتماد على الحظ سنركز كل جهودنا على محطة سنترال .. وتذكر أنه ركن السيارة فى شارع فاندربيلت ونزل فى فندق بليتمور ، وهو يعرف المحطة جيدا ، قال جون اوينز إن صوت القطارات فى الكاسيت أشبه بصوت قطارات الضواحي أكثر منه عن صوت المترو .

– ماذا سيكون من أمر رونالد تومبسون ؟

– إذا لم نلق القبض على الثعلب لكى نرغمه على الاعتراف فهو هالك .

هبطت الطائرة فوق سطح بناية «بان آم» فى الحادية عشرة والدقيقة الخامسة، وأسرع هوج ففتح الباب وهبط . وأسرع أحد رجال المباحث الفيدرالية اليهما وأخبرهما فى غضب وفى ايجاز كيف هرب الثعلب .

انفجر هوج قائلا : هرب .. كيف هذا ؟ .. كيف أمكن هذا بحق الشيطان ؟ هل أنت واثق أنه الثعلب فعلا ؟

– كل الثقة . لقد طوح بالفدية إلى الأرض ، وتفتيش المطار جار الآن ولكننا بدأنا في إخلاء الناس والمكان تسوده فوضى كبيرة .

قال هوج في حدة : لن تقول لنا الفدية أين وضع القنبلة ، وهذا لن ينقذ تومبسون. يجب العثور على الثعلب وارغامه على الكلام .

هرب الثعلب ، أدرك ستيف في ذهول معنى هذه الكلمات .. شارون و «نيل» .. ستيف كنت مخطئة ، سامحني .. ماما ما كانت تحب أن تعرف أنني هنا ، أتكون هذه الكاسيت الغريبة آخر صلة له بهما ؟

الكاسيت .. صوت نينا .

أمسك بذراع هوج : الكاسيت التي أرسلها ، لا ريب أنه سجل صوت نينا في اخرها ، تقول إنه أخذ كل شئ من الجراج .. هل كانت معه أمتعة ؟ كانت معه حقيبة أو شيء طبعا ، ربما مازالت الكاسيت التي سجل عليها صوت نينا معه ، لعل معه شيء يشير إلى المكان الذي فيه شارون و «نيل» .

تحول هوج إلى الشرطي الآخر وقال له : هل تعرف إذا كانت معه حقائب ؟

– هناك بطاقتا تسجيل مثبتتان في التذكرة التي تركها تقع منه . ولكن الطائرة اقلعت منذ سبع وعشرين دقيقة ، ولم يحاول أحد أن يمنعها من التحليق ، وسنجد الحقائب في فونيكس .

صاح هوج هذا شيء لا يسر .. لا يسر ابدا .. تصرف لاعادة هذه الطائرة اللعينة فوراً وأن تفرغ كل الحقائب . واصدر أمرا لبرج المراقبة للإعداد لهبوط الطائرة ، احرص على ألا يعترض طريقنا أحد الأغبياء . أين أجد تليفونا ؟

– فى الداخل .

اخرج هوج مذكرته من جيبه وأسرع بادارة رقم سجن سومرز واتصل بمكتب المدير وقال نحن مازلنا نحاول الحصول على دليل براءة تومبسون ، فكن على استعداد للرد على التليفون حتى آخر لحظة .

واتصل بمكتب المحافظ وردت عليه سكرتيرته فقال لها : احرصى على أن نستطيع الاتصال بالمحافظ فى أية لحظة وتصرفى لايجاد خط جاهز لعملائنا فى لاجارديا وآخر للسجن ، سوف تدخل ولاية كونكتيكت التاريخ لاعدامها رجلا بريئا على كرسى الكهرباء .

واغاد السماعة وقال لستيف : هلم بنا !

وفكر ستيف والمصعد يهبط بهما كالسهم : تسع عشرة دقيقة . كانت ردهة عمارة «بان ام» تغص بالناس الذين هربوا من المحطة .. انذار بوجود قنبلة . كانت هذه الكلمات على كل الشفاه .

شق هوج وستيف طريقهما بكل جهد بين الموجودين . أين يبحثان ؟ كان ستيف يكاد يموت من القلق كان هنا بالأمس ، فى مطعم أويستر ، فى انتظار قطاره ، فهل يمكن أن تكون شارون و «نيل» على مقربة فى نفس اللحظة دون أى دفاع ، وارتفع صوت الميكروفون فى هذه اللحظة يقول اتركوا المكان حالا .. اسرعوا الى أقرب باب للخروج . اتركوا المكان . اتركوا المكان .

كان مكتب الاستعلامات بالمستوى العلوى فى المحطة قد أتخذ كادارة عامة للعمليات ، وانحنى الفنيون فوق الخرائط والرسوم التخطيطية يصدرون الأوامر وقال أحد المهندسين لهوج :

– إننا نركز على منطقة تقع بين أرض هذا الدور وسقف الدور الأسفل فيمكن الدخول إليه من كل النواحى ويكون مخبأ أمينا . وقد تحققنا من الأرصفة ونفتش كل الأقسام ، ونعتقد أننا حتى إذا وجدنا القنبلة فإنه من الخطر إبطال

مفعولها ، وقد جاءت فرقة مكافحة القنابل بكل المضادات التى استطاعوا الحصول عليها وهم يوزعونها على فرق البحث ، ووسيلة واحدة منها كفيلة بتخفيف آثار الانفجار بنسبة ٩٠٪ .

شمل ستيف ساعة المحطة بنظرات من عينيه سكتت الميكروفونات وخيم صمت خانق مفزع ، وراح ينقل عينيه إلى ساعة مكتب الاستعلامات الساعة الحادية عشرة واثنتى عشرة دقيقة .. ود لو أن يستطيع أن يمسك عقارب الساعة ويمنعها من التقدم وأن يسرع إلى كل رصيف وإلى كل ركن .. وأن يصيح باسميهما شارون .. نيل .

ادار رأسه مذعورا . يجب أن يفعل شيئا وأن يبحث عنهما بنفسه وعادت الميكروفونات تقول فى هذه اللحظة الساعة الآن الحادية عشرة وسبع وعشرون قيقة .. يجب على كل فرق البحث أن تخرج من أقرب الأبواب غادروا المحطة فورا .. أقول فورا ..

امسك ستيف بكتفى هوج واداره على عقبيه وقال : كلا .. كلا .

– حكم عقلك يا سيد بيترسون ، إذا انفجرت القنبلة فسنموت جميعا ، وحتى إذا كانت شارون و «نيل» هنا فنحن لا نستطيع أن نقدم لهما أية مساعدة .

قال ستيف : لن أرحل .

امسكه هوج من ذراعه ، وامسكه آحد رجال الشرطة من ذراعه الأخرى حكم عقلك يا سيد يترسون .. قد يكون ذلك مجرد احتياط ..

انتزع ستيف نفسه منهما وهو يصرخ : دعونى بالله .. دعونى .

(٤٩)

لم يكن هناك أى أمل ، ظلت شارون تحدق فى المنبه وهى تحاول عبثا قطع الحبل الذى يوثق معصميها بحد أكرة الباب المكسورة .

ولكن لم يكن هناك أصعب من أن تمسك الأكرة بيد وتحاول أن تغرزها فى الحبل باليد الأخرى .

فشلت أكثر من مرة فى الوصول إلى الحبل ، ومزق المعدن يدها . وسال الدم الدافىء واللزج وراح يتجمد ، ولم تشعر بالألم ، ولكن ماذا يحدث لو تقطع شريانا أو يغمى عليها ؟

لين الدم الحبل وراح المعدن ينغرز فيه ولكن دون أن يقطعه ، كانت تحاول أكثر من ساعة ، وأصبحت الساعة الآن الحادية عشرة إلا خمس وعشرين دقيقة .

الحادية عشرة إلا عشرين دقيقة .. إلا عشرة دقائق .. إلا خمس دقائق .. الحادية عشرة وخمس دقائق .

وفى الحادية عشرة وعشر دقائق أحست بالحبل يلين ويضعف ويرتخى وجمعت كل ما بقى لها من قوة اوبعدت يديها ، وأحست بهما طليقتين ، وتدلى الحبل من معصميها . وبسطت يديها أمامها محاولة أن تزيل ما بهما من خدر ، وكان باقيا خمس عشرة دقيقة .

اعتمدت على مرفقها الايسر واعتدلت بكل جهد ، وثبتت قدميها فى الأرض والتصقت بظهرها إلى الحائط وراحت ترفع نفسها شيئا فشيئا لكى تجلس وارتطمت ساقاها بمقدمة الفراش وأحست بألم شديد فى كاحلها .

أربع عشرة دقيقة .

ارتعشت يداها الضعيفتين وهى تشد الكمامة . كان القماش معقودا بشدة ولم تستطع أن تتخلص منه . وشدت بكل قواها ، واستطاعت أن تجعلها تنحدر ، وأثار أفكارها بضع نفحات من الهواء .

ثلاث عشرة دقيقة .

لم تستطع أن تسير ، وحتى إذا وصلت إلى القنبلة وهى تجر نفسها فهى تجازف بأن تصطدم بها وهى تتشبث بحافة الحوض فتنفجر .

لم يعد هناك أى أمل بالنسبة لها .. يجب أن تحاول تحرير «نيل» إذا تمكنت من ذلك فقد يستطيع أن يخرج وأن ينذر أحدا . ونزعت عنه كمامته ..

– شارون ..

– سأحاول أن أفك قيودك ، وربما آذيتك ..

– ما عليك يا شارون .

وفجأة سمعت الضجة ، شيئا يصطدم بالباب فى صمت فهل عاد ؟ هل غير فكره . ضمت شارون نيل إليها ، راحت تحدق فى الباب .. انفتح ودار مفتاح النور .

رأت فى النور المغبر امرأة تتعثر نحوها . امرأة عجوزا يسيل من فمها خيط من الدم وقد غارت عيناها فى حدقتيها ، ورأى «نيل» مفزوعا وهو يزداد التصاقا بشارون ، المرأة تقع إلى الأمام ككيس من الغسيل القذر . وتمددت المرأة على جنبها وهى تبذل جهدا كبيرا لكى تتكلم ..

– السكين .. فى ظهرى .. اسعفينى إذا سمحت .. انزعيها إنها تؤلمنى سأموت هنا .

مس رأس المرأة جسد شارون والتوى جسدها بشكل بشع ، ورأت شارون مقبض السكين بين كتفيها . وقاومتها السكين ، ولكنها لم تلبث أن لانت فجأة وامسكت بها وقد تلوث نصلها بالدم ..

وتأوهت المرأة ولكن شارون كانت قد قطعت حبال «نيل» وقالت : اجر يا «نيل» . اخرج من هنا . اخرج من المحطة وقل للناس أن يخرجوا .

– ولكن يا شارون .. وأنت ؟ .. كان صوت الغلام متوسلا .

– اجر يا «نيل» اجر....

انزلق «نيل» من فوق الفراش وحاول أن يمشى وتعثر ونهض .

– اسرع يا «نيل» .... اجر ... اجر ...

أطاعها «نيل» وهو ينظر اليها نظرة أخيرة متوسلة. وخرج من الغرفة الى الخارج وهبط السلم قالت له شارون أن يهبط وان يصعد سلما علويا.. كان كل شيء هادئا والصمت مخيما حوله. وأحس بالخوف.. القنبلة. ربما يجد أحدا.. ولعلهم يستطيعون انقاذ شارون.. كان يجب أن يجد شخصا لكى ينقذ شارون .

ورأى السلم العلوى على بعد فأسرع اليه وهو يجرى . وسمع صوتا يتكلم يقول ان على الجميع مغادرة المحطة ، ولكن اين ذلك الذى يتكلم ؟

سمع شخصا على السلم ، شخصا قادما . قد يستطيع أن ينقذ شارون . أحس بالارتياح التام بحيث حاول أن يناديه ولكن عبثا . كان محتبس الانفاس .وكانت ساقاه تؤلمانه بحيث لم يعد يستطيع الجرى . وتعثر وهو يقترب من السلم وبدأ يصعد الدرجات . ورفع رأسه ورأى الرجل الذى أفزعه فى احلامه يقترب منه .

رأى الثعلب نيل ، فضاقت عيناه ومد يديه وهو يكشر عن انيابه .

ولكن « نيل » وثب جانبا واطلق قدمه . واصطدم حذاؤه القوى بساق الرجل وتدحرج فى الدرجات الثلاث الأخيرة . وتخلص « نيل » من ذراعى الرجل اللتين حاولتا الامساك به واندفع اعلى السلم . وجد نفسه فى بهو فسيح ، ولم يكن هناك أحد . ورأى سلما آخر لعله يجد اعلاه بعض الناس ، فإن الرجل الشرير سيلحق بشارون .

واندفع وهو يجرى حتى أعلى السلم وهو يحاول ان يصرخ · بابا ... بابا ... وبلغ اخر درجة . كان هناك رجال الشرطة فى كل مكان . كانوا كلهم يرحلون وهم يركضون ، وبعضهم يجرون رجلا .

كانوا يجرون بابا .. فصاح : بابا .. بابا ..

وانطلق فى دفعة أخيرة من الحيوية فى البهو وهو يتعثر وسمعه ستيف فالتفت وأسرع نحوه وأمسك به . وقال نيل وهو ينتحب : بابا ... ان الرجل سيقتل شارون الآن ... كما قتل ماما .

(٥٠)

راحت روزى تقاوم فى عزم وقوة كى تمنعهم من اخراجها ، فان لاللى موجودة تحت فى سنج سنج . كانت واثقة من ذلك . الشرطة فى كل مكان. وكان هناك جماعة منهم فى غرفة الاستقبال، وعرفت بينهم هوج تايلور. كان رجلا ظريفا من رجال المباحث الفيدرالية، يجاذبها الحديث دائما عندما يأتى الى المحطة ، فأسرعت نحوه وشدته من ذراعه وهى تقول :

- ياسيد تايلور ... ان لاللى ..

القى اليها نظرة وحرر ذراعه وقال بلهجة الأمر : اخرجى من هنا ياروزى .

كان بجواره رجل طويل القامة يمسكه من كتفيه ، ويحاول أن يديره ورأت هوج ورجلا آخر يمسكان بالرجل ويجرانه جرا .

- بابا ... بابا ...

استدارت روزى . رأت غلاما صغير يجرى فى البهو وهو يتعثر . وفى نفس اللحظة اندفع الرجل الذى يمسكه رجل البوليس نحو الطفل . وسمعت الغلام الصغير يتكلم عن رجل شرير وهو يسرع نحوهم . لعله رأى الرجل الذى كانت تراقبه هى ولاللى .

وبكى الغلام بابا .. يجب انقاذ شارون .. انها جريحة وموثقة القياد . وهناك امرأة عجوز مريضة .

توسل ستيف اليه قائلا · اين يا «نيل » ؟

صاحت روزى : امرأة عجوز مريضة ... هى لاللى ... انها فى غرفتها .. وانت تعرف ياسيد تايلور ... سنج سنج .. غرفة الغسيل القديمة .

صرخ هوج · هلموا بنا اليها .

وعهد ستيف بـ « نيل » الى أحد رجال الشرطة وهو يقول : اخرج ابنى من هنا .

واندفع خلف هوج . وتبعهما رجلان يحملان صفيحة معدنية ثقيلة .

ووضع شرطى ذراعه حول خصر روزى وقال وهو يجرها نحو باب الخروج : رباه فلنخرج من هنا ستنفجر هذه القنبلة مابين لحظة وأخرى .

(٥١)

سمعت شارون صوت حذاء التنس الذى يلبسه نيل يبتعد مسرعا على السلم ، وابتهلت الى الله ان يتمكن من الافلات .

وتوقفت تأوهات المرأة العجوز ، وادركت شارون انها ماتت وأنها ستموت هى الأخرى وقالت فى صوت مرتفع اننى احبك ياستيف .. لم تعد ترى غير وجهه ، وغدت حاجتها اليه ألما طبيعيا مؤثرا ، اقوى من الالم الشديد الذى تحس به فى كاحلها .

واطبقت عينيها وهى تقول : سامحنى يارب على كل مابدر منى ، وأننى أسلم نفسى بين يديك .

ضجة .. فتحت عينيها ورأت الثعلب واقفا بالباب وعلى فمه ابتسامة عريضة وتقدم نحوها باسطا أصابعه .

(٥٢)

أسرع هوج نحو رصيف مونت فرنون، ودار بالخط الحديدى وأسرع الى

السلم الذى يؤدى الى اعماق المحطة وستيف يجرى بجواره والرجلان اللذان يحملان الصفيحة المعدنية يحاولان ان يتبعاهما .

وكانا يهبطان السلم عندما سمعا صرخة : كلا... كلا.. ستيف النجدة.. ستيف

احس ستيف عندئذ بالدماء تتدفق فى عروقه واعمته رغبته فى الوصول الى شارون قبل الآخرين فتجاوزهم. وانقطعت الصرخة عندئذ ..

السلم كان فى أسفل . وأسرع بكل قواه واجتاز بابا كالعاصفة . وسجل مخه منظر الكابوس الذى طالعه.. جسد شارون فوق الأرض، نصف جلسة ونصف راقدة وساقاها موثقتان وشعرها منفوش ، تحاول الافلات من الرجل المنحنى فوقها والذى تضغط اصابعه على عنقها .

رمى ستيف نفسه فوق الرجل ودفع برأسه فى ظهره المنحنى، وانطرح الثعلب الى الأمام، ووقعا معا فوق شارون. ولم يحتمل الفراش ثقلهما فتهاوى ووقعا فوق الارض معا، ولم تكن اليدان قد تخلتا عن عنق شارون، ولكنها ابتعدتا تحت اثر الصدمة. وتأرجح الثعلب فوق قدميه. واقعى ونهض ستيف وتعثر فى جثمان لاللى، ولم تكن انفاس شارون بأكثر من حشرجة مختنقة مؤلمة .

واندفع هوج بدوره الى الغرفة .

واذ رأى الثعلب انه وقع فى الفخ تراجع ، ووقعت عينه على اكرة دورة المياه فاندفع اليها وأغلق الباب خلفه وسمعوه يوصده بالمزلاج وصرخ هوج : أخرج من هنا أيها المجنون .

وجاء الرجلان مع الصفيحة المعدنية، كاتمة صوت الانفجار ، وفى حرص كبير غلفا الحقيبة بالصفيحة المعدنية السميكة .

انحنى ستيف فوق شارون . كانت مطبقة العينين. وانطلقت رأسها الى الخلف عندما رفعها ، وبدت على عنقها علامات فظيعة ، ولكنها كانت على قيد الحياة .

وأخذها بين ذراعيه ومضى نحو الباب ووقعت عيناه على الصور وبينها صورة نينا، فضم شارون اليه بقوة أكثر ، وصرخ هوج : اخرجا من هنا .

وهبطوا السلم بسرعة .. الى النفق .. الجميع الى النفق ..

وتجاوزوا المولد الكهربائي والمراوح واندفعوا الى الخط الحديدى فى الظلام . وسمع الثعلب خطواتهم وهم يبتعدون ، وادرك انهم انصرفوا فسحب المزلاج وفتح الباب.. وعندما رأى مانعة الانفجار فوق الحقيبة راح يضحك .. ضحكة كبيرة صماء، مترددة .

لم يكن هناك أى أمل بالنسبة له ، ولا بالنسبة للآخرين. كان الثعلب هو المنتصر فى النهاية .

مد يده نحو الصفيحة المعدنية، حاول ان يفتح الحقيبة . وسطع وميض باهر ودوى انفجار اصم اذنيه وطوح به الى الآخرة .

(٥٣)

دخل بوب كورنر كنيسة سان برنار كالإعصار ، وصعد الرواق الجانبى وطوق المرأة الجاثية فسألته وعيناها جافتان : هل انتهى الأمر ؟

– انتهى الأمر هيا أيتها الأم تومبسون اذهبى، واصطحبى ابنك إلى البيت إن لديهم الدليل القاطع على أن رجلا أخر هو الذى ارتكب الجريمة وقد عثروا على تسجيل له وهو يقتل نينا بيترسون، واصدر المحافظ أمره باطلاق سراح رون فورا .

وما أن سمعت كيت تومبسون، ام رونالد تومبسون، ذلك حتى اغمى عليها وهى تشكر الله .

★★★

أخذ روجر السماعة وتحول الى جليندا وقال : لقد وصلوا فى الوقت المناسب.

تمتمت : هل انقذوا شارون و «نيل» ؟

– نعم .. والشاب تومبسون يعود الى بيته .

رفعت جليندا يدها الى عنقها وقالت : شكرا ياربى .

اردفت تقول وهى ترى تعبير وجه روجر : اننى على مايرام جدا ياعزيزى . ابعد كل هذه الاقراص وأعد لى كأسا كبيرة من الويسكى.

★★★

أحاط هوج بذراعه روزى التى كانت تبكى بهدوء وقال : أن لااللى انقذت محطتها وسنرفع التماسا إلى المحافظ يضعوا لوحة تذكارية فى المحطة تكريما لها وسأطلب من محافظ كارلى أن يأتى بنفسه ويرفع عنها الستار .

تمتمت روزى : لوحة تذكارية تكريما للاللى .

★★★

كان الوجه يطفو فى مكان ما فوقها ، ستموت ولم يمر ستيف بعد.. كلا .. كلا...

– كل شيء على مايرام ياحبيبتى .. كل شيء على مايرام .

كان صوت ستيف ... ووجه ستيف .

– انتهى كل شيء .. سنمضى الآن إلى المستشفى للعناية بساقك .

– و «نيل» ..

– أنا هنا ياشارون .

لمس يديها فى رفق . وشفتا ستيف على وجنتها وجبينها وشفتيها .. وصوت «نيل» فى أذنها . شارون . لقد فعلت كل ما قلت لى . ولدىّ كل الوقت لكى أفكر فى الهدية التى وعدتنى بها يا شارون . كم قطارا لديك لى بالتمام ؟ .

روايات الهـــلال تقـــدم

نساء من باب الشعرية

بقـــلم

عبد المنعم الجـــداوى

تصدر : ١٥ ابريل ١٩٩٦

كتاب الهــلال يقـــدم

العالم بعيون دبلوماسى

بقــلم السفير

د . محمود سمير أحمد

يصدر : ٥ ابريل ١٩٩٦

رقم الايداع : ١٩٩٦/٣٢٩٦
I. S. B. N.
977-07-0469-5



● ماري هيجنز كلارك

روائية أمريكية معاصرة تحقق أعمالها أعلى المبيعات الآن في أوربا وأمـــريكا ، وتتقاضى عن الرواية الواحدة عشرة ملايين دولار .

● ولدت في نيـويورك ١٩٢٨ ، واعـتـبـر النقـاد أن روايتـهـا التي نقدمـهـا اليوم بمثـابة مـيـلادها الأدبي الحقيقي .

● تستـقي رواياتهـا من قصص المحاكمات الشهيرة التي تنشرها الصحف .

● من أهـم رواياتـهـــا : « نامي يا جميلة » ، « عيادة الدكتور هـ »، «سترين يوما»، «سنذهـب من جـــديد إلى الغابة» ، «صيحة في الليل» ، «ابحث عن امرأة ترقص» .

● يقول الناقد چان بيير آمـيت إنهـا تسـيـر على نـهج هيـتـشكوك ، فـتـهـتم بـالدلائل الصغيرة ، التي يسير وراءها المحـقق للوصـول الى الأمـور الجسيمة .

هـــذه الـروايـــة

« إنها ملكة الخض ، والإثارة »

هذا هو الإسم الذى أطلقـــه النقــاد على الكاتبة التى تنبأت بانفجار نيويورك قبل وقوعه بأكثر من عشرة أعوام .

نحن أمـام رواية تصنع أحـداثا سـاخنة ، يتـحدث عنها العـالم ، ولذا فـإن قـارىء هذا النوع من الروايات يحبس أنفاسه منذ السطر الأول .

لسنا أمام رواية مصنوعة على طراز أعمال أجاثا كـريسـتى ، تعرف القـاتل فى السطور الأخيرة ، بل المجرم ماثل أمامنا منذ البداية ، وتجىء الإثارة من الطريقة التى يتم بها القبض عليه ، إذا ما تم ذلك فعلا .

ترى كيف ستواجه الصـحفية شـارون ، والصـغـيـر نيل تلك اللحظات القليلة المليـئـة بالتوتر قبل أن ينفجرا فى قلب مدينة نيويورك؟ ليست هناك إجابة علينا أن نعرفـهـا ، بل هى تجربة علينا قراءتها لمعايشتها كاملة .

روايتنا هذه مـــولـود مــــرعب فى زمن الانفجارات المفخخة .